
المكتبة السعودية
سلسلة تصدر عن جمعية الثقافة والفنون وتتناول موضوعات ثقافية متنوعة
٩
حلة إلى سيلان
محمد بن ناصر العبودي

أيام في مسقط قدر آدم

رحلة إلى سيلان

وحديث في أحوال المسلمين




بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الاولى

١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م

صدر عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله وصلاة وسلاماً على رسول الله نبينا محمد بن عبد الله. أما بعد:

فإن جزيرة سيلان عريقة الذكر في التاريخ بل ربما تميزت على غيرها بأنها ذكرت في أول الأحداث التي وقعت للإنسانية ممثلة بذلك الزعم القديم بأنها المكان الذي أهبط فيه آدم أبو البشر من الجنة.

وليس ذلك وحده ماجعل المؤرخين القدماء يهتمون بها وإنما جعلهم كذلك كونها جزيرة الجواهر حتي إن آسمها الذي عرفها به العرب أول ماعرفوها يدل على ذلك وهو (سرنديب) وإنْ لم يكن أكثرهم يعرفون معنى الأَسم وأنه يدل في اللغة السنهالية التي هي اللغة الرئيسية في سيلان ولا تزال: (جزيرة الياقوت) فسرن معناها: ياقوت، وديب معناها: جزيرة.

وهناك أمر آخر جعلهم يهتمون بها وجعل أخبارها تكون مستمرة الحياة في قرون الإزدهار للحضارة العربية الاسلامية هو أنها في طريق السفن التي كانت تمخر

عباب المحيط الهندي وبحر العرب للتجارة مابين موانيء الصين وجنوب الهند ومابين موانيء الدولة العربية الاسلامية في الخليج العربي سواء ماكان منها في شرقيه وماكان في غربيه وأهم تلك الموانيء كان البصرة وسيراف.

ولكن لأمر ما عدل المؤرخون والكتاب العرب أو أخذوا يعدلون عن اسمها القديم الذي ارتبط ذكره بذكر نزول آدم من الجنة (سرنديب) الى أُسم آخر هو سيلان فَنَوّه به ياقوت صاحب اكبر معجم معروف في البلدانيات وبعده ابن بطوطة صاحب أعظم رحلة وأوسعها في العالم في زمانه.

وهذا الاسم الأخير هو الذي انتقل من العرب الى الأوروبيين وبقى حتى غَيّره السيلانيون بأسم من عندهم جديد يدل على مكانة بلادهم في نفوسهم.

ذلك هو(سري لانكا) الذي معناه: الجزيرة المجيدة، أو الجزيرة المقدسة (فسري؛ معناها: مقدس أو ممجد، ولانكا: معناها: جزيرة، وقالوا: إنها ممجدة أو مقدسة لآن المكان المزعوم لنزول آدم فيها هو مقدس عند أصحاب الديانات الموجودين في هذه البلاد على اختلاف دياناتهم.

وأيّاً كان معنى الاسم الأخير والاسم الوسيط فإن معنى الاسم الأول وهو جزيرة الياقوت ظل باقياً واضحاً في الأذهان ذا أهمية في النفوس. كما بقى الأمر الذي كان مرتبطاً به في أذهان القدماء من الناس وهو نزول آدم من الجنة في أرض سرنديب له اعتباره أيضاً.

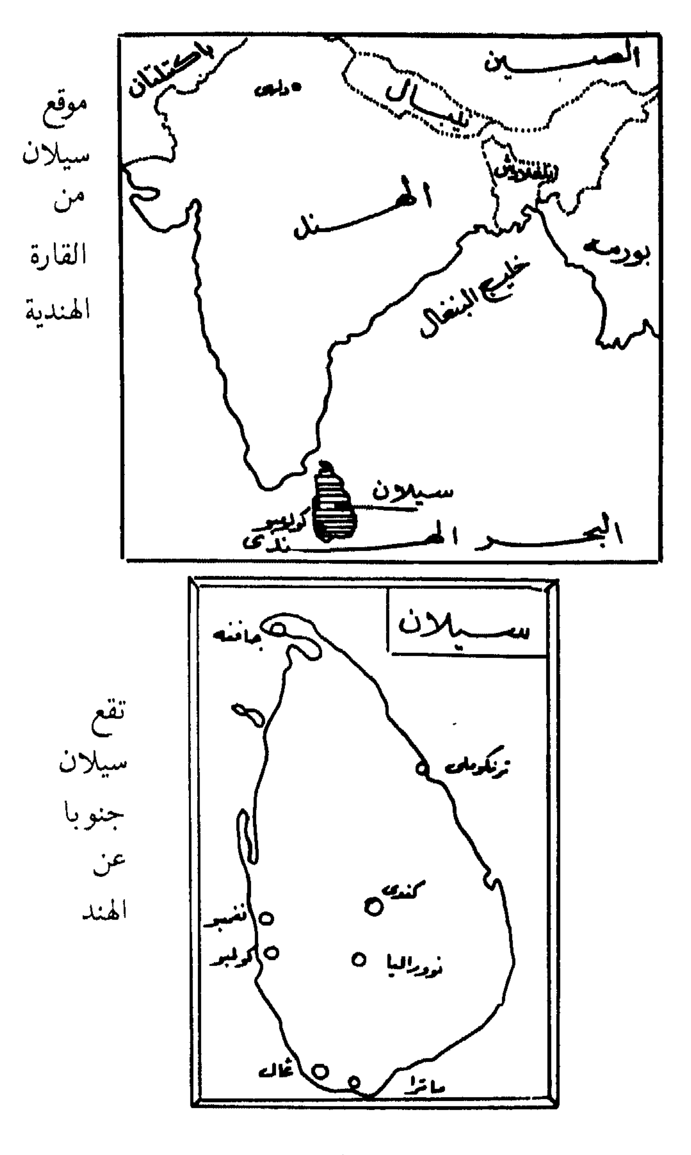
أما بالنسبة إليّ فان مجرد كون «سيلان» وطناً لطائفة من المسلمين النشطين الذي يفوق مالهم من ثروة ومكانة مالهم من عدد نسبي مجرد وهو ٨٪ من مجموع السكان هو سبب كاف لجعلي أحرص على زيارتها والإطلاع على أحوال المسلمين فيها.

وقد كتبت خلال زيارتي القصيرة لها هذه الكلمات التي ألفت هذا الكتاب. وكان لابد من مقدمة للكتاب تتضمن التعريف بهذه الجزيرة (سيلان) وتتحدث عن العلاقات مابين أهلها وبين المسلمين في الأمصار الإسلامية وإن كان حديثاً مختصراً قصد منه الالمام، والإعلام، لا الاطالة في الكلام ولابد أيضاً من الحديث عن دين الاسلام وعن مكانة المسلمين في هذه البلاد.

فكانت هذه الوريقات:

الرياض: ١٥ محرم ١٤٠٢هـ
١١ نوفمبر ١٩٨١م

المؤلف
محمد بن ناصر العبودي



موقع
سيلان
من
القارة
الهندية

تقع
سيلان
جنوبا
عن
الهند

١ ـ تقع جزيرة سيلان في المحيط الهندي الى الجنوب الشرقي من الهند وتسمى الآن سري لانكا.

٢ ـ مساحتها ٦٥٦١٠ كيلات مربعة.

٣ ـ عدد سكانها اربعة عشر مليون نسمة المسلمون منهم ثمانية بالمائة ٨٪ والنصارى اربعة بالمائة ٤٪ والهندوك اربعة عشر بالمائة ١٤٪ والباقون بوذيون.

٤ ـ تنتج سيلان الشاي الذي ينمو في أكثر الجبال في منطقة الهضبة الوسطى والقهوة والهيل والنارجيل والمطاط والقرفة ومن الفواكه الموز والعمبة (المانجو) والبرتقال.

استقلت سيلان عن الاستعمار البريطاني في عام ١٩٤٨م وعمل المسلمون للحصول على الحرية والاستقلال متكاتفين مع مواطنيهم الآخرين ولذلك فان المسلمين على قلة عددهم يشاركون مع الآخرين في جميع الحقوق السياسية والثقافية.

وهناك برنامج خاص للمسلمين في الإذاعة مخصص للبرامج الاسلامية، وفي مجلس النواب أعضاء مسلمون بل إن رئيس مجلس النواب هو من المسلمين.

٥ ـ تكثر فيها المصانع والايدي العاملة كمصانع النسيج

والشاي و يوجد مصنع كبير للدراجات يملكه احد المسلمين ومصانع تجميع السيارات والزيوت المستخرجة من النارجيل.

٦ ــ الأسعار والأجور منخفضة كثيراً فالعامل (العادي) يأخذ يومياً خمس عشرة روبية أي اربعة ريالات سعودية تقريباً والمدرس في المدارس الابتدائية حوالي خمسمائة روبية في الشهر وهكذا.

٧ ــ تكثر الجواهر والاحجار الكريمة في سيلان وكان قسم كبير من تجارة الجواهر بأيدي المسلمين وقد استولت الحكومة على جزء من هذه التجارة الا أنه لايزال بيد التجار المسلمين منها بقية ومن أشهرهم في ذلك الحاج نظيم الآتي ذكره في اليوميات.

والمرأة في سيلان تعمل في كافة الأعمال ولها مكانة مرموقة في المجتمع وهي التي تتكلف المؤونة وتدبير نفقة البيت و يقوم والدها بدفع مال مناسب للرجل مقابل التزوج با بنته.

وأذكر بهذه المناسبة ماسمعته في جزر مالديف وهو أن بعضهم ذكر لي أن المهر الذي يدفعه الرجل لزوجته ضئيل جدا فلما تعجبت من قلة ذلك قال لي أحدهم ألسنا في هذا المجال أحسن حالا من السيلانيين الذين تدفع المرأة أو ولي أمرها نقودا للرجل الذي ير يد أن يتزوجها؟.

دخول الإسلام الى سيلان:

تكاد المصادر التي تحدثت عن دخول الإسلام الى سيلان تجمع على أن دخوله كان على أيدي أناس من العرب. حتى الأحاديث المتبادلة عند المهتمين بهذا الأمر تؤكد ذلك وان كان تحقيقها يفتقر الى سند علمي صحيح، ومن ذلك الشيء الذي يفتقر الى سند علمي صحيح زعمهم أن جماعة من العرب جاؤا الى هذه الجزيرة في زمن الحجاج بن يوسف فأقاموا فيها وكان ذلك بداية دخول الإسلام إليها.

ويقولون: إن أولئك المسلمين الاوائل كانوا على غاية من الخلق الاسلامي الرفيع. مما جعل السيلانيين يتأثرون بخلقهم، ويسلم بعضهم على أيديهم.

وهذه القصة تكرر ورودها في عدد من البلدان اذْ يزعم أهلها أن جماعة من المسلمين هربوا من الاضطهاد وهاجروا الى بلد من البلاد طلبا للنجاة فكان ذلك سبباً في إسلام بعض أهل تلك البلاد الاّ أنه لايوجد سند تاريخي يصح الاعتماد عليه فيما يتعلق بسيلان من هذه

الناحية. وإنما الشيء الذي له شواهد تاريخية في سيلان هو أن طائفة من المغاربة جاؤا اليها في وقت مبكر ونزلوا عند ملكها البوذي في منطقة كندي في الهضبة الوسطى وأصبح احدهم طبيباً للملك.

وتوطدت علاقة الملك ومن بعده بهم حتى صاهروه وبقيت ذريتهم هناك وقد أصبح آسمهم (المور) عندما دخل البرتغاليون الى سيلان لانهم كانوا يسمون المسلمين من أهل المغرب المور كما هو معروف، ولا تزال لهم بقية ذات كيان شبه مستقل وبعض أفرادها لهم ملامح خاصة.

وقد أسسوا لهم جمعية ثقافية إسلامية أسموها «دار الثقافة المورية» سيأتي الكلام عليها.

ويشهد لهذا الامر وأن صلة المغاربة كانت موجودة بجزيرة سيلان رغم البعد الشاسع عنها قصة إسلام أهالي جزر مالديف المجاورة لسيلان على يد الشيخ ابي البركات البربري الذي كان مغربياً ـ طبقاً لما ذكره ابن بطوطة مالكي المذهب وقد فصلت بيان أمره في كتاب: «رحلة الي جزر مالديف» واوضحت ان ذلك ثابت تاريخياً من نقوش بقيت هناك من القرن الثامن الهجري شاهدت بعضها بنفسي.

كما أنه يوجد ميناء في سيلان يقولون إنه أول موضع دخل منه المسلمون الى هذه البلاد وكان يسمى (بربرين) ربما كان ذلك من اسم الشيخ أبي البركات البربري الذي كان مجيئه الى مالديف في عام ٥٤٨هـ أو الى أناس آخرين من البربر أو المنسوبين اليهم.

ولاشك أن في هذا الأمر بعض الغرابة أن يكون للمغاربة من المسلمين نصيب أكبر في دخول الإسلام الى هذه الجزيرة خلاف المتبادر الى الذهن بأن يكون إسلامهم على أيدي عرب الجزيرة من حضرميين ويمانيين كما هو الحال بالنسبة الى إسلام أهالي اندونسيا والملايو أو حتى على أيدي المسلمين من جنوبي الهند المجاور لسيلان. غير أن ذلك لاينفي أن المسلمين من جنوب الهند، ومن جنوب الجزيرة كان لهم نصيب في إسلام بعض المسلمين في البلاد، ولكنه نصيب ليس واضحاً وضوحه في إسلام الاندونسيين والملايويين ولاحتى في إسلام أهالي جنوب الهند من المليباريين الذين كانت صلة العرب بهم قوية عن طريق الملاحة والهجرة منذ أزمان طويلة.

ولاتزال في بلادهم بقية من المهاجرين العرب أهل الجزيرة العربية تزيد نسبتهم على الموجودين من أهل

الجزيرة العربية في سيلان بنسبة كبيرة.

ويكثر المسلمون في سيلان في المناطق التالية:

بيرويلا، كولمبو، مانيكولو، غالي، كناي، منار، بوتالم.

مكانة المسلمين في سيلان:

تبلغ نسبة المسلمين في سيلان ٨٪ ولكن الثروة التي كانوا يملكونها في السابق تبلغ أكثر من هذه النسبة الا أن تلك الشروة قد أصابها ماأصاب الثروات الأخرى إبان الحكم السابق. ولكن المسلمين لهم أيضاً من المكانة أكثر من نسبتهم العددية في البلاد حتى الآن.

فعلى سبيل المثال لهم عشرون نائباً في البرلمان من مجموع عدد النواب البالغ ١٦٨ نائباً وهذا أكثر من نسبتهم العددية. كما أن لهم عدداً من الأعضاء في الوزارة كذلك منهم (شاه الحميد) وزير الخارجية ومحمد حنيفة وزير النقل. ولهم عدة نواب للوزراء منهم نائب وزير المالية وكذلك نائب وزير المواصلات محمد عبد الحميد، ومنهم رئيس مجلس الأمة محمد عبد الباقي، واثنان من كبار الموظفين في الدولة وهما محمد أبو صالح ومحمد معروف.

والمسلمون يحتاجون في الوقت الحاضر الى أن تيسر

لهم وسائل التعليم الحديثة حتى يحافظوا على مكانتهم الجيدة في الدولة عن طريق شغل الوظائف العليا فيها. ويمكن أن يتم ذلك بالتشجيع على إنشاء المشروعات العلمية في البلاد وعلى توفير منح دراسية في الموضوعات الفنية في البلاد الإسلامية إضافة الى المنح الدراسية في الموضوعات العربية والاسلامية.

المساجد:

تكثر المساجد في سيلان كثرة ملفتة للنظر ولايقتصر وجودها على المناطق التي يكثر فيها المسلمون فهي توجد حتى في مناطق لايوجد فيها من المسلمين الا عدد قليل.

بل انها توجد في مناطق لايقطن بقربها مسلم أصلا، وانما بنيت لانها على طريق عام أو بقرب سوق ينعقد دوريا مثلا لكي يجد المسلم الذي تدركه الصلاة وهو بقربها مسجداً يؤدي فيه صلاته.

وهم يتأنقون في بناء المساجد الرئيسية و يتفننون في هندستها و بعضها في اشكال هندسية غريبة على ماألفه نظر السائح العربي ولذلك نوّهت عن بعضها في اليوميات.

وطريقة بناء المساجد تتم من التبرعات بطبيعة الحال إذْ يجمع بعض المسلمين المتبرعين بالجهد والوقت المال قليلاً قليلاً من اخوانهم المسلمين المتبرعين بالمال. وقد يحصل ان يتقدم ثري من أثرياء المسلمين فيتولى بناء المسجد كله دون أن يشاركه أحد. والحاج نظيم الآتي ذكره مثال على ذلك فقد بنى وحده عدة مساجد.

وكان هناك عدد من أثرياء المسلمين يفعلون هذا الفعل غير أن عددهم تَقَلَّص عندما تولت(بندرانايكا) وحزبها الاشتراكي السلطة إذْ أممت عدداً من الأراضي كان جزء كبير منها يملكه المسلمون.

وتوجد خرافات وبدع وبخاصة من التعلق بالأولياء وأهل الصلاح مما يجعل مهمة العاملين على نشر العقيدة السلفية في سيلان صعبة جداً. الا أنه من باب تقرير الواقع اعتقد أن نسبة المتعلقين بالخرافات والغارقين في البدع أقل منها في بعض البلاد العريقة في أقطار المغرب العربي مثلاً.

المدارس العربيــة

تكثر المدارس العربية في سيلان فهي في ذلك مثل الهند وباكستان، وتقوم تلك المدارس على تبرعات

المحسنين من المسلمين وعلى مصاريف شهرية ضئيلة يدفعها القادرون من الطلاب أما غير القادرين فانهم يعفون من دفعها في العادة.

وأغلبها تدرس العلوم الاسلامية ومبادىء القراءة بالعربية لذلك قل أن تجد مسلماً متعلماً لايعرف الحروف العربية ويستطيع قراءة الكلمات العربية وان كان لايستطيع أن يفهم معناها.

وكثير من هذه المدارس هي كتاتيب بدائية غير أنه توجد مدارس ومعاهد كبيرة رفيعة المستوى ولكنها لا تصل الى مستوى الدراسة الجامعية وان كانوا يسمونها كليات أو معاهد مثل الكلية الغفورية والكلية الزاهرة وكلية السيدات المسلمات والجامعة التنظيمية.

وأغلب المدارس الاسلامية في سيلان تكون الدراسة فيها لمدة سبع سنوات ويعطى من يتم دراسته فيها بنجاح شهادة (عالم) تؤهله لأن يكون مدرسا في مدرسة دينية أو في مدارس حكومية لتعليم مادة الدين أو اللغة العربية.

وهذه بعض المدارس والمؤسسات الاسلامية:

١ ــ **كلية الزاهرة:** أكبر المؤسسات العلمية الاسلامية

التي يملكها المسلمون تأسست سنة ١٨٩٢م وكان يتبعها خمس مدارس الا أن الحكومة وضعت يدها عليها وابقت لهم كلية الزاهرة في كولمبو بعد مداولات طويلة في المحاكم وهي تدرس التلاميذ من الابتدائي حتى مرحلة الجامعة وهدفها المحافظة على شعائر الدين وتربية النشء تربية إسلامية وعدد طلابها الفا طالب وعدد مدرسيهم مائه وفي هذه الكلية قسم للطباعة والتجليد والصناعات اليدوية الخفيفة وقسم للأيتام الصغار وبها جامع كبير تقام فيه الصلوات الخمس والجمعة. وتقع في موقع هام من العاصمة. يرأسها الدكتور الشافعي وهو متحمس لها راغب في تطويرها باستمرار.

٢ ـ **كلية السيدات المسلمات:** أسست في الأصل لليتيمات وهي تعمل على المحافظة على حرمة المرأة المسلمة من الاختلاط مع التوجيه والالتزام بشعائر الدين

٣ ـ **ليبرري مسلم:** (مكتبة المسلمين): تأسست هذه المكتبة عام ١٩٣٣م فى موقع متوسط من العاصمة وتضم كتبا دينية باللغات الانجليزية والتاميلية والسنهالية والعربية بها قرابة ستة آلاف كتاب في مختلف اللغات.

٤ ــ **جمعية العلماء:** معظمهم ممن تخرجوا من المدارس العربية حصلوا على شهادة(عالم) واكثرها في مستوى المعاهد العلمية أو أدنى قليلاً وأكثرهم يعملون في الإمامة والخطابة في المساجد والتدريس في المدارس العربية وتدريس مادة الدين الاسلامي في المدارس الحكومية ومركزهم كولبو ــ العاصمة ــ وجلساتهم وفق الحاجة للانعقاد.

٥ ــ **الجماعة الاسلامية:** تأسست سنة ١٩٥٤م تسير هذه الجماعة وفق المنهج العام للجماعة الاسلامية في الهند والباكستان تمتلك مركزا ومكتبة في المركز وجريدة شهرية اسمها (الحسنات) ولها نشرات باللغة التاميلية والسنهالية وتطبع منشورات إسلامية وقد انضم اليها مثقفون كثيرون منهم الاطباء والمهندسون والمدرسون في الجامعة الحكومية الرسمية.

٦ ــ **جمعية الشبان المسلمين:** وهي نشطة لها دار واسعة وتحرص على التجمعات ولقاءات التعارف ولها عدد من المراكز في نواحي سيلان وكثير من الشبان المسلمين انخرطوا في هذه الجمعية.

٧ ــ **دار الثقافة الاسلامية المورية:** رائد هذه الدار الحاج عبد الرازق كان مندوبا ساميا لحكومة بريطانيا في باكستان ايام الاستعمار وتعني الدار

بترجمة الكتب الدينية الى اللغة السنهالية لغة الاكثرية في البلاد وقد ترجموا معاني القرآن بهذه اللغة. ويحضر اجتماعاتهم بعض القضاة وكبار الشخصيات. يملكون عمارة من اربعة ادوار تكلمنا عليها في اليوميات ويعتنون بالدعوة واستقبال الشخصيات الاسلامية وقد نسبوا هذه الدار الى الجالية المورية التي تعنى في الاصل المغاربة أي: أهل المغرب العربي.

٨ ــ **المدرسة الأحدية:** يوم الأحد هو يوم العطلة الرسمية الاسبوعية فقام بعض المسلمين بتأسيس مدرسة لتعليم الطلاب علوم الدين والشريعة يوم الأحد وقد وافق هذا المشروع قبولا وارتياحا لدى كثير من المسلمين. ثم تعددت المدارس الأحدية حتى اصبحت موجودة في كثير من الاماكن ويتجمع الطلاب المسلمون فيها يوم الأحد للدراسة وتلقي التربية الاسلامية.

٩ ــ **جماعة أنصار السنة المحمدية:** تأسست سنة ١٩٤٧م وقامت على حرب البدعة والإنكار على المتعلقين بالقبور وأصحاب الطرق الصوفية المنحرفة وقاموا بعمل جيد الا أنه محدود وعددهم قليل وأنصارهم قلة أيضاً.

ومع ذلك فان لهم اماكن يعملون فيها مثل بعض المساجد والمدارس القرآنية وهم أشبه بجماعة أهل الحديث في الهند والباكستان وكانت لهم صحيفة شهرية باسم(دعوة الحق) توقف صدورها بعد أن صدرت لمدة تقارب السنتين.

١٠ ـ **دائرة الأوقاف الاسلامية:** تعنى بشئون المساجد وضبط وارداتها ومصروفاتها ووضع اليد على جميع أوقاف المساجد كما ينتخب لكل مسجد رئيس مسئول أمام الادارة والادارة مسئولة أمام الحكومة وهذه الدائرة تسندها الحكومة الا أن موظفيها على حساب الأوقاف.

و يبلغ عدد مساجد سيلان ألفاً وخمسمائة مسجد منها تسعمائة جوامع وستمائة مساجد صغار وزوايا .

١١ ـ **جماعة التبليغ:** بدأت جماعة التبليغ عام ١٩٥٣م وهي من أنشط الجماعات في عقد الإجتماعات العامة تملك مركزا وسيارة يتبعهم كثير من الأغنياء و يوجد فيهم عدد متفرغ للعمل ممن أحيلوا على التقاعد وهم يسيرون وفق ماتسير عليه جماعة التبليغ في الهند وباكستان يتمركزون في مسجد جامع طوبتي في كولمبو الذي لايخلو ساعة من ليل أو نهار من الناس.

ومن المعلوم أن من أهم ماتحرص عليه هذه الجماعة في كل البلاد التي لها نشاط فيها هو السلوك الشخصي للمسلم وحسن المعاملة وإظهار الأخوة بين المسلمين والزهد فيما زاد عن الحاجة في الملبس والمأكل والمسكن.' ولايتعرضون لتفصيلات العقيدة ولالتعقيدات السياسة.

هذا وكان المسلمون لهم ثلاث ساعات في الاسبوع لتعليم الدين في المدارس الحكومية ثم الغيت هذه الثلاث وبعد المطالبة من المسلمين اعادوا لهم ساعتين في الاسبوع لتعليم اللغة العربية والدين الاسلامي و يقدر عدد مدرسي هذه المادة بستمائة مدرس كلهم من خريجي المدارس العربية الاسلامية المحلية.

ولاتدفع الحكومة أي مساعدة مالية أو معنوية للمشاريع الاسلامية ولكنها لاتمانع في أي مساعدة مالية من الخارج.

وتوجد بعض الطرق الصوفية واشهرها الشاذلية والرفاعية والنقشبندية ولكنها ليست واسعة الانتشار.

الدعوة النصرانية: بدأ الدعاة الى النصرانية مع دخول الاستعمار الهولندي والبرتغالي ثم الانجليزي أي قبل

اربعمائة سنة تقريباً وقد انطلقوا من واقع إمكاناتهم الكبيرة ووفدوا من كل البلاد الأوربية الا أن النتائج التي احرزوها ليست بمقدار الجهود التي بذلوها اذ لايزيد عدد النصارى على (٣٪) من مجموع السكان رغم أن جهودهم استمرت مكثفة حتى الآن.

الشواهد الأثريـــة:

من الشواهد الأثرية على قدم إتصال العرب المسلمين بسيلان شاهد لأحد القبور عثر عليه قرب مدينة (بوتالم) التي كان ابن بطوطة يسميها (بطالة) وهو باللغة العربية وبخط كوفي.

وربما يعود تاريخه الى القرن الثالث أو الرابع للهجرة، وشاهد آخر في صورة لرجل عربي في سيلان بزي قديم يقولون لأمثال هذا الرجل: إنهم من المورو أي: المسلمين.

وشاهد على قبر أحد المسلمين ويدعى خالد بن ابي بقية وقدمات في ٥ رجب عام ٣٣٧هـ. وجد في مقبرة إسلامية في مدينة كولمبو مما يدل على قدم اتصال المسلمين بهذه المدينة.

كما يدل على صحة ماقيل من أنها كانت في العصور الوسيطة تكاد تعتبر ميناء إسلاميا في تلك المنطقة.



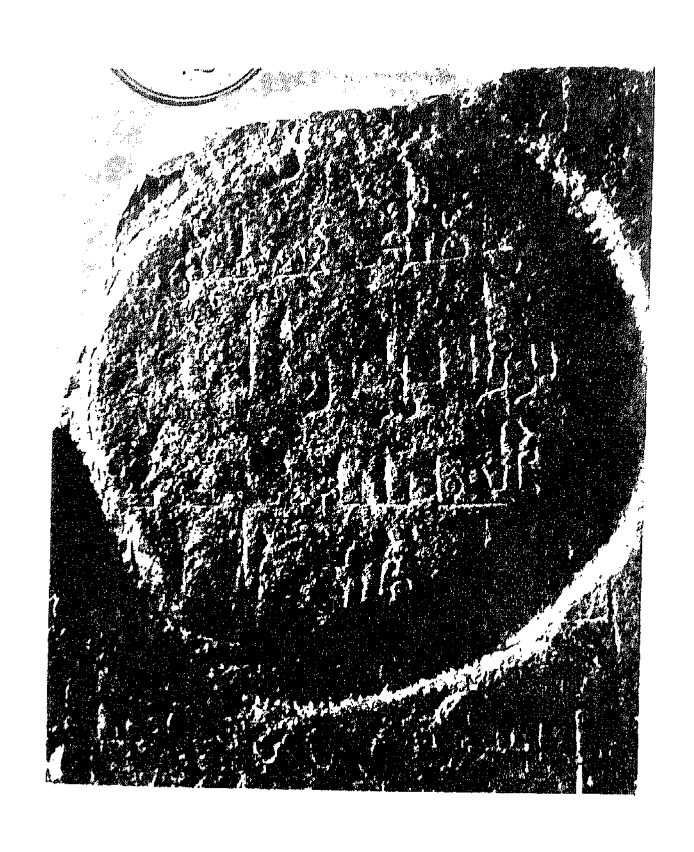
حجر مقبرة قديم عثر عليه في الغابات الكثيفة على بعد بضعة اميال من طريق انواردهابورا/بوتالام وهو منقوش عليه باللغة العربية بخط مغربي وربما يعود تاريخه الى القرن التاسع أو العاشر الميلادي.



رجل من أصل عربي في زمن سابق.



نصب حجري يعتبر من أول الأحجار المكتشفة في مقبرة إسلامية بمدينة كولمبو بالخط الكوفي تخليداً لذكرى خالد بن أبي بقية بتاريخ ٥ رجب عام ٣٣٧هـ.



وتوجد كتابة عربية على الحجر بالخط الكوفي ولكن الحجر في حالة سيئة بسبب التآكل والمعتقد بأنه كان يستعمل للطحن كما تظهر عليه بعض الكلمات العربية كالحمد لله وهى ظاهرة جيدا للعيان.



وهذا الحجر القديم اكتشف عن طريق قسم الآثار وعليه نقوش بالخط العربي الكوفي وقد اكتشف داخل الأدغال على بعد عدة أميال من طريق انارادهابورا وبوتالام ويعتقد بأنه يعود الى القرن التاسع أو العاشر الهجري.



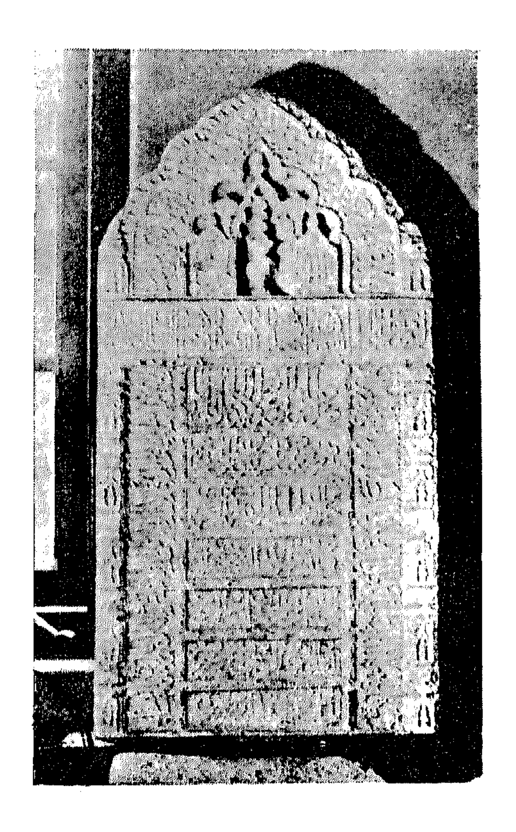
قطع من الآنية الاسلامية تعود الى القرن السادس عشر الميلادي وقد عثر عليها اثناء اعمال التنقيب التي أجريت عام ١٩٧٦م في مانتوتا وكوديرامالاي بولاية منار.



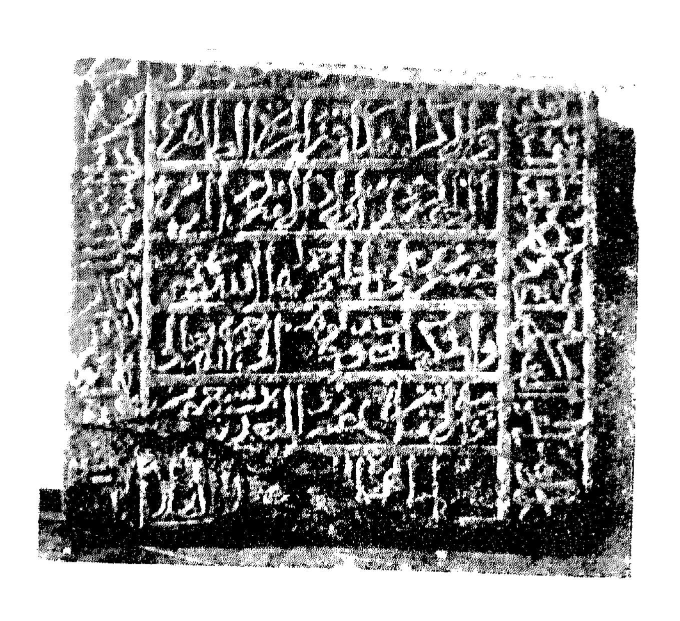
وشاهد القبر هذا الذي انشطر الى نصفين أثناء عملية التنقيب نقشت عليه بالعربية الأرقام ٣، ٣، ١٣٣.



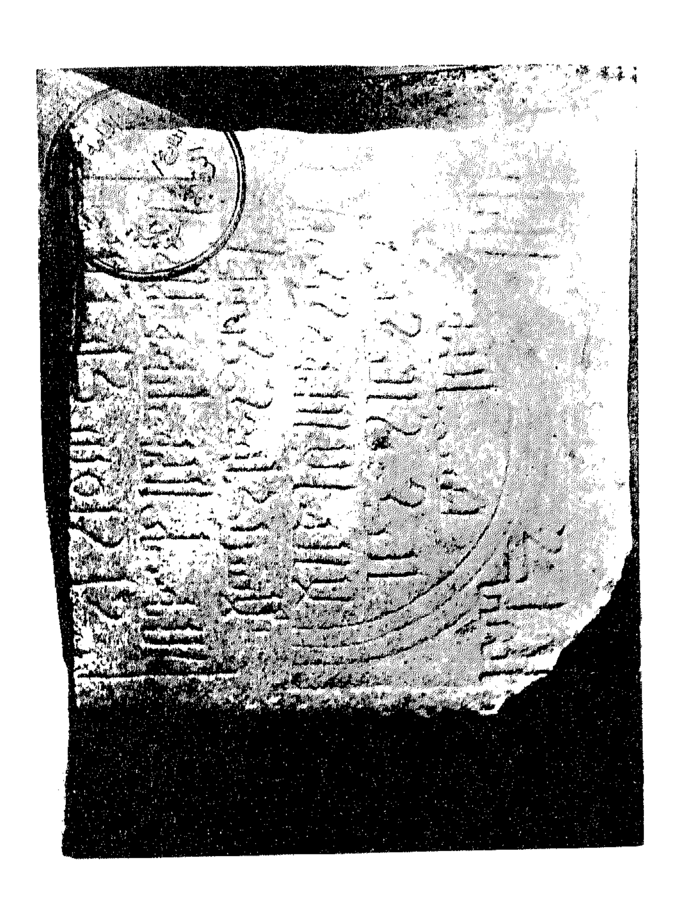
كما عثر على حجر المقبرة هذا يوم ٤ مارس ١٩٧٦م في المقابر القديمة الملحقة بجانب جامع الحسنات في مدينة مادولبوا هيماتاجاما. والكتابة عليه بالعربية «هجرة ١٣٥»



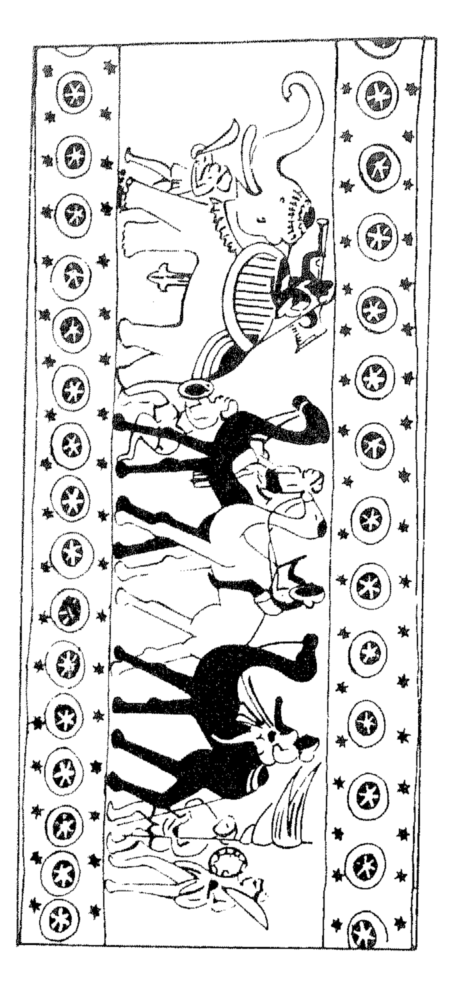
شاهد حجري كتب عليه اسم القاضي عفيف عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف العلوي مؤرخ السبت ١٩ صفر عام ستمائة....الهجري. وقد أُكتشف خلال الحرب العالمية الثانية بين أوستنبرج وكنيسة الهضبة التي تشرف على ميناء ترينكومالى.



شاهد حجري اكتشفه الضابط سومايسوي ديفوندرا في مغارة نيكلسون وهو شبه مربع والكتابة المنقوشة عليه بارزة وهو يعود الى مقبرة النبيلة التقية والعفيفة السيدة كريمة الأمير بدر الدين حسين بن على الحلبي. وقد توفيت يوم الاثنين ١٧ ذو القعدة عام ٧٢٩هـ.



حجر عثر عليه في بولى يانتيوو بمقاطعة منار وضم للمعرض الحجري عام ١٩٢٠م والكتابة كوفية كانت تستعمل خلال القرنين الخامس والسابع الهجريين.



صورة لمجموعة من جمال (مور) سيلان تابعة لجيش راچاسينها الثاني.

وفي ختام هذا الحديث عن الشئون الاسلامية أرى من المفيد أن أنقل هنا ترجمة محاضرة كان قد ألقاها الشيخ محمد حنيفة محمد وزير النقل في سيلان وممثل رابطة العالم الأسلامي هناك وهو من العارفين بشئون المسلمين العاملين على ترقيتهم في سيلان. ولم أرد اختصارها لأن إيرادها كلها مفيد و(أهل مكة أدرى بشعابها).

المسلمون في سري لانكا يعود اصلهم الى التجار العرب الذين جاوءا الجزيرة في اوائل العهد الإسلامي. وخبر وجود هذه الجزيرة التي ذكرها الجغرافي اليوناني بطليموس يدل على أن معرفة الجزيرة تفرع عن علمهم بالشرق عن طريق التجار العرب. وتوجد أدلة تشير الى أن التجار العرب قد زاروا الجزيرة أثناء حكم ملوك السنهالا وأنه في وقت من الاوقات كان هنالك ٧ وزراء عرب من بين ال ١٤ وزيراً.

والتواجد الاسلامي في (سري لانكا)، يظهر وضوحه على نقش يعود الى القرن الثامن الميلادي وتقول الاساطير بأن المسلمين الاوائل وفدوا من اليمن الجنوبي. بربرين(بيرويلا)، كالبنتين (كالبيتا) وغالي كانت أولى المستوطنات للمسلمين.

الحــــج

قام مسلمو سري لانكا بأداء فريضة الحج من قديم الزمن وهناك دلائل تشير الى أن حُجاجا في أيام ولاية الحجاج بن يوسف قد اسروا عند شواطىء السند وعندما علم الحجاج بالامر استولى على السند.

والهضبة الموجودة في بيرويلا والتي تسمى (كاتشومالاي) تعني هضبة الحج وهذا يدل على أن المستوطنين المسلمين كانوا يتجمعون في هذا المكان قبل سفرهم لاداء الفريضة.

ولفظ (مور) الذي يطلق على المسلمين في سري لانكا يرجع الى حادث تاريخي وهو أنه عندما قدم البرتغاليون الى سري لانكا ووجدوا المسلمين اعتقدوا بانهم من المغرب وبالتالي اطلق عليهم اسم مور.

يوجد مليون مسلم في الدولة يشكلون ٨٪ من السكان. الثلثان في منطقة سنهاليز والثلث في تاميل. وانتهى الاتصال الاسلامى بانتهاء الدولة العباسية ولم يتجدد الا بعد وصول عرابى باشا الزعيم المصري المنفي الذي كان وصوله سببا في تقدم المسلمين التعليمي. ورغم

ذلك فالمستوى يقل بكثير عن مستوى الفئتين الأخرين ويوجد مسلمون من اكبر الأثرياء ولكن الاغلبية العظمى من الجالية المسلمة متأخرة في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية.

اقيمت الاحتفالات بالقرن الخامس عشر الهجري بغرض تشجيع المسلمين للأرتقاء اجتماعيا واقتصاديا وتعليميا. لأن انخفاض مستواهم المعيشي ساعد على تخلفهم واهمالهم لدينهم ولذلك فقد اعتمدت مادة الدين في جميع المدارس التابعة للدولة رغم النقص في عدد المشرفين الدينيين وهذا من اسباب ضعف المام الطلبة باللغة العربية الذين يتعلمون الدين باللغتين التاميلية والسنهالية.

اقيمت مسابقة تشجيعية لاختيار ٦ منح دراسية فيما بين ٦٠٠٠٠ طالب مسلم في فصول تزيد عن الفصل السادس وكانت النتيجة مرضية وهذا ماشجعنا على النظر في الحصول على الكتب والمؤلفات الاسلامية.

وقد وجدنا أن المؤلفين من المسلمين يقعون تحت تأثير من آخرين فلا يطرقون الموضوع الاسلامى وبعض الشباب منهم يقع تحت تأثير الأدب الماركسى.

كثرة عدد التبرعات الملاحظة حالياً تدل على أن الشباب لو وجد الطريق الحقيقى فهو يسلكه عن وعى ونظراً لافتقارنا الى علماء مؤهلين في الدين فقد كانت الجالية المسلمة واقعة تحت تأثير فتاوى من هم ليسوا على المستوى المطلوب من الفقه لتوجيه المسلمين بل كانت الفتاوى تعطى حسب الأهواء.

والمظهر الآخر المؤسف هو الدور الضعيف الذى يقوم به المسجد في حياة المجتمع. فالمسجد الذي كان يعتبر القلب النابض من الناحية الدينية والثقافية والاجتماعية للمسلمين اصبح الآن مكانا للصلاة فقط. وعندما تقوم دولة عصرية بنشر مبادئها الجديدة على جميع الأوجه فبالتالي تضعف المراكز الدينية في المجتمع وخصوصاً في جالية تعتبر اقلية كالمسلمين.

وقد توضع برنامج للعمل لكل جماعة مسجد لحل مشاكل الجماعة منها اصلاح المساجد واقامة المكتبات والمدارس واصلاح الطرق والقنوات في القرى وبالاضافة الى ذلك عقد قران الفتيات المسلمات الفقيرات وعملية الختان للصبية الفقراء وتشييد المنازل للفقراء والمحتاجين.

وافق رئيس الدولة ج.ر.جايواردين رسمياً وكذلك

مجلس الوزراء على الاحتفالات بالقرن الخامس عشر الهجري التي اقيمت من ٢٤ منطقة وسيصدر بهذه المناسبة طابع للبريد في نوفمبر ١٩٧٩. كما تنتهي الاحتفالات ايام ٢٥ و ٢٦ و٢٧ يناير ١٩٨٠ باقامة حلقات دينية للكاتبات المسلمات.

يشكر مسلمو سري لانكا الرئيس ج.ر.جايوردين وأعضاء حكومته لاعتبارهم واعلانهم ان مناسبة الهجرة تعتبر احتفالات رسمية كما أنهم راغبون مستقبلا في توطيد علاقاتهم بالمجتمع الدولي الاسلامي. إنتهى كلامه.

الديانات الأخرى :

أوثق الاحصاءات تقول إن نسبة معتنقي الديانات في سيلان كالتالي:
٧٣٪ بوذيون ٨٪ مسلمون ١٢٪ هندوكيون ٣٪مسيحيون. البقية أديان مختلفة.

البوذيـــــة:

هي الديانة الرئيسية في سيلان. بمعنى أنها دين الأغلبية من السكان. وهم اتباع بوذا الذي كان في أول حياته أميراً متنعماً ثم نسك وتزهد حتى ارتقى بزعم اتباعه الى مرتبة الملائكة بل قد ألهه بعضهم ومنشؤ ديانته في الهند حيث ولد وعاش ولكن اتباعه الآن في الهند ليسوا بالكثيرين.

والبوذية هي الآن ديانة الأكثرية في تايلاند وبورما والهند الصينية وموجودة في الهند ونيبال، واليابان والصين كما هو معروف.

وعلاقات البوذيين مع مواطنيهم المسلمين علاقات جيدة خالية من الاضطرابات الطائفية، والحزازات المذهبية العنيفة، لذلك قد يتعايش الطرفان في أحياء مختلطة

و يعظم بعض البوذيين علماء المسلمين وصلحائهم حتى إنهم يذهبون الى مقابر من يعتقد أنهم كذلك من المسلمين يرجون بركتهم والنفع من وراء ذلك كما يفعل جهال المسلمين.

و يوجد عدد قليل من المتعصبين من البوذيين يعملون على إفهام المسلمين والمسيحين بأن هاتين الديانتين غريبتان على البلاد وأن من الأفضل لمعتنقيها العودة الى الديانة السيلانية القديمة التي هي البوذية.

ولكن عدد هؤلاء المتعصبين قليل وعدد الذين يناصرونهم من المثقفين السيلانيين أقل من ذلك. و بذلك كان تأثيرهم ضعيفاً بل لايكاد يعتد به.

الهندوكيـــــة:

هي الديانة الثانية في سيلان من حيث عدد الذين يؤمنون بها وتبلغ نسبتهم في البلاد حوالي ١٢٪. وطبيعي أن يكون لهم ارتباط وثيق بالهند حيث الأغلبية من السكان هناك هندوكيون، وإن كانت الحكومة الهندية نفسها تعلن انها حكومة لا دينية بمعنى أنها لا تعتنق رسمياً ديناً معيناً. ولا توجد في العالم حكومة هندوكية الاّ حكومة نيبال التي هي الحكومة الوحيدة في هذا المجال.

ورغم كون الهندوكيين أقلية بمعنى أنه ليس لهم من الأهمية والقوة ماللبوذيين في سيلان فان العلاقات بينهم وبين المسلمين ليست في الدرجة التي عليها العلاقة مابين المسلمين والبوذيين. فالمشاحنات واحيانا العداوات بين الهندوكيين والمسلمين هي اكثر. والكراهية موجودة وإن لم تصل الحال الى ماوصلت اليه في الهند من تقتيل وتخريب.

المسيحية:

دخلت المسيحية الى سيلان مع دخول البرتغاليين اليها ومعلوم ان وصول البرتغاليين الى سيلان كان في عام ١٥٠٥م وبعد البرتغاليين جاء الهولنديون ثم جاء بعدهم البريطانيون حتى الاستقلال.

وفي كل هذه العهود كان دعاة النصرانية يجدون العون والحماية من الحكام وأرباب السلطة في البلاد الا أن النتيجة لم تكن بمقدار ماكانوا يؤملون اذْ لاتزيد نسبة المسحيين الآن في سيلان على ٣٪.

على حين أن الاسلام الذي لم يجد من الحكام له أنصاراً قد انتشر وقوي حتى أصبحت نسبة الذين يعتنقونه من أهل البلاد ٨٪.وإن كانت بعض الجهات المسيحية أو

المتعاطفة مع المسيحيين تزعم أن نسبة المسيحيين في سيلان أكثر من ذلك وأحياناً تجعل كثرتهم على حساب المسلمين.

ومن ذلك هذه البيانات التي ننشرها مع هذا منوهين بعدم صحتها في الأغلب.

ولعل من الدلائل الواضحة على ذلك كونها رسمت نسبة المسيحيين في بلدة (بوتالم) كبيرة على حين أن المعروف أنها منذ ازمان قديمة وحتى الآن بلدة ذات أغلبية مسلمة وفي بعض العهود كانت نسبة غير المسلمين من أهلها ضئيلة جداً وستأتي الاشارة الى ذلك في اليوميات. أما فى بقية المناطق فإن البيان المرفق قد أوضح أن المسلمين موجودون فيها بنسب مختلفة.

اليهود:

لايوجد عدد يذكر من اليهود من السيلانيين الاصليين. وقد بادرت حكومة اليهود في فلسطين الى افتتاح سفارة لها في كولمبو. وعرضت على حكومة سيلان ماتعرضه على الدول النامية أو الحديثة الاستقلال من الخبرة الفنية. غير أنه عندما تولت (بندرا نايكا) الحكم

التوزيع الدينى فى سيلان

بوذيون

هندوس

مسلمون

مسيحيون

وهي ذات اتجاه يساري ارادت التقرب للبلاد العربية فأغلقت السفارة اليهودية ولم تفتح بعد.

والمؤكد أن الحكومة الحاضرة أشد حرصا على العلاقات مع العالم العربي من الحكومة السابقة لأسباب كثيرة من أهمها العامل الاقتصادي وبخاصة حاجتها الى النفط من البلاد العربية.

هذا الى أن المعرفة بالقضايا العربية أصبحت الآن أكثر اتساعا وأصبح كثير من المحايدين في العالم اكثر اقتناعا بها من ذي قبل. إضافة الى أن المسلمين على وجه العموم في سيلان لهم تأثير مناسب في توجيه السياسة السيلانية وهم بطبيعة ثقافتهم وتعليمهم الديني ميالون الى العالم العربي.

اليسارية:

كانت الأحزاب اليسارية قد انضمت في تآلف اشتراكي استطاع أن يصل الى الحكم عام ١٩٧٠م بزعامة (بندرا نايكا) عن طريق الانتخاب.

وذلك لما كان يطلقه من شعارات المساواة والوعود بالعيش الرغد غير أنه ماأن تولى الحكم حتى تبددت تلك

الوعود وذهبت أدراج الرياح.

فعلى رغم ماعملته الحكومة الاشتراكية من تأميم بعض المرافق واتخاذ بعض القوانين لتلبية مطالب الطبقات الفقيرة. وتحديد الملكيات الزراعية حدث نقص مريع في الانتاج وتدنت القدرة الشرائية لدى الحكومة حتى لم تستطع الحصول على تأمين الحاجات الضرورية للشعب مثل الأرز الغذاء الرئيسي لعامة الناس.

وكان لذلك الأثر الكبير على عامة الناس إذْ سقطت تلك الحكومة اليسارية وصوّت الشعب لحكومة أخرى معتدلة وغير يسارية وهي الآن تحاول إصلاح مافسدته الحكومة السابقة.

اللغة:

اللغة الرئيسية في سيلان هي (السنهالية) ويقول لها بعضهم (سنقالي) وهي لغة أكثرية السكان الذين يدينون بالديانة البوذية. وهي لغة قديمة يقال: إنها كانت شائعة في جنوب الهند في الازمان الغابرة الا أنها تقلص نفوذها هناك وبقيت حية في جزيرة سيلان.

واللغة السنهالية هي اللغة الرسمية في البلاد. واللغة

الثانية في سيلان التي تلي السنهالية هي (التاميلية) وهي واسعة الانتشار في جنوب الهند. فهي اللغة الرسمية في ولاية هندية كبيرة عاصمتها (مدراس) المدينة الرابعة في الهند من حيث عدد السكان وتسمى هذه الولاية في الوقت الحاضر (تامل نادو) أي: ولاية التامل. أو الولاية التاملية.

وهي قريبة من لغة أخرى هندية جنوبية شائعة بل هي اللغة الرسمية في ولاية (كيرالا) التي كان العرب يسمونها بلاد المليبار كما فعل ابن بطوطة رحمه الله.

وتعتبر اللغة التاملية لغة المسلمين في سيلان وهذا من العجب أن تكون اللغة مقسمة أو معروفة بحسب ديانة أهلها.

وبالنظر الى هذا الأمر أي الى كونها لغة للمسلمين نجدها قد دخلتها كلمات كثيرة من اللغة العربية ربما كانت بسبب الثقافة الاسلامية وربما كان ذلك من بين مادخل في اللغة الهندية الجنوبية من الكلمات العربية على أيدي البحارة والتجار العرب الذين يعرف أن الاسلام دخل الى جنوب الهند على أيديهم.

لذلك يجد المرء أن مذهب أهل جنوب الهند هو

مذهب الشافعي وهو مذهب أهالي السواحل في الجنوب العربي وبخاصة الحضرميين منهم. على خلاف مذهب أهالى شمال الهند الذي هو الحنفي لأن الاسلام دخل اليهم من الشمال على أيدي الأفغانيين الذين مذهبهم المذهب الحنفي.

أما أهالي سيلان فانهم يتمذهبون بمذهب الامام الشافعي.

ومن أجل كون اللغة التاميلية هي لغة المسلمين في سيلان كانت ترجمة معاني القرآن الكريم أو لنقله بلفظ أنقى وأورع: تفسير القرآن باللغة التاميلية هي السابقة بل هي التي ظلت زمناً طويلاً، الترجمة الوحيدة لمعاني القرآن الكريم في لغة يتكلم بها بعض الناس في جزيرة سيلان. ولم تخرج ترجمة معاني القرآن الى اللغة السنهالية الآ منذ عهد قريب على أيدي جمعية الثقافة الإسلامية المورية في سيلان.

وهذه طائفة قليلة من الكلمات العربية الموجودة في اللغة التاملية وهي بالنماذج القليلة أشبه منها بالشواهد الواضحة.

رَدّ: رد الكلام ونحوه

قَيّد: قبض الشخص

قَمِشَ: قيص
عَمُلْ: العامل
قَرُوَا: قِرافة
أَشَلْ: أصل
لاَيَقْ: لائق
قَرَامْبومى: قرنفل
إِيْلَمْ: هَيْلْ
مَنَارْ إسم بلد
شِرَفُ: آلشَّرَفُ

وأما لغة الثقافة والمثقفين في سيلان فانها الإنجليزية كما هي الحال بالنسبة الى أهل الهند. وهي التي تجمع في التفاهم بين الجميع وإن كانت الفوضى اللغوية الموجودة في الهند ليست موجودة في سيلان.

السيلانيون:

هم جنس يشبهون الى حد ما الجنس الهندي الذي يتكلم التاميلية في جنوب الهند فهم سمر شديدو السمرة، وهم قصار نوعا ما بالنسبة الى أهالي شمال الهند، وأغلبهم ذوو وجوه كبيرة غليظة ذات تقاطيع كبيرة ماعدا شيئاً واحداً هو الأنف فهو قصير نسبياً أفطس بعض

الشيء بالنسبة الى أهالي الهند الجنوبية والأنف الافطس ليس بعيداً من اهالي سيلان لان جيرانهم وان كانوا بعيدين عنهم في مسافة البحر ولكنهم قريبون من جهة كونهم اقرب اهل اليابسة اليهم وهم اهالي تايلاند من ذوي الانوف القصيرة الأصيلة.

وجيرانهم الذين يبعدون عنهم في المسافة الا انهم اقرب البلاد اليابسة اليهم من جهة الجنوب الغربي هم أهالي إفريقية وهم ذوو انوف فطس.

ولكنهم لايمتون الى هذين الجنسين بصلة. والحاصل ان السيلانين باهل جنوب الهند اشبه منهم بجنس منفصل متميز. فهم يشبهونهم ولايشبهون غيرهم. ولذلك كان أسلافنا العرب يعدونهم من اهل الهند حتى كانوا يقولون: إن جزيرة سرنديب التي هي سيلان جزيرة في الهند. غير انهم يفارقون الهنود في أشياء كثيرة ظاهرة سواء من ذلك طبيعتهم الوديعة الهادئة بالنسبة الى الهنود، وديانة أغلبهم هي البوذية على حين أن دين الأغلبية من الهنود هو الهندوكية وحتى اللغة فلغة الاغلبية من البوذيين هي السنهالية من (سنها) بمعنى أسد و(لي) بمعنى النسبة فهي بالترجمة الحرفية (الأسدية).ولغة المسلمين هي التاميلية.

فمثلاً عاصمة سيلان (كولمبو) معناها في السنهالية (كو) بمعنى ورقة (مبا)أي: عمبا: أي مانقو وفي التاميلية (كولن بو) ومعنى (بو) زهرة.

كما أن الدين له تأثير في أنواع الأكل اذْ البوذيون وإن كانوا لايحرمون أكل اللحم مثل الهندوكيين فإنهم ممن لايستسيغون أكل لحم البقر. على حين أن المسلمين يأكلون لحم البقر و يفضلونه على غيره.

الأيـــام السّيلانيـــة



يوم الخميس ١٣٩٨/١٢/٣٠هـ ١٩٧٨/١١/٣٠م

رنَّ جرس الهاتف في غرفتي من فندق في كراتشي في الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف الليل وكان هذا هو الموعد الذي طلبت من الفندق أن يوقظني فيه اذ كان علي أن أغادره بعد الرابعة بقليل لأن موعد السفر هو الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والاربعون ولابد من الوصول الى المطار قبل ذلك بوقت لايقل عن ساعة ونصف وأحضر بواب الفندق سائق سيارة كان يتمايل من أثر السهر والنوم ملؤ جفنيه.

وكانت المفاصلة فرضي بمبلغ (٣٥) روبية باكستانية أي (١٢) ريال سعودياً في هذه الساعة المبكرة لتلك المسافة التي تبلغ ستة عشر كيلاً.

وكان هو وحارس الفندق يرتعشان من البرد لا لأن البرد شديد ولكن لأنه ليس على الواحد منهما الا قميص أبيض قصير وسراويل ابيض فضفاض ورداء أبيض يشبه الفوطة الكبيرة قد لفه على كتفيه.

ووصلنا المطار في الموعد المطلوب وسألني الموظف الذي على مكتب الترحيل عن المدة التي قضيتها في

باكستان؛ فأجبته: إنها يومان فقال لي: اذن عليك ان تدفع مائة روبية رسم مغادرة، الا أنه حين رأى جوازي سياسياً قال: إنه ليس على من يحمل الجواز السياسي ان يدفع شيئاً من ذلك.

ودخلت الى غرفة العابرين في المطار. وكان فيها جماعات غير كثيرة من الناس لفت نظري منهم مجموعة يغلب على الوانهم السواد الا أنهم غير افريقيين، فاذا بي أعرف بعد ذلك أنهم من السيلانين الذين سيسافرون معنا.

وقد تأخر قيام الطائرة عن الموعد المحدد وعندما حان وقت صلاة الفجر في الساعة الخامسة والدقيقة الاربعين صعدت الى مقصف الفندق في الطابق الأعلى من البناء لكونه ليس فيه ازدحام وسألت موظفا فيه عن القبلة فأخبرني بها ثم ذهب بي الى أسفل وأشار الى مضيفة جميلة كانت تذيع عند مكبر الصوت وقال لي: مصلى، مصلى وظننته يريد انه عندها مكان للصلاة فقلت لها: مصلى، مصلى. ففتحت درجا في خزانة عندها وأخرجت منه سجادة للصلاة كانت مع عدد مثلها لديها فانتحيت ناحية خالية من المكان وصليت.

وبعد الموعد المحدد لقيام الطائرة بساعة نادى مكبر الصوت على رحلتي بأنها ستغادر فأسرع الناس وكان عددهم كبيراً لم أكن أظن أنه يكون كذلك وهي رحلة مخصصة من كراتشي الى كولمبو.

وعندما ركبت الطائرة وجدت أن جميع مقاعد الدرجة الأولى مشغولة لم يبق منها غير مقعد واحد ورأيت أمرأة يبين عليها الثراء يفهم من كلامها أن تذكرتها في الدرجة الأولى ولكنها لم تجد مقعداً خالياً فأركبوها في السياحية وكان الركاب الذين هم في الأولى خليطاً من العرب والسيلانيين والأوروبيين،إذ فيها معي اثنان من السعوديين احدهما يلبس الملابس العربية والآخر يلبس بدلة أفرنجية.

الى كولمبو:

وكان ينبغي أن نكتبها بالنون(كلنبو) كما كان يكتبها العرب القدماء الذين منهم ابن بطوطة ولكيلا يذهب ببعض الناس الظن أن أصلها أوروبي وأنها على اسم شخص اوربي يدعى كلومبس أو ماأشبه ذلك مثلما اشتبه على موظف في الخطوط السعودية ذلك عندما قال لي: إن هناك كولمبو في امريكا فهل تريدها؟ فقلت له: التي

في الولايات المتحدة الامريكية هو كولومبيا..وهناك في أمريكا الجنوبية دولة (كولومبيا) على أسم مكتشف أمريكا كريستوفر كولومبس. ولكن هذه التي أقصدها اسمها قديم عرفه العرب بالنون (كلنبو) بدلاً مما هو عليه الآن بالميم. وقد جرى لنون هذه المدينة الساحلية الأسيوية ماجرى لنون مدينة أخرى ساحلية ولكنها إفريقية هي ممباسا اذ انقلبت النونان فيها الى ميمين.

غير أن بعض الأقوال تزعم أن الذين أبدلوا نون (كلنبو) ميما هم البرتغاليون الذي ارادوا بذلك أن يقربوها من اسم (كريستوفر كولومبس).

سمى ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري هذه المدينة كلنبو وهو الأسم العربي التي كانت تعرف به في ذلك الزمن ويقال إن المسافرين الصينين كانوا يطلقون عليها اسم كاولان بو، وقد عرفت كولمبو في بادىء الأمر بمثابة قرية إسلامية صغيرة حينما كانت تتحكم في الطرق التجارية البحرية في تلك المنطقة ثم أقام عليها البرتغاليون حصنا للملك سنهالا في القرن السادس عشر ثم جاء الهولنديون في القرن السابع عشر وقاموا بتوسيع ذلك الحصن ثم جاء الانكليز فيما بعد حيث جعلوها المركز الاداري والحربي لهم في سيلان.

كانت الطائرة من طراز بوينج ٧٠٧ وقد اعلنت المضيفة الباكستانية أن الرحلة من كراتشي الى كولمبو ستدوم ثلاث ساعات ونصفا دون توقف. وبعد الركوب واستواء الطائرة مباشرة بادروا باحضار طعام الافطار وكان جيداً شمل البيض وقطعاً من اللحم المقلي اظنه من لحم الارانب. وكان يخدم الدرجة الأولى مضيف ومضيفة من الباكستانيين خدمتها جيدة جداً و يتحليان بذوق رفيع.

في مطار كولمبو:

بعد طيران دام اكثر من ثلاث ساعات كانت الطائرة تحوم فوق الساحل الشرقي من جزيرة سيلان وقد اتينا اليها من الجنوب أي: اننا درنا حول رأس القارة الهندية ربما كان ذلك بسبب عدم وجود اتفاق طيران مع الهند يسمح بذلك او لأن الطيران فوق البحر اسهل وأضمن مع العلم بأنه قد حدث خلال الطيران منخفضات هوائية اشعل قائد الطائرة أثنائها إشارة ربط الحزام اكثر من مرة.

وكنا نشاهد تحتنا ونحن نحوم فوق الساحل الشرقي للجزيرة آثار ذلك الاعصار المدمر الذي لم يمض عليه الا حوالى اسبوعين واضحة في الفيضانات الكثيرة التي تغمر حقول الأرز، وغابات النارجيل في مساحات هائلة حتى

بعض الاكواخ رأيناها لا تزال وسط المياه. وكان الساحل جميلاً الا أنه يبدو وكأن البحر قد تجاوزه اذ المياه كانت خلفه كثيرة بفعل الاعصار والفيضان الذي صاحبه.

وتدنت الطائرة بسرعة فرأيت بناية المطار ذات اقواس عربية في طابقيها كليهما وفي جميع واجهات البناية. وكنا معشر ركاب الدرجة الأولى أول الواصلين الى البناية الرئيسية وكانت تتقدمنا مضيفة أرضية عندما رأيتها تذكرت الهنديات المتأنقات اذ هي تلبس لباسهن وهو الساري الذي تنسف جزءاً منه فوق احد كتفيها كأنها الرجل المحرم للحج وتدع قسماً من بطنها وظهرها مكشوفاً دائراً من تحت الصدر الى أسفل من السُّرة.

ولاغرو في ذلك لأن اهالى سيلان فيهم شبه من اهالى جنوب الهند كما أن الذين يعتنقون الديانة الهندوكية موجودون وان لم يكونوا أكثرية السكان.

أبطأ وصول الحقائب بسبب ضعف الموصل وهو شريط غير دائر أي أنه يدفع الى الداخل من خارج البناية فتلقفه ايدي العمال لتضعه في الأرض.

وقد رأيت المواطنين يملأون استمارات طويلة تتعلق بالجمارك أما بالنسبة لى أنا فانه ليس هناك الا استمارة

قصيرة يوضح فيها المسافر الواصل كمية النقود التي معه والاشياء الثمينة التي يحملها.

وعندما وصلت الى موظف الجمرك ورأى جواز سفري سياسياً قال: تفضل بكل احترام: تفضل ياسيدي.

وحمل احد الحمالين من ذوي القوام النحيل واللون الاسمر الداكن الذي يقرب من السواد حقائبي وعندما خرجت من المطار لم يكن هناك مساومة كما حدث في باكستان وانما كانت هناك سيارات مخصصة من مصلحة السياحة تنقل الركاب محددة السعر.

وكان أول شخص ناداني وكلمني بلطف شخصاً عليه مظهر أهل شمال الهند أو مظهر العرب الحضرميين الذين عاشوا في المهاجر الا أن مظهره يدل على يسار الحال فقال لي: اتريد فندقاً ياسيدي؟ فأجبته: لقد حصلت على أسماء عدة فنادق من قنصل بلادكم في كراتشي. فقال بلطف: لابد أن فندقنا احدها ثم طلب مني بلطف أن انظر الى الأسماء فوجدته احدهما بالفعل انه فندق (انتركونتنتال) فقال: اسمي محمد عزيز وزير: إن وزير لها معنى في اللغة العربية هام اتعرفه؟ فقلت: نعم انها عضو بالحكومة فهل انت كذلك؟ فأجاب

ضاحكاً: أنا عضو في ادارة فندق كونتنتال!

فقلت له: لابأس من الذهاب معك ولكن الا تنقلون من يريد أن يسكن في فندقكم بالمجان؟ فقال: لايوجد ــ ياسيدي ــ في «سري لانكا» أي (سيلان) شيء بالمجان وانما سيارة الأجرة محددة من الحكومة وقدرها سبعة دولارات امريكية ثم قادني الى السيارة التابعة لمصلحة السياحة وودعني وذهب يبحث عن صيد آخر.

وتسلمني سائق السيارة وكان ثرثاراً افادتني ثرثرته كثيراً وما أن عرف أن كلامه ذو مقام عندي حتى قال لي سوف اريك ياسيدي (كولمبو) في الطريق الى الفندق واذا اردت أن تذهب الى فندق آخر فيه طعام أحسن من طعام فندق (انتركونتنتال) ذهبت بك اليه إنه فندق هندي طعامه يناسبك لأن فندق انتركونتنتال ذو طعام اوروبي وادارته امريكية فقلت: لاأريد الطعام الهندي.

وكان الطريق من المطار الى مدينة كولمبو يبلغ (٣٩) كيلو متراً وهي مسافة طويلة لاسيما في هذا الجو الحار الرطب الذي قد سطعت شمسه وركد هواءه حتى خُيِّل اليَّ انني في جدة في فصل الصيف وقد رثيت لاولئك

القوم الذين هم في بلادهم هذه في صيف رطب دائم.

وسألت السائق عن الطقس؛ فأجاب: إنه جميل جداً لابرد فيه هذا وقد أخذ مني الحر كل مأخذ لانني قادم من الرياض ذات الفصل الشاتي ثم من كراتشي وجوها خريفي معتدل يميل الى البرودة.

ومن عجب أن الناس الذين كنا نمر بهم كانوا يسعون في هذه الشمس الحارة لايبالون بذلك ماعدا بعض الفتيات اللآتي كنت اراهن يحملن معهن الشمسيات إتقاءً من الشمس.

كانت مناظر الطريق تشبه مناظر البلاد الاستوائية في إفريقية وفي جنوب آسيا الشرقي؛ غابات كثيفة من اشجار النارجيل بينها أشجار الموز وبين ذلك أحواض من الأرز قد غرقت في المياه.

وقد مررنا بعدة قرى مابين المطار والعاصمة وهي قرى منفصلة عن العاصمة ولاتحسب منها وقد لاحظت هنا مالاحظته في مدغشقر وهو أن النساء وبخاصة الفتيات لايزلن متمسكات بما يسمى (موضة) اللباس القصير وقد تجاوزتها النساء من الغربيات اللاتي كن القدوة في ذلك من قبل، اذ أن هؤلاء السيلانيات لازلن وبخاصة

الشابات منهن يلبسن اللباس القصير الذي يكون فوق الركبة وفي أحيان كثيرة يكون ماكان يسمى (بالميني جوب) نفسه وهو اللباس القصير جداً.

وكانت مساكن المواطنين تبدو بين غابات النارجيل واشجار الموز كأنها الأكواخ الإفريقية بل هي أكواخ خشبية مسنمة السقوف.

هذا وقد قال السائق: مادام أنه يعجبك أن ترى كل شيء فإنني لن أسرع بالسير وسوف اشرح لك كل ما تمر به، وفوق ذلك سوف أريك معالم العاصمة قبل أن أوصلك الى الفندق وكنت أرغب في ذلك غير أن الحر الرطب والشمس الساطعة قد بدأت تغزو رأسي بالصداع ومع ذلك وافقته.

فكان مما أراني كنيسة كبيرة قال: إنها للكاثوليكيين، ثم أراني معبداً للبوذيين على الشارع العام و يتقدمه تمثال بوذا على هيئة شاب ابيض ذى ملامح مغولية ورأيت جماعة من الفتيات يخرجن منه قال السائق: إنهن قد تعبدن بزيارته. ثم قال: إن للمسلمين في هذه البلاد مساجد كثيرة وإن كانوا أقلية لايزيد عددها على ١٠٪ الا أنهم مهمون وقال: إن الأكثرية هنا هم معتنقو الديانة

البوذية وأنه هو نفسه بوذي ابن بوذى، وأن البوذيين مثل المسلمين يأكلون اللحم.

ثم مرَّ على عدة معابد للهندوكيين مظهرها كمظهر المعابد الصغيرة الموجودة في الهند الا أنهم قد تأنقوا فيها هنا الى درجة أنهم قد كسوا الاقسام الخارجية منها على سعتها بتماثيل لآلهتهم ولغيرها من الحيوانات والمخلوقات مما جعل ذلك يبدو غريباً غاية الغرابة.

في مدينة كولمبو:

وصلت الفندق في الساعة الواحدة ظهراً بالتوقيت المحلي المتقدم ساعة عن توقيت كراتشي وثلاث ساعات عن توقيت المملكة واسرعت الى صندوق الفندق أصرف فيه عشرين جنيها استرلينية فاعطاني فيها ستمائة روبية الا روبية واحدة، وسألت السائق عن أجرة السيارة فقال: إنها مائة وعشر روبية أي ثلاث جنيهات استرلينية ونصف أو مايساوي واحداً وعشرين ريالاً سعودياً فأعطيته معها من الحلوان (البقشيش) ماشكره واكثر من شكره.

أما صاحب الفندق فقد قال إنه سيضع لي سعراً خاصاً لكون جوازي سياسياً ثم انزلني في غرفة في

الطابق الثامن تطل على شاطىء المحيط المنسق ابدع تنسيق والجميل غاية الجمال إذ المنطقة هذه من مدينة (كولبو) هي المنطقة الحديثة الفاخرة وقد ساعدهم على ذلك وفرة الامطار فكان شاطىء المحيط الذي لايفصل بينه وبين فندقنا الا شارع مضاءاً بالكهرباء وموشى بالزهور الملونة وحذاء الفندق دائرة من الزهور تلف حولها السيارات وتتوسطها نافورة جميلة ملونة وتقابلها بناية مجلس الأمة على طراز روماني بني من عهد الانكليز وهي تطل على بحيرة صناعية من جهة الشرق فيها عدد من النافورات البيض. ومما يذكر أن سير السيارات عندهم الي اليسار كما هي عليه في الهند وباكستان لأنهم لم يغيروا ذلك منذ أن خلفه لهم الاستعمار الانكليزي.

المطبخ السيلاني:

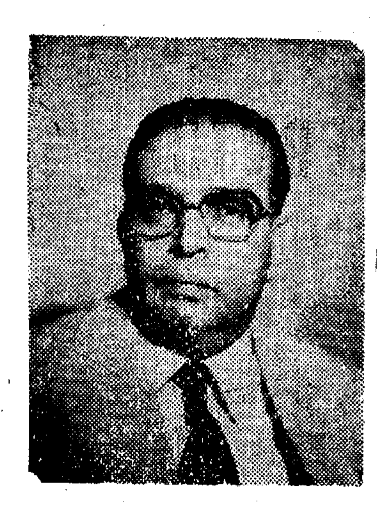
نزلت الى المطعم الذي يقع في الطابق الأرضي من الفندق وكانت قائمة الطعام فيها عنوان: «من المطبخ السيلاني» وتحته عدة أشياء فقلت لأجرب مطبخهم فطلبت منه طبق خضروات متنوعة وارزاً بمرق السمك. فأحضروا طبقاً فيه قليل من الأرز الشبيه بالارز المصري مطبوخاً طبخاً خفيفاً وبجانبه اربع كومات صغيرة احداها من البطاطس المطبوخة مع الفلفل الحار الكثير والأخرى

من جوز الهند والثالثة من خضار لاادري ماهو والرابعة من بصل مسلوق وطبقاً آخر فيه قرص صغير من خبز الأرز اليابس كنت قد ذقته في بلاد المليبار وأخبروني أنهم يخبزونه على الشمس وأنه لايقرب النار. أما طبق الخضار فكان معتاداً فيه شيء من الفاصوليا وشيء من نوع من القرع لااعرفه. ثم جاء السمك ومرقه في طبق غير كبير يشتمل على قطع من السمك السمين ذي اللحم الشبيه بلحم التونة. وكانت وجبة جيدة شهية و بلغت قيمتها ثلاثا وستين روبية من عملتهم و يساوي ذلك ثلاثة عشر ريالاً سعودياً.

يوم الجمعة ١ محرم ١٣٩٩هـ الموافق ١٩٧٨/١٢/١م.

مع وزير النقل:

السيد محمد حنيفه محمد. هو وزير النقل في الحكومة الحالية وكان وزيراً في عدة وزارات سابقة وهو من زعماء المسلمين الأوائل الذين التقيت بهم في المدينة المنورة أول الأمر. وكانت رابطة العالم الأسلامي قد ارسلت إليه برقية مطولة بشأن قدومي. وقد



الوزير محمد حنيفه محمد

اتصلت اليوم بمكتبه فكلمني كاتبه أو سكرتيره كما يقول المتأخرون، وقال: إنه كان متوقعاً حضورك قبل ذلك،

وبعد قليل اتصل بي محمد حنيفه نفسه من بيته وقال: إنه يأسف لعدم استطاعته المجيء الى الفندق لكونه مريضاً بسبب كارثتين حلتا في بلاده، وبذل جهداً عظيماً لمكافحتها جعله يمرض أولها: كارثة الطائرة الايرلندية المؤجرة لاندونيسيا وقد ذهب ضحيتها قرابة مائتين من الحجاج اذ سقطت في الليل في منطقة من مناطق غابات النارجيل فاحترقت وتناثرت اجزاؤها وتناثرت معها جثث القتلى من ركابها. وقال: إنه بصفته مسلماً وبصفته وزيراً للنقل فانه سعى في هذا الأمر سعياً كاملاً في إسعاف الذين لم يموتوا وتمريضهم، وفي تجهيز الموتى. والحادثة الثانية هي الاعصار الشديد الذي ضرب المنطقة الشرقية من جزيرة سيلان وصاحبته فيضانات هائلة كان ضحيتها عدداً من المسلمين وقد ارهق نفسه بصفتيه تلك في مواجهة ذلك.

ثم قال: إنه سيبعث صهره أو ابنه في القانون طبقاً للتعبير الانكليزي مع سيارته لمقابلته في بيته.

وبعد قليل كان قد حضر صهره الى الفندق وكانت سيارته مكيفة الهواء ولذلك لم اعان من شدة الحر والشمس ماعانيته امس.

واخترقنا مدينة كولمبو حتى وصلنا اليه في منطقة تسمى بوريلا أو كولمبو رقم (٨) في منطقة شبيهة بالضاحية غاصة بالاشجار الكبيرة كاشجار العمبة (المانجو) والاشجار الباسقة كالنارجيل الى جانب الاشجار الأخرى التي هي اقصر من هذين النوعين. ومنزله دارة أي: فيللا قديمة كبيرة اخذ يطل علينا من ابوابها عدد من الخدم والاتباع. وفي قاعة الاستقبال جاءنا الوزير وهو يرحب وقال إنه مصاب في جنبيه وأن هذه هي اول مرة يقابل فيها أشخاصاً بعد مرضه.

ثم ابتدأ الحديث مباشرة فقال: إن سيارتي مكيفة الهواء سأضعها بين يديك ومعها صهري هذا ليكون في خدمتك طول بقائك في سيري لانكا ــ أي سيلان ــ انت ضيفي فقد طلبت مني الرابطة أن اكرمك غاية الاكرام وأن أسهل لك كل ماتريد.

فشكرته على ذلك وقلت له: انما الذي يهمني هو الحصول على أكبر قدر من المعلومات في اقصر وقت وأن اشاهد كل مايمكن مشاهدته مما يهم المسلم. ومما يهم السائح الأجنبي. فقال: لك ذلك ثم شكرته.

وقد شربنا عنده الشاي الذي قدمه في أوانٍ من

الزجاج التي وضعت في اغطية من معدن ابيض ثقيل وهذا شيء لم أره عند غيره وفيه فائدة أن الشارب يمسك الفنجان بواسطة عروة من هذا المعدن الثقيل الذي غلف به الفنجان الزجاجي فلا يحس بحرارة الشاي في يده.

مسجد كولمبو الكبير:

كان موعد صلاة الجمعة قد أزف وقد طلبت أن تكون الصلاة في أهم جامع فيها فقالوا: إنه مسجد كولمبو الكبير أو جامع كولمبو الكبير.

وحدثونا عن تاريخه فقالوا: إنه أول مسجد في كل جزيرة سيلان وإن الذين بنوه هم العرب قبل اكثر من اربعة قرون وأن من الادلة على ذلك أن البرتغاليين عندما وصلوا الى هذه البلدة وضعوا خريطة لها اثبتوا المسجد وكان هو المسجد الوحيد فيها.

الا أن بنايته حديثة لم يمض على اتمامها الا اربع سنوات أما البناية القديمة فلم يبق منها الا بعض الحيطان الخارجية وأصول بعض الجدران في الفناء الخارجي.

ولما وصلنا الى المسجد وجدنا الامام قد دخل لتوه وبدأ الخطبة وكان يخطب باللغة التاميلية التي هي اللغة

الثانية في سيلان وهي لغة اكثر المسلمين في هذه البلاد. وكان المسجد غاصاً بالالآف من المصلين ولم يكن في الصفوف الامامية متسع الا أن شخصاً بادر إلّي عندما دخلت وقدمه لي مرافقي الاستاذ جمشيد محمد عارف عبد الجبار بقوله: إن هذا هو سكرتير المسجد وتقدمني يشق الصفوف حتى قرب الصف الأول وكنت وهو يفعل ذلك أتذكر أين رأيته فعرفت انني رأيته في مؤتمر جامعة دار السلام في عمر أباد بجنوبي الهند.

كان الخطيب يلبس لباساً عربياً هو الوحيد مع لباسي أنا في هذا المسجد فكان عليه قميص عربي يضرب الى الكعبين وغترة بيضاء فوقها عقال وقد لبس عباءة سوداء ربما كانت من صنع محلي لانها غير ناعمة وكان وهو واقف يمسك بيده اليسرى عصا طويلة على شكل رمح مهذب له في اعلاه كرة بيضاء صغيرة و بيده اليمنى ورقة ينظر اليها وهو يخطب.

أما الجماهير في المسجد فكانت كثرة عجيبة وقد جاؤا بأولادهم للصلاة بل بأطفالهم وقد البسوهم لباساً نظيفاً وهم أنفسهم نظيفوا الاجسام، والاطفال على غاية من الأدب في المسجد ومن الطف مارأيته من لباس الاطفال أن على رؤوسهم طواقي ــ جمع طاقية ــ مثل الكبار الا

انها صغيرة ربما كانت قد فصلت واعدت لصلاة الجمعة اذْ لم ار الناس يلبسون الطواقي في غير الصلاة.

وبعد أن استمر الخطيب في خطبته باللغة التاميلية لفترة ليست بقصيرة سكت هنيهة ثم جعل يخطب خطبة أخرى قصيرة باللغة العربية لايفهمها بطبيعة الحال الا هو وأنا، ثم جلس قليلاً ونهض ليخطب خطبة أخرى بالعربية كان أكثرها دعاء وكان المصلون يتابعون بالتأمين على دعائه مع انهم لايعرفون معناه ولكن ربما كان ذلك بسبب العادة والتكرار.

ثم اقيمت الصلاة وكان أهم مايلفت النظر فيها هو رفع اصواتهم بالتأمين رفعاً ربما صح القول بأنه مزعج إذْ يرفعونها رفعاً شديداً جداً.

ولما سلّم الأمام من الصلاة بادرت قلة قليلة من الناس فقامت لاداء ركعتي السنة اما الاكثرية فانهم بقوا لأن للذكر بعد الصلاة بقية لم تأت بعد اذْ أخذ الإمام يُهلّل ويسبح وأخذ المأمومون يتلون التهليل والدعاء بأصوات جماعية منغمة استمرت طويلاً.

وبعد الصلاة انتظرت قليلا لأن التجول في المسجد عند ازدحامه بالمصلين معناه أن هؤلاء جميعهم سيكون منهم

سلام ومصافحة الا أن الذين بجانبي والذين رأوني عند الدخول بادروا جزاهم الله خيراً بمصافحتي والسلام علي وبعضهم ينتزع يدي فيقبلها كل ذلك كان حبا للعرب أهل الاسلام.

وبادرت الى الامام أسلم عليه فاذا به شيخ في حدود الخامسة والستين من أهل هذه البلاد اسمه محمد حسين عبد الحميد تعلم في الازهر وتخرج منه عام ١٩٥٠م. ويعرف العربية جيداً الا أنه يظهر أنه لم يكن كثير الاستعمال لها. اذ بعض الالفاظ المستحدثة غير الموجودة في اللهجة المصرية لايعرفها.

هندسة المسجد:

أما بناء المسجد وهندسته فهي غريبة جداً اذ بني على شكل مسجد رئيسي تعلوه قبة مدورة كبيرة تشبه القباب العربية أي: الفن العربي في البناء تحملها مع باقي المسجد أعمدة عالية ترتفع الى مستوى اربعة طوابق أو خمسة من طوابق العمارات السكنية غير انهم أقاموا في جوانبه الثلاثة أي: ماعدا الجانب القبلي اروقة واسعة فوقها اروقة فكانت جوانب المسجد من ثلاث طوابق أما المسجد الرئيسي نفسه الذي تعلوه القبة فهو طابق واحد،

وبعبارة اوضح يمكن أن يقال إن هذه الطوابق الإضافية على جوانب المسجد الثلاثة شبيهة بالأروقة في دور السينما وقاعات البرلمانات، في العالم التي يكون فيها الصحفيون أو من يراد له أن يشرف على الاجتماع ولايشترك فيه وإضافة الى ذلك جعلوا في هذا المسجد طابقاً أرضياً إضافياً للصلاة عند الحاجة.

ومع هذه السعة فقد لاحظت أن المسجد كاد يضيق بالمصلين وسألت الامام عن العدد التقريبي للمصلين فأجاب: أن المسجد يتسع لخمسة عشر الف مصلٍ. وأظن أن الذين صلوا فيه على كثرتهم لايبلغ عددهم هذا المقدار.

وكل هذه الاعمال والجهود والنفقات تولاها أهل البلاد فالمهندس الذي صممه وأشرف على بنائه هو وطني مسلم اسمه سيد محمد عبد الرحيم والنفقات كلها من الأهالي جمعوها بالكد والتعب وقد ظلوا مدة طويلة يجمعون منها بعد صلاة الجمعة في انحاء البلاد حتى وفروا مابنوا به هذه البناية العظيمة وقالوا: إنهم لايزالون بحاجة الى المزيد من الجمع لاكمال المسجد وبخاصة إكمال مرافقه. كما أنهم بحاجة الى شراء فراش له اذ لاحظت أن المصلين يصلون على البلاط بدون فراش ماعدا بعض

اركانه التي لم تبلط بعد يوجد بها فراش قديم.

كما أن دورات المياه تحتاج الى اصلاح وهذا المسجد هو أول مسجد أسس في كل أنحاء جزيرة سيلان ولذلك كان له مقام كبير عندهم فإمامه هو في الوقت نفسه مأذون أنكحة وهو قاضي صلح في المسائل الزوجية ويتسلم مرتبه من الجمعية الاسلامية التي تشرف على المسجد.

ومن هذا المسجد يعلن دخول شهر رمضان وأيام العيدين لجميع أهالي سيلان.

ومن ألطف مارأيته في فنائه أنني رأيت مدفعاً هناك فجعلت افكر في مغزى وجود هذا المدفع في فناء المسجد وقلت: ربما كان هذا مدفعاً اثرياً كان المسلمون قد دافعوا به عن أنفسهم في وقت من الاوقات غير أن إخواني اخبروني أن هذا المدفع يستعمل للاعلان عن موعد دخول شهر رمضان وعن مواعيد السحور وموعد الافطار كل يوم من ليالي رمضان وأن الحكومة لا تمانع في إطلاقه رغم أن المسلمين اقلية في البلاد.

وفي الطابق الثالث من احد جوانب المسجد ذوات الطوابق المتعددة رأينا مدرسة قرآنية لأطفال المسلمين كما

هي العادة في معظم البلاد التي يكون فيها المسلمون اقلية اذ يجعلون في المسجد مدرسة ملحقة.

خرجنا في جولة فيما حول المسجد الذي هو كله تابع له وهو وقف من اوقاف المسلمين فأرونا موقع المسجد الأول القديم وهو صغير الا أن حوائطه كلها قد تهدمت ماعدا بقية السور الخارجي كتب عليها بخط عربي واضح هذه الجملة العربية وبهذا الشكل (كُلَمْبُ مسجد الكبير) وضبطوا كلمة كولمبو هكذا بالشكل.

وبجانب المسجد لايفصل بينهما الا مجرد بناية مدرسة قديمة كانت تسمى المدرسة الحميدية كتب عليها تاريخها بالعربية بخط رديء بالعبارة التالية: (حسن الثواب: المدرسة الحميدية: جمادي الأولى ١٣١٨هـ) ولعل هذا هو تاريخ بنائها هذا الذي هو بناء بالأجر الاحمر المطلي بطلاء قوي شامل يظهره وكأنه بناء حجري وتعلوه ثلاث منائر او قل. شعائر لانها لا تتصل الى حد أن تكون منارة رسم على كل منها هلال تتوسطه نجمة.

وقد خرجت من هذا المسجد وأنا معجب بإخواننا المسلمين في هذه البلاد الذين هم على فقرهم وحاجتهم للمساعدة يقومون بشؤونهم بانفسهم. وقد سألت عن عدد

المساجد التي تقام فيها الجمعة في كولمبو العاصمة وحدها لأنني عندما رأيت هذا العدد الكبير من الناس ظننت أن المسجد هو مسجد الجمعة الوحيد فأجابوا: إن عددها اربعة عشر جامعاً.

الى ماكولا:

ماكولا: قرية صغيرة جميع سكانها من المسلمين تقع على بعد ثمانية كيلات من الفندق الذي اقيم فيه في الحي الحديث من مدينة (كولمبو) وهى تقع على حدود المساحة التابعة لمدينة (كولمبو) ولكنها خارجة عنها.

وذهابنا اليها لزيارة دار الأيتام المسلمين فيها. فخرجنا من الفندق في الساعة الخامسة والنصف من أمسية جميلة قد غابت شمسها خلف غيم خفيف سيشيعها الى خدرها الذي ستختفي فيه خلف مياه المحيط فتريح اهالي هذه البلاد من حرها الى حين.

واخترقنا كولمبو التي فيها سيارات ولكنها ليست كثيرة جداً بالنسبة الى البلاد التى تماثلها في مستوى المعيشة لأن الضرائب التي تأخذها الحكومة على سيارات الركوب الصغيرة تبلغ مائتين في المائة. أما الوقود فانه ليس غالياً جداً بل هو ارخص منه في الهند بكثير. ولكن الذي

يضايق في هذه الطرق كثرة الحافلات التي يركب فيها عامة الناس لأن عدد الذين يملكون السيارات في سيلان محدود جداً وهذه الحافلات اكثرها إن لم يكن كلها يعمل بالديزل وبعضها قديم أو غير صافي المحرك فتراها تخرج سحبا من الدخان الكثيف تؤذي الأنوف والابصار.

وصلنا دار الايتام فوجدنا طلابها يتقدمهم المدير وهو شيخ مسن ابيض اللحية نحيف القوام، سمح الوجه على وجهه علامات الصلاح والتقوى وهو يعرف كلمات بالعربية ولكني عندما ماأردت أن اتحدث معه بالعربية اعتذر عن ذلك وقال: إنه يستطيع أن يتحدث معي بالانكليزية أما العربية فإن هذا ــ واشار الى شاب يقف بين الوقوف ــ هو يعرف لسان العرب وكان بالفعل يعرف قدراً كبيراً من العربية لاسيما اذا تكلم الانسان معه بالفصحى المألوفة في الكتب القديمة وسألته: اين تعلم العربية؟ فأجاب في سيلان، إنني لم اخرج عن هذه البلاد.

وكان موعد صلاة العشاء قد أزف فقالوا: الى المسجد؟ فقلت: الى المسجد ويقع في مكان قريب فذهبنا اليه سيراً على الأقدام محاطين بجماعة من إخواننا المسلمين وبخاصة من ايتام المسلمين وسط غابات كثيفة

من اشجار النارجيل واشجار المانجو وكان الجو جميلا خفيف الرطوبة، وفيا كنا نسير الى المسجد كان صوت المؤذن من مكبر الصوت يصدح بالنداء العظيم. الله اكبر، الله اكبر، فتردد اصداءه فروع الاشجار الباسقة وتستجيب لندائه قلوب المؤمنين في هذه البلاد.

ولو رأى إخواني في البلاد العربية وجه ذلك الشيخ الوقور مدير دار الايتام في ماكولا الشيخ عبد الجبار محمد جابر وهو يطفح بالسرور الممتزج بالدهشة او قل الارتباك شأن من يرى من يحبه وكان بعيدا عنه ثم رآه بجانبه لأكبروا عاطفته ولقالوا في هذه المناسبة كما قلت أنا في ظهر اليوم وأنا أشاهد خطيب الجمعة في جامع كولمبو الكبير وهو يرتدى الملابس العربية لكي يعلو مقامه في نفوس المسلمين، وليتشبه بنا نحن العرب المسلمين لو رأوا ذلك لقالوا كما قلت آنذاك؛ ماذا ضيعنا نحن العرب من اشياء ثمينه ومنها المسلمون في أوطانهم النائية الذين يتعلقون بنا ويحبوننا و يتألمون لألمنا و يفرحون لفرحنا و بعضنا يهرب منهم بل لايطيق أن يسمع عذل العاذلين له في تقصيره بحقهم، و بدلا من ذلك ينفق الأموال الطائلة في سبيل الدعاية بين قوم رباهم اعداء الاسلام على بغضنا، وحذروهم من أن يغلبهم ديننا على قلوبهم ومن أن

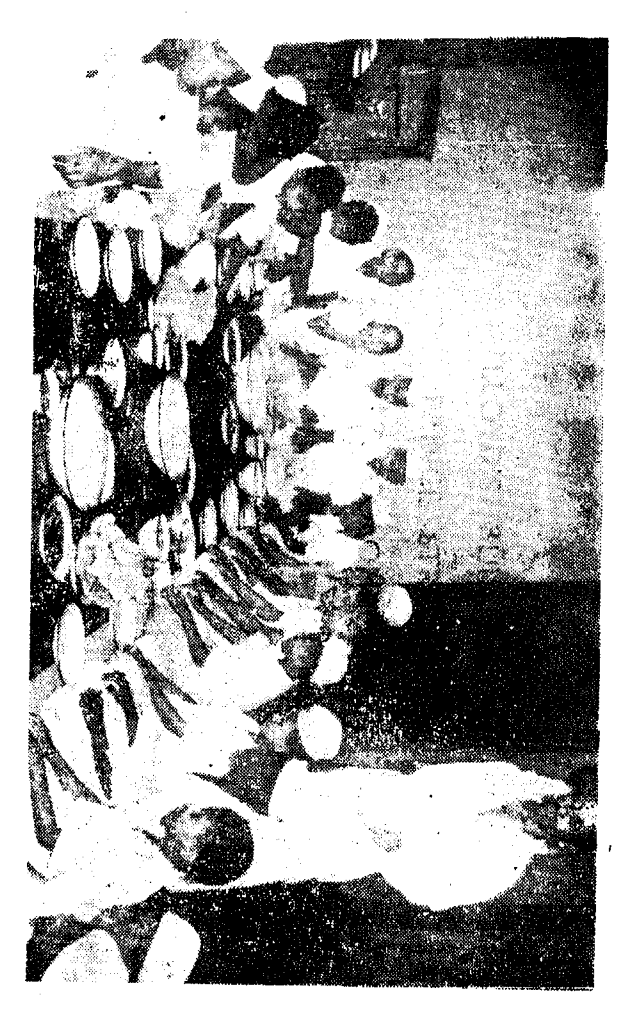
تنتشر ثقافتنا بينهم بل انهم يحاولون أن يشوهوا حتى ماضينا الثقافي الذي لايستطيعون أن ينكروا وجوده ولا أن ينكروا أنه كان احد الهداة الذين هدوهم الى ماهم فيه من حضارة وماهم عليه من مدنية.

ونحن اذْ نقول ذلك لانقول إنه يجب علينا ألاانلقي بالاً لتحسين سمعتنا أمام اولئك الأعداء وأن نلغي وسائل الدعوة والدعاية بينهم بل نقول إنه يجب علينا أن نفعل ذلك وفي الوقت نفسه نوثق صلاتنا بهؤلاء الأخوة من المسلمين في أنحاء العالم وهم عددٌ كبير ذو تأثير ليس باليسير في مصائر بلادهم.

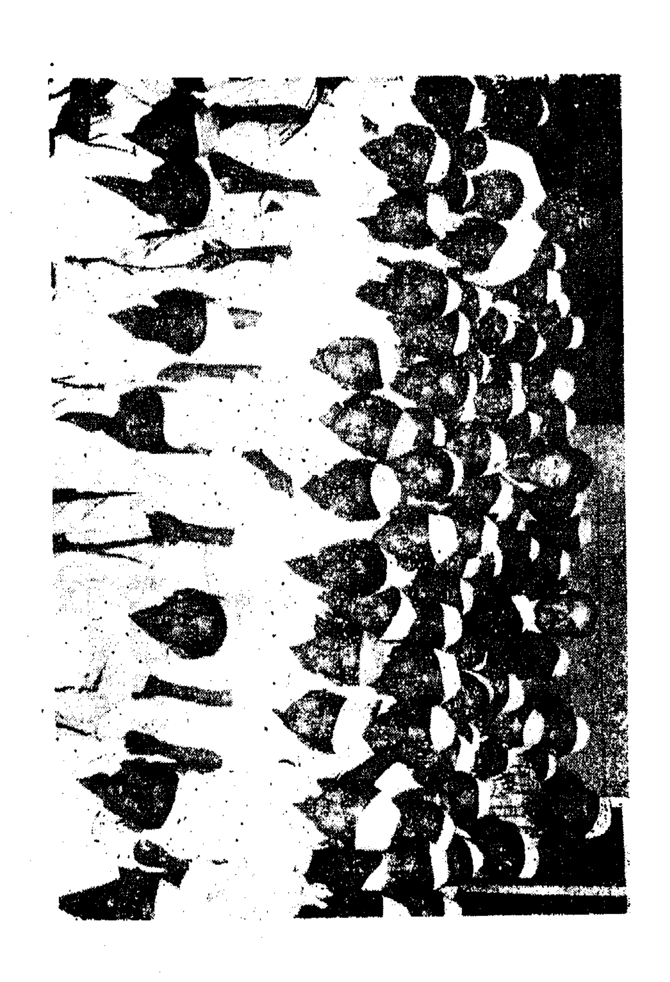
مسجد الايتام:

طلب مني إمام المسجد ومؤذنه و بقية الاخوان أن أومهم في صلاة المغرب فأجبت وصليت بهم صلاة ربما يستنكرون منها كوني لم أجهر بالبسملة قبل الفاتحة وقبل السورة التي بعدها ذلك بأن القوم شافعية يجهرون بها. كما انهم بعد الصلاة قد اعتادوا أن يجهروا بالتسبيح والتحميد والذكر بصورة جماعية يقودهم الامام ولكننى لما لم أفعل ذلك أخذوا هم يهللون و يكبرون بصورة جماعية و باصوات منغمة ضجت لها جنبات المسجد.

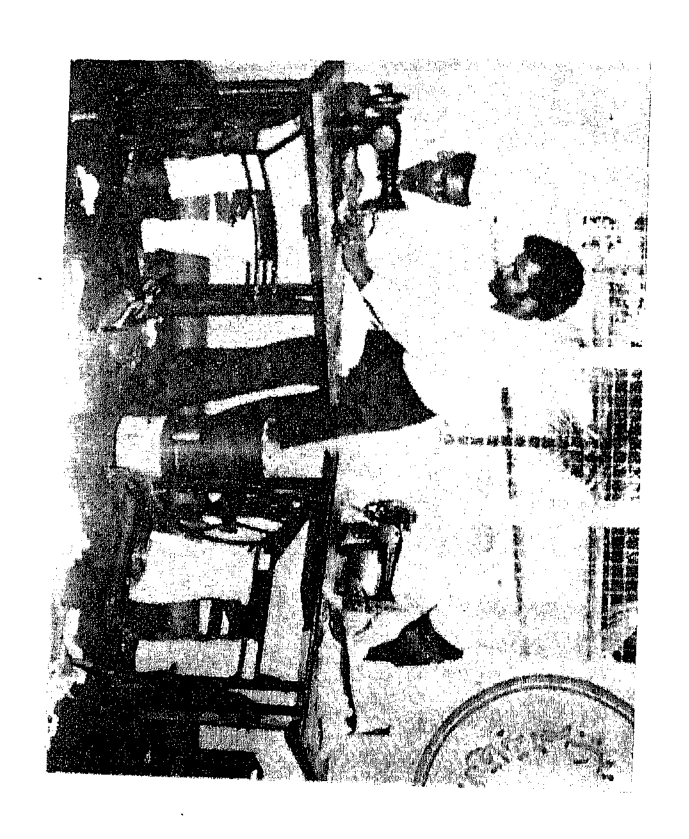
ثم لما فرغوا من ذلك قمت وتكلمت بكلمة وجهتها اليهم وبخاصة الأيتام منهم وطلبت من الجميع أن يتذكروا أن الاسلام دين عمل وعقيدة ينبغي على المسلم بل يجب عليه أن يكون عاملاً بالاسلام في كل اموره حتى يكون مسلماً حقاً وحتى يكون قدوة لمن يريدون أن يدخلوا في الاسلام، وأنه اذا لم يفعل ذلك لم يكن بينه وبين غيره فرق فيما يظهر للناس واعتبروه كغيره من ارباب الديانات الأخرى، وقد كان يترجم الكلمة الى اللغة التاميلية لغة المسلمين في هذه البلاد الشخص الذي يعرف العربية وهو احد المدرسين في مدرسة دار الايتام.



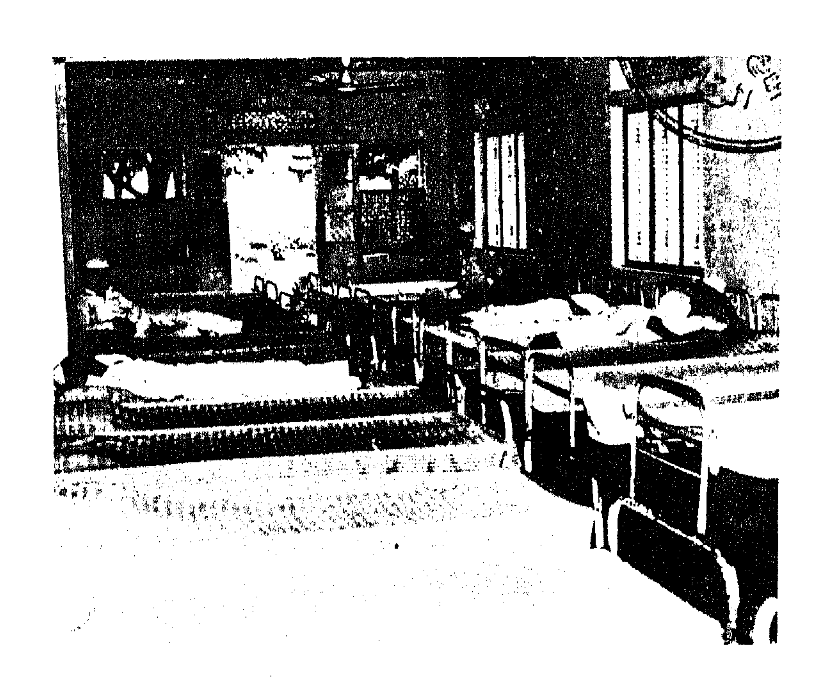
الايتام في دار الأيتام في ماكولا اثناء تناول طعامهم.



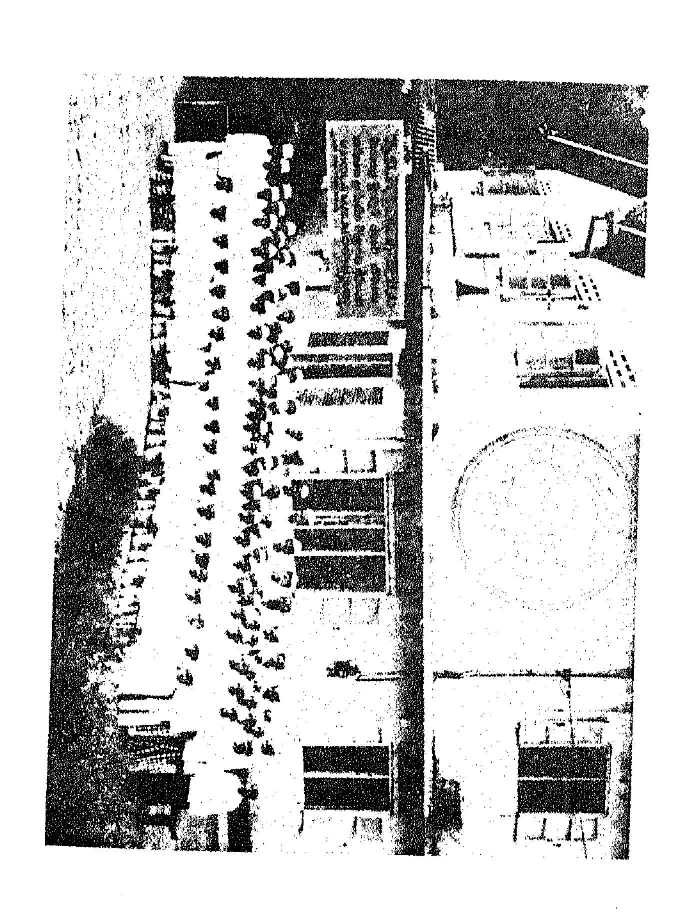
السفير السعودي الشيخ صالح العبد الله الصقير في زيارة لدار الأيتام هذه.



تمرين على الخياطة في دار الأيتام في ماكولا.



منظر من مهاجع الطلبة في دار الأيتام في ماكولا.



يلاحظ زيهم الموحد.

والأيتام يأكلون و يشربون و يقيمون و يلبسون و يتعلمون فيها العلوم الاسلامية أما العلوم الأخرى التي يسمونها الأكاديمية أي اللغة الانكليزية والعلوم العصرية فانهم يذهبون الى كلية الزاهرة يتعلمون فيها.

وحدثنا الشيخ عبد الجبار مدير الدار بينما كان يقدم الشاي السيلاني: بان الدار تتلقى معونة من دار الافتاء ومن رابطة العالم الإسلامي وانها مع ذلك عاجزة عن التوسع في عدد طلابها. وقال: إننا ممكن أن نتوسع اذا وجدنا المعونة لأن عدد ابناء المسلمين المحتاجين من اليتامى كثير غير أن ذلك يقتضي منا زيادة في المصاريف لانستطيع القيام بها.

وقال: إننا لانقبل أي مساعدة من الحكومة السيلانية لأننا اذا قبلنا بتلك المساعدة فاننا سنضطر الى إدخال أيتام من غير المسلمين ونحن بحاجة الى سد العجز في هذا العدد عند ايتام المسلمين لأن الحكومة لا تساعد الاّ الدور التي تقبل الايتام من جميع المذاهب.

ثم قال وهو يظهر ذلك بشيء من التهويل والتأثير: اتدري اننا ننفق شهرياً على هذه الدار ستة عشر الف روبية؟ فاستفسرته ثانيا عما قاله فأجاب: نعم ستة عشر

الـف روبـيـة، إنـه مبـلغ كبير من اين لنا أن نوفره ونوفر اكثر منه حتى تزيد امكانيات المدرسة؟

وكـان يـقـول ذلـك وأنا امانع نفسي من أن أقول له: ياشيخ احمد الله واشكره على هذه البركة التي حلت في داركـم هـذه وفـي سـعيـك هـذا. إنـك تعني خمسة الاف ومـائـتـي ريال سعودي في الشهر وهذه في بلادنا يأخذها موظف صغير، وفي خارج الحكومة فإن العامل الذي يكون عـامـلاً فـي الـنـخيل في بلادنا أي يحتاج عمله الى شيء قـلـيـل مـن الخـبـرة في شئون النخيل يتقاضى وحده خمسة الآف ريـال فـي الـشـهـر. وانتم تُـعـيـشـون مائة يتيم ويتيم معيشة كاملة ومعهم عدد من المعلمين وتكسونهم بذلك.

ولـو كـان مـثـل هـذا المـعـهد في بلاد أخرى لما كفاه خمسمائـة الـف ريـال في الشهر بلا شك ولكنها البركة الـتـي حـلـت فـي هذا السعى المتواضع مع مستوى المعيشة المـنـخفض في هذه البلاد على وجه العموم على أن الذي يـنـبغي أن ينوه به هنا أن مظاهر الطلاب الصحية في هذه الـبـلاد عالية جداً فأبدانهم يدل مظهرها على انهم يتغذون تغذية جيدة وملابسهم نظيفة رغم الجو الحار الرطب.

وبـعـد ذلـك تـقـدم خمسة من كبار الطلاب وانشدوا

باللغة العربية نشيداً أو هو بين النشيد والدعاء من كلماته:

الحَمْد لله   يَارَبَّ العَالَمِيْن
ارْحَمْنَا يَا   أرْحَمَ الرَّاحِمِيْن
ايَّاكَ نَعْبُدُ   وَايَّاكَ نَسْتَعِيْنْ
نَرْجُوا الهدَايَةَ   أيْتَام المُسْلِمِيْن
يَاسَاتِرَ العَيْبْ   وَيَاعَالِمَ الغَيبْ
رَبُّنَا ارْحَمْ   رَحِيْمَ الأيْتَامْ
كَمَا رَحِمتَ   خَوَاصَّ الصَّالِحِيْن
ارْحَمِ الْوَالِدَيْنْ   ارْحَمَ المُرْشِدِيْن
وَسَائِر المُسْلِمِيْن   ارْحَمَ الرَّاحِمِيْن
أيِّد دَارَ   أيْتَامِ المُسْلِمِيْن

ثم انصرفنا من هذه المدرسة بعد أن أرونا مهاجع الطلبة وقالوا لنا إنها تحتاج الى توسعة والأرض عندهم موجودة غير أن النفقة الضرورية ليست متوفرة تماماً.

واخترقنا شوارع العاصمة وكانت بعض الحوانيت لا تزال مفتوحة وبعضها قد اغلق ابوابه وبين الفترة والأخرى كنا نمر بحانوت ومحل تجاري فيقول مرافقنا جمشيد

محمد عارف: إن هذا المحل وهذا الحانوت يملكه مسلم وهذا ليس بغريب لأنني أعرف من قبل أن المسلمين كانوا من كبار التجار في الماضي ولكن الذي لم أعرفه الى الآن أن هناك عدداً من شوارع كولمبو مسماة على اسماء مسلمين ومنها شارع يسمى(شارع عبد الجبار) على اسم جد مرافقنا الذي هو جمشيد بن محمد عارف وهذا الاسم المزدوج هو اسم والده بن عبد الجبار الذي سمي هذا الشارع باسمه وشارع آخر اسمه (شارع غوش محيي الدين) وآخر اسمه(شارع الحسينية).

وهذا يدل على مكانة المسلمين في هذه البلاد رغم انهم قلة فيها كما سبق .

النادي الممتاز:

كانت زيارة مدرسة الأيتام آخر فقرة في برنامج زياراتنا هذا اليوم وكان لايزال في الوقت بقية فرأيت إعلانا في غرفتي يقول: تستطيع أن تتناول عشاءك في النادي الممتاز في قمة الفندق فقلت: لأنظر ذلك وصعدت اليه في الدور العاشر وكان موقعه بالفعل جميلا اذ يطل المرء من خلال جدرانه الزجاجية على قسم كبير من أنحاء مدينة كولمبو وبخاصة من شاطىء البحر الذي تتكسر

امواجه على الحاجز الذي يفصل بينها وبين المدينة عند شارع (الكورنيش) فلا يرى المرء من البحر من خلال الأضواء واضحا الا شظايا تلك الأمواج تتراقص كأنها الفراشات البيض اللاهية.

وفي هذا المطعم وضعوا أصناف الطعام الموجود فيه نيئة ومطبوخة معروضة للناظرين لك أن تختار منها مايعجبك وقد كان الذي أعجبني شواء من لحم العجل لانني كنت قد أكلت في الغداء من السمك اللذيذ الذي يشوونه و يصنعون منه ما يسمونه(استيك) كما يفعل غيرهم بشرائح لحم العجل المشوي. فأحضر الي خارج المائدة قطعا طرية من لحم البقر وقال لك أن تختار مايعجبك من أي موضع من اللحم إن شئت أن يكون دسما كان وان شئت غير ذلك.

وكان معه ميزان وزن ماأردت ثم انصرف وجاء به بعد قليل وهو حنيذ لذيذ ومعه عصير من عصير (الأناناس) الموجود بكثرة في بلادهم وطبق من السلطة الخضراء وكان عشاءاً لذيذاً وعند ماجاءت قائمة الحساب قال: انه مائة وثلاث وتسعون روبية أي اربعون ريالاً سعودياً ولو كان هذا المبلغ في البلاد الأوروبية لكان معقولاً ولكنه

في هذه البلاد غير معقول ولقد كنت في الليلة البارحة أكلت الوجبة بثمان واربعين روبية في مطعم الفندق نفسه أي أقل من ثلث هذا المبلغ وعجبت من كون هذا المطعم أصبح نادياً وأصبح ممتازاً لكونه غالي الثمن والا فانني لم أر فيه مايميزه عن غيره الا فرقة من الموسيقيين كانت تعزف موسيقى غربية عادية وذلك أمر لايجعله ممتازاً ولايستحق كل هذه الزيادة في سعره.

يوم السبت ١٣٩٩/١/٢هـ ١٩٧٨/١٢/٢م

في الكلية الغفورية:

سموها الغفورية نسبة الى مؤسسها وواقف أرضها الحاج الشيخ المرحوم إن شاء ربه عبد الغفور بن نور الدين وهو ثري محسن من اثرياء المسلمين ومحسنيهم في هذه البلاد.

لقد اشترى أرضاً مساحتها اربعون فدانا أي: اربعمائة الف متر مغروسة أرضها بأشجار المطاط المثمر ومعها اشجار النارجيل والمانجو وأوقف ذلك كله على هذه الكلية التي تقع وسط منطقة بوذية لايسكن حولها أي مسلم الا ماكان من أمر بيتين من بيوت المسلمين سكنا بعد ذلك.

وجعلها كلية اسلامية يتعلم فيها الطلاب و يقيمون و يأكلون و يشربون و يلبسون حتى يتخرجوا منها وقد حصلوا على قدر من العلوم يؤهلهم لتدريس اللغة العربية والدين الاسلامي في المدارس الاسلامية الصغيرة في سيلان وفي مدارس الحكومة التي لا تمانع في ان يدرس مادة الدين الاسلامي ومادة اللغة العربية لابناء المسلمين مدرسون مسلمون وتعطيهم مكافآت مقابل ذلك، وتمنح الكلية شهادة يسمونها شهادة (مولوي عالم).

ذهبنا في الساعة التاسعة صباحاً إليها على سيارة مكيفة الهواء اعدها لنا الوزير الشيخ محمد حنيفة وسرنا الى جهة الغرب من مدينة كولمبو قاصدين البلدة التي تقع فيها واسمها (مهراجاما) وتبعد عن العاصمة ١٧ كيلو متراً.

وكان يصحبنا الى جانب المرافق الأخ جمشيد محمد عارف بن عبد الجبار مرافق آخر هو الشيخ احمد مبارك بن محمد مخدوم وهو قد اصبح يجيد العربية بل أصبح يحمل شهادة إتمام الدراسة العالية من الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة بين زيارتي الأولى لسيلان وزيارتي هذه، ففي المرة الأولى جاء إليّ في الفندق مع بعض الاخوان الذين اعرفهم وابدا رغبته في أن يحصل على منحة دراسية

من الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة وكنت في ذلك الوقت اعمل فيها فاختبرته ثم أخذت اوراقه معي وارسلت اليه تذكرة الإركاب والحقته بالجامعة فواصل دراسته فيها ثم نجح منها في العام الماضي، فتعاقدت معه دار الافتاء في المملكة على أن يعمل داعية الى الله ومرشداً في هذه البلاد على نفقتها وهو يدرس الآن بالفعل في هذه الكلية الغفورية التي كان قد تخرج فيها قبل أن يلتحق بجامعة المدينة كما يدرس يومين في الأسبوع في الجامعة التنظيمية التي سوف نزورها ونتكلم عليها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وكان يتكلم العربية بطلاقة بطبيعة الحال. وكان متحمساً لهذه الكلية الغفورية التي تخرج فيها الا أنه يقول كما قال غيره: إن مستواها قد ضعف الآن وأن عدد طلابها قد قلَّ مما حمل طائفة من خريجيها على التجمع وبحث امر تقويتها لأنهم يعلمون أن اشجار المطاط التي في أرضها الواسعة تنتج محصولا من المطاط لابأس به وقد ذهبوا الى القائمين عليها وهم أولاد المؤسس المرحوم الحاج عبد الغفور فتواعدوا معهم على ذلك في يوم معين غير أن كارثة الفيضان والاعصار التي لحقت بالاجزاء الشرقية من جزيرة سيلان وفي سكانها عدد كبير من المسلمين قد شغلت عن أي أمر آخر. فأجلوا ذلك الى حين.

وقد وصلناها بعد أن سرنا في طريق يكاد يكون مغلقا بل هو مغلق عن النظر بالفعل الا موضع السير فيه لانه من جميع الجهات قد حفت به الأشجار الباسقة من النارجيل تحتها اشجار أخرى كثيفة الظل وتحتها اشجار أقصر منها من النارجيل الصغير وغيره ثم تحت ذلك الأعشاب في الارض فأنت في خضرة مطبقة أول ماتراها تفرح بها أو تعجب بها، ولكنك ماأن تستمر في السير فيها حتى تحس بأنك في حاجة الى أن يسير بصرك الى مسافة أطول وتحس وانت في الخلاء كأنما انت في شارع ضيق لا ترى منه الاماتركته لك جدرانه والأمر كذلك بالفعل لأن الأشجار بل الغابات الكثيفة المحيطة بالشارع تكاد تطبق عليه وتمنع البصر من أن يرى ماوراءها فهو بينها حبيس لاسيما انها اشجار متشابهة أو قل إنها مناظر الغابات المتشابهة في هذه البلاد.

أول مادخلنا الى المدرسة استقبلنا أحد المدرسين لأن المدير كان غائباً لم يصل بعد من الحج ومكتوب على باب مكتبه الموصد (المدير في الخارج). ثم جاء بقية المدرسين والطلبة وعددهم قليل لايزيد على خمسين طالباً فبادرونا بأن قدموا لنا شيئا من شراب في زجاجات يصنع عندهم يشبه طعمه طعم الفراولة ثم قمنا بجولة على فصول الدراسة

والمكتبة وقد كتب على كل فصل عنوان بالعربية (الدرجة الأولى) (الدرجة الثانية) ثم (الدرجة الثالثة).

والدرجة الثالثة رأينا عندهم كتباً في النحو منها شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك قالوا إنهم يدرسونه وهو صعب جداً بالنسبة الى مستواهم ويكفي أن تعرف أنه يدرس في كليات الشريعة في المملكة على طلاب الكليات.

وبنايات المدرسة كلها من الآجر مسقفة بسقوف مسنمة من القرميد اتقاء للمطر الغزير في هذه البلاد. ويكفي أن تعرف أن الأشجار التي في هذه الارض الواسعة من اشجار المطاط والمانجو والنارجيل والموز والانانــاس كلها تشرب من المطر، وعندما سألتهم عما اذا كانوا ينتفعون بماء المطر الذي ينزل على السقف في الشرب كما يفعل بعض الاخوان في افريقيا؟
أجابوا: لا، إننا لانحتاج الى ذلك لأن ماء الشرب نأخذه نقياً صافياً عذباً وفيراً من بئر لدينا في هذه الارض الرملية الصافية.

ثم أرونا مهاجع الطلبة وقد قسموهم الى قسمين كبار وصغار وقالوا: إن المدرسة تأخذ مصروفا رمزيا من كل

طالب قدره خمسون روبية في الشهر أي عشرة ريالات مقابل المعيشة والتعلم وهو مبلغ قليل لايسد مصاريف الطالب ولكنه يساعد المدرسة على استمرار عملها الاّ أن عدد طلابها قد تقلص الآن بشكل ملفت للنظر والعناية التي كانت موجودة فيها قد قلت رغم أنها تملك أرضا واسعة هي مقرها وعليها اوقاف في العاصمة كولمبو.

وبهذه المناسبة اخبرونا أن مفتشى اللغة العربية في مدارس الحكومة كلهم من متخرجي هذه الكلية التي يعتبر مستواها في مستوى الدراسة الثانوية، كما أن المذيع باللغة العربية من برنامج اذاعي جديد افتتحه حكومة سيلان موجه الى المستمعين العرب من إذاعتها هو من متخرجي هذه الكلية أو المدرسة.

وبعد الجولة في هذه المدرسة التى يدل مظهرها على انها كانت مزدهرة قبل ذلك، والتي قال بعض المتخرجين منها إنها أول كلية اسلامية أسست في كولمبو وثاني كلية أسست في جزيرة سيلان كلها، اذ كان افتتاح الدراسة فيها قبل حوالى خمسين سنة بالضبط كما هو مكتوب على خاتمها الرسمي عام ١٣٥٠هـ بعد ذلك ذهبنا الى المسجد المخصص لطلابها في ركن منها وقد جمعوا الطلاب ورغبوا الىّ في أن القي فيهم كلمة فألقيت كلمة ترجمها الشيخ

أحمد مبارك الى اللغة التاميلية ركزت فيها على أن العمل في الاسلام أهم من القول مع أن القول والدعوة الى الله أمر مهم فان العمل هو الذي عليه المدار.

وبعد أن فرغت من كلمتي نهض رئيس مجلس الطلاب فيها واسمه محمد محي الدين بن فريد محمد فارتجل كلمة بلغة عربية جيدة رَدَّ على كلمتي رداً يحسده عليه كثير من ابنائنا الذين يتكلمون العربية ولايتكلمون غيرها لو سمعوه وهو طالب في السنة النهائية في الكلية. أما المسجد فانه صغير ولكنه نظيف مفروش بالحصر.

الى بيرو يلا:

بيرو يلا: بلدة صغيرة يبلغ عدد سكانها (٤٨ الفاً) ونسبة المسلمين فيها هي ٣٠٪ ومع ذلك فالمسلمون فيها اغنياء اقوياء وفيها أحدث جامعة هي الجامعة التنظيمية فهي مهمة من هذه الناحية وهي أول ميناء وطئته اقدام المسلمين الذين وصلوا الى سيلان حسبما هو متقرر في أذهان الكثيرين من الناس لذلك كانت زيارتها مهمة بل محتمة لمثلى وكانت موضوعة في البرنامج.

ومن الغريب أنهم يقولون إن اسمها الأصلى الذي سماها به العرب كان (بربرين) نسبة الى البربر لأن

العرب المسلمين الذين دخلوها كانوا من البربر، وقالوا في اسباب ذلك أنه حدثت حوادث في بلاد المغرب كان من نتيجتها أن فرت اسرة من هناك فنزلت في هذا المكان لأنه كان فيه ميناء طبيعي وأن ذلك كان منذ تسعمائة سنة ولكنهم لايذكرون التاريخ بالتحديد ولايذكرون المصدر الذي أخذوا عنه. اما أنا فان لي رأيا آخر في تسميتها بربرين وفي نسبتها الى البربر وهو انها قد تكون منسوبة الى الشيخ أبي البركات البربري.

وهذا من باب التخمين والا فليس عليه دليل محدد.

وعلى أية حال فانهم يكادون يجمعون على أنها البلدة الاسلامية أو قل المكان الاسلامي الأول في هذه البلاد.

وتقع بلدة (بيرو يلا) على بعد (٥١) كيلو متراً جهة الجنوب من (كولمبو) العاصمة ذهبنا اليها بعد انتهاء الزيارة من الكلية الغفورية وكان الطريق مليئاً يكاد يكون مغلقاً بل هو مغلق بالفعل بأشجار النارجيل الباسقة تحتها اشجار أخرى اقصر منها من اشجار النارجيل وهي من النوع الجيد الذي ثماره صفراء اللون واسفلها حقول من الأرز ذى الحياض غير الكبيرة بعضها غارق في المياه وبعضها ارتفع عن ذلك والأرز هو الغذاء الرئيسي للشعب

في سيلان مثله في ذلك مثل سائر أقطار جنوب شرق آسيا.

ومررنا أول الأمر بمنطقة قالوا إنها منطقة صناعية فيها عدد من المصانع مثل مصانع القمصان.

ثم اخترقنا قرية اسمها(مارتو) تشتهر بصناعة الكراسى والاثاث المماثل لها من الخشب.

تماثيل بوذا على الطريق:



كاهنان بوذيان بملابسهما الصفراء يمران امام تمثال ضخم لبوذا في وضع وقوف.

كنا نشاهد تماثيل بوذا على مفارق الطرق ومعروف أن البوذية هي دين الأغلبية في سيلان وهم قد نحتوا تمثال بوذا في الاكثر وهو جالس متربع في جلسته وسط مايشبه (الكوشك) من الزجاج أو تكون واجهته من الزجاج المغلق وفي حجم الرجل الجالس العادي تقريباً وفي بعض المفارق نحتوا تمثاله وهو واقف في حجم اكبر من حجم الرجل العادي ولكنني لم ار الناس يتعبدون له واخبرني اخواننا أن العبادة عندهم لبوذا تكون في معابد خاصة وانما هذه التماثيل من أجل التذكار وبعض البوذيين اذا مروا به اشاروا اليها بالتحية التقليدية عندهم وهي ضم الكفين ووضعها امام الوجه ثم يذهبون الى حال سبيلهم.

ويقولون إن بعض الاغنياء من البوذيين ينذر نذراً اذا تحقق له مايريد يصنع تمثالاً لبوذا يقام في مفترق للطرق حتى يتذكره الناس.

النارجيل في الجنائز:

أهمية شجرة النارجيل في هذه الجزيرة وفي البلاد المشابهة لها لاتعادلها أهمية شجرة أخرى وهي أهم من النخلة في بلادنا العربية غير أن النخلة عندنا انفع غذاء

من النارجيل لأن نخلة النارجيل لاتستطيع أن تنقذ الجائع من جوعه لمدة طويلة لأنها ليست غذاء وحدها وانما هى شراب وفاكهة وادام واستصباح وادّهان ولكن كل ذلك لايكفي وحده للأنقاذ من الجوع بخلاف النخلة التي تنقذ الانسان من الجوع اذا لم يجد الا التمر فانه يمكن أن يعيش عليه مدة طويلة اذا كان سوي الجسم.

ولكن شجرة النارجيل في هذه البلاد تدخل في كل شأن من شؤون الحياة ولايرمى شيء منها دون أن يستفاد منه فخوصها وسعفها وثمارها بل غلاف ثمرها يجمع ويستعمل وقوداً كما ينشر في الأرض ليجف لهذا الغرض ويترك في الماء ليزداد رطوبة حتي يضرب بعد ذلك وتصنع منه الحبال.

الى غير ذلك من الاستعمالات التي لايمكن أن تعد كلها في هذه الانطباعات والمشاهدات وإنما الشيء الذي شاهدناه اليوم انها تدخل في شؤون الموت كما هي داخلة في شؤون الحياة عندهم فقد حدث أن مررنا باسلاك معلقة في الشارع الاسفلتي الرئيسي الذي تمر به السيارات وتلك الاسلاك ذاهبة طولا وعرضا على نسق واحد مثل مايفعله الناس في بعض الاقطار من وضع خيوط الزينة لاستقبال غريب عزيز من ملك أو كبير أو

الاحتفال بمناسبة مهمة أو مثل الاسلاك الكهربائية التي توضع فيها المصابيح الكهربائية للزينة في الأعراس والمناسبات السارة الا أنهم هنا قد وضعوا بدلا من المصابيح الكهربائية ومن خرق الزينة قطعا من اصول خوص النارجيل الذي هو اخضر يميل الى البياض وعلقوها في هذه الاسلاك التي ظلت تماشينا مدة في الطريق نحن نمر تحتها بسرعة وعرفنا من إخواننا انها وضعت لمناسبة وفاة رجل كبير وأنه كلما كانت هذه الاسلاك كثيرة وموضوعة لمسافة طويلة كان ذلك أدل على الاحتفاء بالميت واظهار منزلته العظيمة في النفوس لانها تكلف نفقات كثيرة وتتطلب جهداً أكبر أما اذا كان الميت ذا منزلة أقل أو هو فقير فانها تكون قليلة جداً ولكن في الحالة التي رأيناها .كان الميت ذا مقام رفيع لذلك كانت كثيرة تمتد لمسافة طويلة على امتداد الشارع.

وقد استمرت تماشينا حتى وصلتْ الى ساحة في فضاء من الأرض ذات بوابة قد عقدت من خوص النارجيل وأجزاء من خشبه ووضعت فوقها الزهور و يدخل معها الى ممشى يمينه وشماله عقود من الزهور الملونة على شكل اطباق مستديرة وأخرى على شكل اطواق متعددة الألوان تسير حتى تصل الى نعش يشبه الصندوق الكبير

مرتفع اقل من قامة الرجل ومجلل بالزهور وبأوراق النارجيل المنسقة تنسيقا بديعاً.

وقال لنا مرافقونا إنهم يأتون بالجنازة الى هذا المكان فيضعونها في هذا النعش ثم يأتي كاهن من كهانهم البوذيين فيتلو دعوات معينة عندهم ثم يرفعون الميت على سيارة الى المقبرة فيحرق ويجعل رماده في جرة من الفخار ويدفن وقد يبنون فوقه بناء تذكارياً واذا كان فقيراً يتطلب حرقه نفقات لايستطيع ذووه القيام بها أو كان غنياً ولكن اوصى بأن يدفن ولايحرق فانه يدفن وفى حالة الغنى فان بعضهم يوصي بأن يدفن معه بعض المقتنيات الثمينة الغالية عنده وبعضها يكون من الذهب.

وحدثنا اخواننا أن مغنية وممثلة مشهورة غنية ماتت في حادث سيارة وأنها بناء على وصيتها دفنت دفناً دون حرق ودفن معها أشياء غالية ثمينة بعضها من الذهب فأغار اللصوص على قبرها في الليلة نفسها التي دفنت فيها وأخذوا مافيه من الاشياء القيمة والى الآن تبحث عنهم الحكومة لأنها ترى أن ذلك نوع من السرقة التي يعاقب عليها القانون.

قانقا في سيلان:

كلمة (قانقا) في الهند هي اسم نهر مقدس عندهم بل هو أشهر الانهار المقدسة في بلاد الهند عند الهندوكيين واعظمها وقد وصفت مشاهداتي في ذلك النهر وكيف يحرق الهندوكيون موتاهم على ضفته ثم يرمون برمادهم في هذا النهر في كتاب (رحلات في الهند) ولاازال اتذكر كلمة شيخ كهل رأيته يغتسل فيه في مدينة بنارس بالهند فقلت له بواسطة المترجم ماذا تفعل؟ فأجاب: (قانقا مايا) أي قانقا أمنا وهذا النهر يسمى في العربية نهر الكنج.

أما في هذه البلاد فقد مررنا بنهر كبير سألت عن اسمه فقالوا: إنه (جن قانقا) كأنما كلمة قانقا في اللغة السنهالية تعني نهراً أو شيئا قريباً من ذلك.

وهذا النهر عليه جسر حديدي ثقيل بل عليه جسران منفصلان احدهما للقطار والآخر للسيارات وكلاهما بناه الانكليز في زمن استعمارهم لهذه البلاد.

وللنهر شعبتان يفصل بينهما فاصل من الأرض ضيق وعندما انتهينا من المرور من الشعبة الاخيرة رأينا شكل معبد للبوذين على هيئة مظلة قالوا: إنه ليس في داخله

شيء مع أنه كبير جداً فهذه المظلة هي قبة كبيرة واسعة قالوا: وانما ذلك هو شعارهم وهي حديثة البناء أما المعبد الفعلي فانه كان مقابلا لهذه القبة من الجهة الأخرى من الطريق يرى منه تمثال بوذا وفي بابه الخارجي كوة صغيرة تفضي الى خزانة في داخل الجدار كتب عليها مامعناه: جمعية البر. رأيت سيارات المارة وأغلبها من الحافلات الكبيرة المليئة بالركاب تقف عنده فيخرج من شاء من النقود ماشاء ويضعه في هذا الثقب.

وقد بني المعبد القديم تحت شجرة كبيرة وارفة الظلال ضخمة الجذع كثيرة الفروع قالوا إن بوذا كان يتعبد تحتها والمعبد في بلدة تسمى (كالوتارا) ذكروا: أن الاكثرية من أهلها بوذيون وأنه ليس فيها من المسلمين إلاّ ٥٪ وأن المسلمين بها على كونهم اقلية فانهم لايؤذون من البوذيون ولايضايقون بل انهم يتعايشون معهم بشكل ودي.

وقد وقفنا قليلا قرب سور البلدة نستجلي معالمه وننظر الى هذا النهر العظيم الذي لايعتبرونه نهراً مهما لانهم لايواجهون مشكلة في قلة المياه بل هم يواجهون مشكلة كثرتها اذ كان عهدهم بفيضان مدمر غير بعيد.

وقد رأينا قوارب صغيرة في وسط النهر وفيها اناس

يغوصون الى الماء واناس يخرجون منه فسألتهم عن فعلهم فقالوا إنهم يخرجون الرمل من قاع النهر لكي يبيعوه للبناء لأنه لارمل في أرضهم القريبة.

وسوقهم تكثر فيه الفاكهة المحلية التى هي تكاد تنحصر في ثمار النارجيل الصفراء الممتازة وعناقيد الموز الأخضر والأصفر ولاشيء غير ذلك.

أما الطريق فانه كان متوسط السعة الا أنه مسفلت سلفته جيدة ولايضايق فيه الا كثرة الحافلات التي تنفث الدخان الملوث للهواء وكذلك توجد بعض العربات التي تجرها الثيران يحملون عليها بعض الاخشاب والاحمال الثقيلة وقد تستعمل للركوب الا أن العناية بمراكبها هنا أقل منها في الهند والثيران أصغر حجما من الثيران في الهند ولكنها اسمن أجساماً والهزال فيها قليل جداً.

هذه بيرويلا:

إستقبلتنا بلدة بيرويلا التي كانت سمعتها الاسلامية قد سبقتها الى أذهاننا ببيوت حديثة جميلة يظهر عليها الغنى واليسار وسيارات جديدة يقل اجتماعها في مكان واحد في سيلان وإن كانت السيارات في سيلان على

وجـه الـعموم أحدث وأجمل والعناية بها اكثر من السيارات في الهند.

والـبـلـدة مـنـسـقة تنسيقاً جميلاً وهي نفسها ميناء على الـبـحـر حـافـل بـالاسماك ولكن ذلك لم يكن السبب في غـنـى المـسـلمين فيها وإنما السبب هو أن المسلمين يعتبرون من كـبـار التجار وبخاصة تجارة الاحجار الكريمة والجواهر الـتـي كـانـت تشتهر بها جزيرة سيلان في القديم ولا تزال بـعـض شـهـرتهـا بـاقية حتى الآن وإن كانت قد قلّت عما كانت عليه في السابق.

ويبلغ عدد سكان بلدة بيرولا نفسها (٤٨) الفاً منهم (١٥) الفاً من المسلمين أما اسم بيرويلا الحالى فقالوا إنه اسـم وطـنـى إذ عـنـدما رأى الأهالى من الوطنيين العربَ وهـم يـنـزلون السرير من السفينة قالوا (بيرويلا) ومعناها انزلوا السرير.

في الجامعة النظيمية الاسلامية:

كـان أول مـاقـصدناه في هذه البلدة ذات السمعة الواسعة لمـكـانة المسلمين هو منزل أخينا وصديقنا الحاج محمد نظيم وهـو يـعـتبر مـلِـك تجـار الجـواهر والاحجار الكريمة في هذه الـبـلاد وكـنـت قـد الـتـقـيت به في الرياض قبل سنتين واستقبلته في بيتي هناك.

فاستقبلنا هاشّا باشا في قصره وكان محفوفا بطائفة كبيرة من الحشم والاتباع وقصره نفسه وسط مساحة واسعة تظللها الاشجار المنسقة وتوشي حواشيها الازهار المتنوعة المغروسة بأيد ماهرة فنية ذات ذوق رفيع.

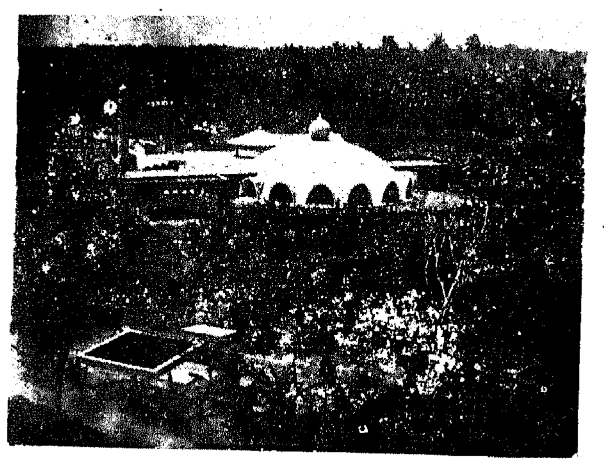
وقفت بنا السيارة عند البوابة الداخلية للمنزل حيث صافحنا الحاج محمد نظيم ثم اشار بالدخول الى بيته الذي كتب على مدخله باللغة العربية العبارة التالية:(هذا من فضل ربي).

وبعد الممر الطويل المحاط بجدران من الزينة الخشبية البسيطة الجميلة وبعدها الاشجار المتسلقة وصلنا الى قاعة الجلوس وكان فوق مدخلها ايضاً بخط عربي جميل العبارة السابقة (هذا من فضل ربي) وكانت القاعة واسعة في ركن منها قصي مائدة للطعام تتسع لحوالي عشرين شخصاً بعدها خزائن ذات واجهات زجاجية مليئة بالتحف والأشياء الجميلة من سائر الاقطار التي زارها وهو كثير الاسفار حتى إنه يحج في كل سنة تقريباً وقد يعتمر عدة مرات في السنة في غير وقت الحج.

وعندما اطمأن بنا الجلوس قدم شراب النارجيل في أكواب زجاجية أنيقة أي على غير العادة أن يقدم هذا

الشراب في ثمره مثقوبا بسكين حادة وقد عصروا على الشراب شيئاً من الليمون حتى يحسن من مذاقه.

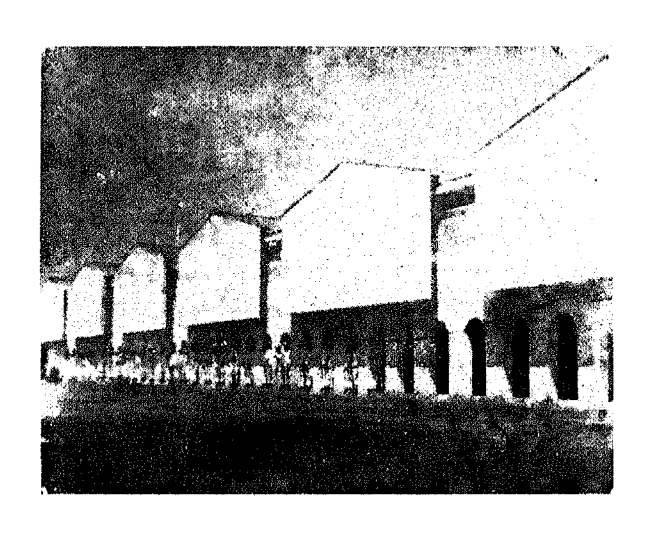
وبعد ذلك سألنا الشيخ نظيم: اتريدون أن نبدأ بالغداء أم بالصلاة وزيارة الجامعة؟ فقلت: الضيف في حكم المضيف.. ولكن الوقت مبكر على الغداء فاني أرى تأجيله فلعل ذلك يكون مناسباً فنهضنا نركب السيارات الى الجامع الذي بني خصيصاً في الجامعة النظيمية الفنية،وكانت هندسته غريبة وباهظة التكاليف



مسجد الجامعة النظيمية

في الوقت نفسه وكان نظيفاً وأنيقاً بشكل ملفت للنظر لايصدق المرء أن الذي أنفق عليه كله شخص واحد هو الحاج محمد نظيم هذا.





قاعات الدروس فى الجامعة

وأول مارأيناه عند الدخول من البوابة الخارجية التي تفضي الى ممر جميل مصقول البلاط انيق الجدران لوحة مكتوبة باللغة العربية تبين اوقات الصلاة. وقد أدينا صلاة الظهر جماعة فطلبوا مني أن أؤمهم فيها ففعلت ثم قمت مع مرافقي الثلاثة فصلينا العصر جمعاً اذْ كنا جميعا نعتبر مسافرين أما سائق السيارة وهو الخامس في السيارة فانه كان بوذياً اسمه (ساندرا).

المسجد الغريب:

والغريب في المسجد ليس كونه قد بناه كله بنفقته الخاصة الحاج محمد نظيم فذلك امر ليس الوحيد من نوعه

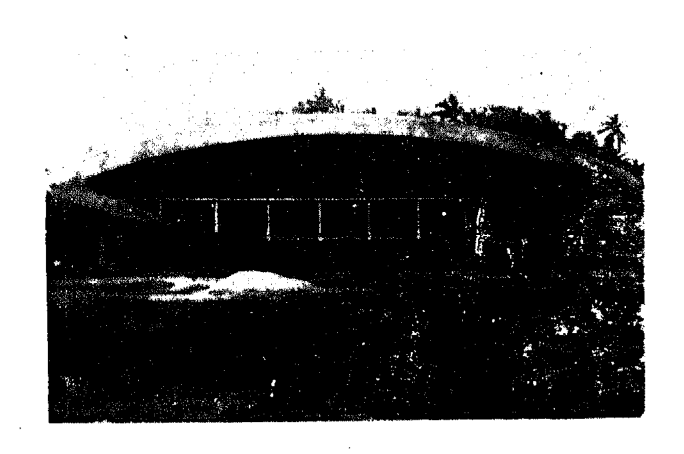
اذ بنى عدة مساجد في سيلان وساهم في بناء مساجد أخرى ومؤسسات كثيرة في هذه البلاد وانما الغريب أيضاً في هندسته فهو على شكل تيمة ذات خمس عشرة نافذة ارضية تحيط بها كالابواب الا أنها ليست الباب الرئيسي لأن أرضية المسجد مرتفعة عن الارض العادية بمقدار يقل عن المتر قليلا والمسجد ليس فيه عمود واحد على خلاف الخيمة التي تحتاج الى عمد ومحرابه في القبلة التي هي في الشمال الغربي يقابله المدخل في الجنوب الشرقي. وليس على النوافذ أو الفتحات الأخرى ابواب ولاشبابيك لأن المسجد داخل الجامعة وهي محروسة كما أنه ليس فيه مايخشى عليه اذْ ليس فيه حتى الفراش بل هو بلاط ناصع ناعم كأنه ظهر المكتب الصقيل نظيف كأنه خد غادة لم يعرف التطرية؛ ولماذا يجعلون على تلك الفتحات أو النوافذ الأبواب مادام الأمر كذلك؟

وقد تقول انت: وماذا يصنعون في مكافحة الغبار؟

وأجيبك بأن الغبار غير موجود هنا أصلا فالبلدة ساحلية كثيرة الأمطار لأنها واقعة على المحيط الهندي وكلها غابات أو أراض شبيهة بالغابات لا ترى تربة الأرض فيها من كثرة الحشائش والاعشاب بل ان الحشائش والاعشاب تكون مشكلة في بعض الاحيان يعالجونها

بـالحـرق لـئـلا تـعـطـل السير أو تعرقله أو تمنع من الزراعة النافعة.

والـى ذلـك فان ارضية المسجد هي مرتفعة على شكل مـائـدة مـسـتـديرة لايستقر فوقها وسخ لو وجد. والخدم هنا متيسرون وأجورهم رخيصة وهم مطيعون امناء يعملون مابه يؤمرون هذا وقد بني المسجد في عام ١٩٧٢م.

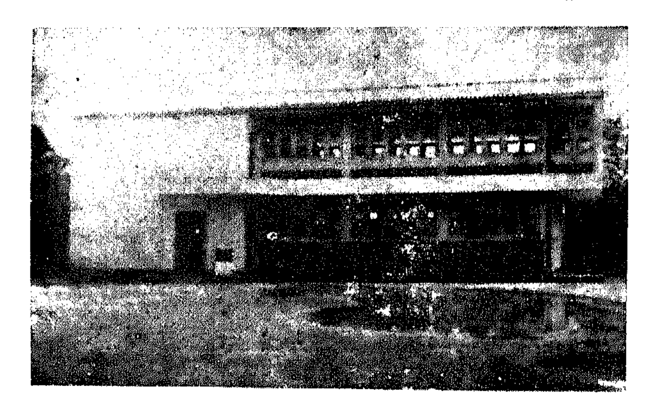


قاعة المحاضرات:

عـلـى غـرابة هندسة هذا المسجد فانه يواجهه من جهة الجـنـوب الـشـرقـي على بعد مناسب يبلغ حوالى ٣٠٠ متر

قاعة المحاضرات في الجامعة شكلها غريب أقرب الى شكل نصف بيضة يبدو جميلا غاية الجمال لأن ماحوله قد نسق حتى الزهور والاعمدة التي تحمل الاضاءة الكهربائية للمنطقة مابين المسجد والجامعة بحيث يتناسب من حيث الذوق والجمال مع هذين البنائين المهمين من ابنية الجامعة النظيمية المنسوبة لهذا المحسن الثري العظيم الحاج محمد نظيم.

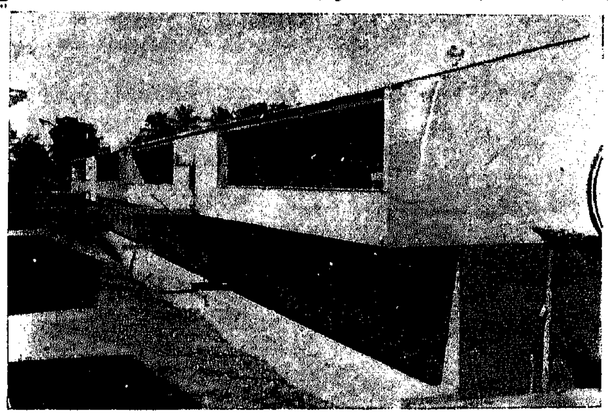
وماتحتاج اليه من مكبرات الصوت وكراسٍ بلغ عددها فيها، وفي الشرفات التي تحيط بالجهات الثلاثة منها سبعمائة ولها منصة عالية فيها صف خلفي من الكراسي ومنصتان أماميتان للمحاضرين.



المكتبة فى الجامعة النظيمية

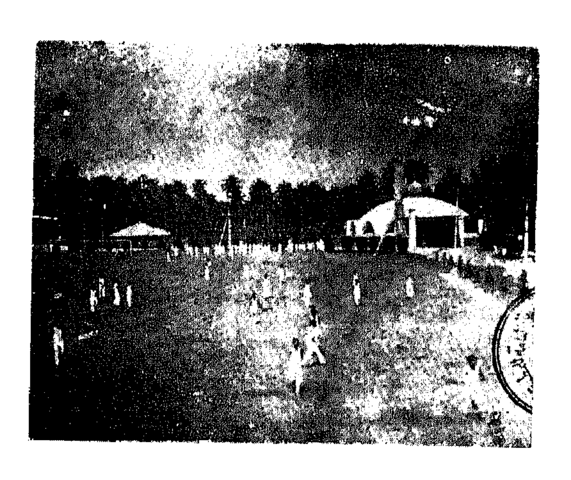
جولة في الجامعة النظيمية

وبعد ذلك قمنا بجولة في أقسام هذه الجامعة التي تبلغ مساحتها (٢٤) فداناً أي: أنها مائتان وأربعون الف متر مربع وكل هذه الأرض قام على جمع ثمنها وشرائها الحاج محمد نظيم يساعده بعض أهل الخير ممن يرون رأيه في أنه لابد من ايجاد جامعة اسلامية حديثة تفوق الجامعات الحديثة التي أقامها أرباب الديانات الأخرى في سيلان في ميدان الدراسات الدينية حتى أرباب الديانة البوذية ديانة الأغلبية في



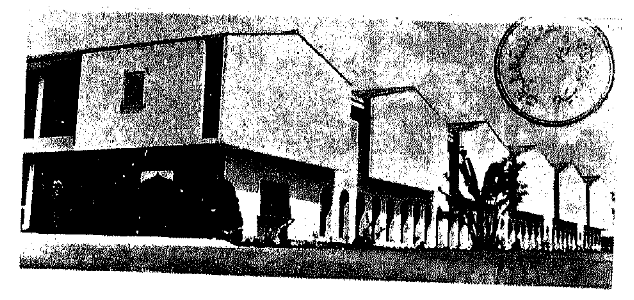
مساكن العاملين فى الجامعة

سيلان وأصحاب الديانة النصرانية المدعومة بالخبرة الاوربية والقدرة المالية من الجمعيات النصرانية فافتتحوها في عام ١٩٧٣م.



ملعب الجامعة النظيمية

وكان موضعها غابات من غابات النارجيل المثمر قطعوا بعضه ليكون مرافق للجامعة وفي داخل هذه الجامعة طرق اسفلتية للسيارات أو ممرات وممماشٍ محاطة بالزهور



وفي ميادينها أشجار الزينة وقد نسقت تنسيقاً بديعاً لايقوى عليه وعلى توفير

ماتوفر فيها الآ من رزق اخلاصا في العمل وصبراً على تحصيل المعالى، وتوفيقاً من الله في ذلك ولايمكن أن يقوم على هذا العمل الا جمعية اعضاؤها لهم خبرة في الادارة ومعرفة بأرقى أمكنة التعليم في البلاد المتقدمة في الادارة في أوروبا وأمريكا لأنها لاتقل عن بنايات الجامعات هناك ولا عن الساحات فيها وقد رأيت كثيراً منها في البلاد الاوروبيةوالامريكية، ولذلك فانني اتكلم هنا عن خبرة بالمقارنة عرفتها بنفسي.



مطعم الجامعة

وكان أول مافصدناه مبنى الادارة فاستقبلنا عميد الجامعة المؤقت واسمه(شاه الحميد)وهو يعرف العربية جيداً رغم كونه لم يتعلمها الآ في سيلان فهو يبدو في مستوى من تعلموها في البلاد العربية.

قال العميد: إن عدد الطلاب الآن هو (١٠٥) وعدد المدرسين (١٧) وكلهم يعيشون و يقيمون في هذه الجامعة و بنفقتها حتى الاساتذة لهم مساكن مخصصة لهم المتزوجون منهم في جهة والعزاب في جهة أخرى.

ثم انتقلت الى فصول الدراسة فدخلت فصلاً يسمونه (الثالثة) وقد قرأ أحد الطلاب واسمه(محمد مهاجري) آيات من سورة النبأ «عم يتسآءلون» الآيات تلاها تلاوة جيدة. ثم دخلنا بقية الفصول وقد لاحظت أنها شبيهة بما كنت قد نفذته في الجامعة الاسلامية عندما كنت أميناً عاماً لها مسئولاً عما فيها وذلك بأن جعلنا فصول كلية الشريعة غرفاً منفصلة كل غرفة ليس لها جيران لايجمع بينها و بين الغرف أو القاعات الأخرى للدراسة على الأصح الاّ رواق امامي. و بين كل قاعة وأخرى فراغ بقدر قاعة واحدة حتى لا تشوش الاصوات التي تصدر من قاعة على الذين يكونون في القاعة المجاورة. وهم قد فعلوا هنا قريباً من ذلك ولاأدري أذلك من باب المصادفة أم اطلعوا عليه من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة أم من مكان آخر.

ومن فصول الدراسة كان الذهاب مع مضيفنا الحاج محمد نظيم وطائفة من كبار المسلمين واعيان بلدته الى

المكتبة المركزية في الجامعة وهي في قاعة حديثة واسعة فيها ركن للكتب محتوياته فائقة الكثرة بالنسبة الى هذه البلاد وصعوبة تحصيل الكتب العربية فيها لأن النقل اليها صعب كما هو معروف.

وقد صنفت الكتب العربية فيها عدة أصناف حسب موضوعاتها مثل علوم القرآن والتفسير ثم الفقه، ثم التصوف والسلوك ثم التاريخ ثم الأدب وهذا كله في الطابق الأرضي وفوقه طابق آخر قالوا: انهم قد خصصوه للنشر وبدأوا بنشر مجلة باللغة التاميلية لغة المسلمين في هذه البلاد وأرونا العدد الأول منها ومن أهم ماتعني به ترجمة المقالات الهامة التي تصدر في العالم الاسلامي وكذلك الاختيار من الكتب الاسلامية ذات الموضوعات المهمة لكي يكون المسلمون مطلعين على البحوث الجديدة في هذا الميدان وعلى الفوائد الأخرى وقالوا: إن لديهم مشروعاً طموحاً هو أن تكون مكتبة الجامعة هذه هي المكتبة المركزية الرئيسية في سيلان كلها وتبدأ أولاً بتيسير الكتب والمراجع لكل من أراد أن يبحث في الاسلام أو في التاريخ الاسلامي سواء أكان مسلماً أم غير مسلم وأن المشروع الاوسع من ذلك أن تكون هي المكتبة المركزية في سيلان كلها لكل باحث في أي فن

من الفنون و يقولون: إن سيلان تفتقر الى هذه المكتبة الواسعة الجامعة ونحن المسلمين في هذه البلاد أولى من يقوم بذلك.

وأقول أنا: انهم اذا كانوا سينفذون عزمهم على إنشاء هذه المكتبة لجميع الفنون وأن تكون مرجعاً لسكان جميع البلاد بالطريقة نفسها التي نفذوا بها هذه الجامعة فانهم بلا شك قادرون على تحقيق هذا المشروع على ضخامته وصعوبة تنفيذه وأن الأمل كبير في أن يكون التوفيق حليفهم فيه كما كان حليفهم في غيره من مشروعات هذه الجامعة.

وانه اذا تم فسيكون مفخرة للمسلمين في هذه البلاد لأن هذه الجامعة بموقعها و بناياتها وطريقة تنفيذ البناء هي في حد ذاتها دعوة للاسلام ودعاية ظاهرة لأهله.

ثم انتقلنا الى غرفة ادارة الامتحان وفيها النتائج مع الاحصاءات التي تقارن ذلك بالسنوات الماضية بطريقة احصائية حديثة. ثم كان الدخول الى غرفة الفن العربي وفيها لوحات تمثل التأنق في الخط العربي بأنواعه من الكوفي والثلث باشكال هندسية وعلى هيئة صور فنية من زهور وغيرها مما يعجب و يطرب. كما رايت فيها لوحة تتضمن خارطة لسيلان واماكن تجمع المسلمين فيها

وخارطة أخرى تبين سير رحلة ابن بطوطة في جزيرة سيلان.

وبعد ذلك ذهبوا بنا لرؤية مهاجع الطلبة وهي في طابقين اثنين نظيفة مرتبة لاأعتقد أن أحداً من الطلاب في الجامعة يحلم بأن يجد مثلها في بيته.

وجميع البنايات هذه التي هي بنايات الادارة وفصول الدراسة ومهاجع الطلبةوالمكتبة تقع على ربوة عالية في أرض الجامعة تشرف على ماحولها من أرضها وعلى غابات النارجيل والمانجو بعد أرض الجامعة

ومن ابرز معالم بنائها خزان للمياه على شكل مظلة مما يكون اذا وجد في بلد معلماً من المعالم السياحية فيها.

ومن أطرف مافي هذه الجامعة وأجمله شعارها الذي هو على شكل دائرة مكتوبة كلها بالعربية وهي آية: «واتقوا الله ويعلمكم الله..» وعبارة الجامعة التنظيمية المحدودة للدراسات الاسلامية.

وبعد هذه الجولة في الجامعة عدنا الى ركوب السيارة. ورجعنا الى بيت الحاج محمد نظيم وعلى الأصح قصره الذي يقع في مكان غير بعيد من موقع الجامعة

حيث تناولنا طعام الغداء مع نفر من المسلمين يبلغ عددهم حدود العشرين.

وكانت مائدة سيلانية ضمت الأرز السيلاني الذي يشبه الأرز المصري، ولحم الدجاج والضأن والسمك والبقر واقراصاً من حبوب ربما كانت كالدخن تصنع رقيقة يابسة وكانت الفاكهة من اثمار هذه البلاد وهي العمبة (المانجو) والموز والاناناس، أما الحلواء فقالوا: إنها لا توجد في أي مكان آخر في العالم خارج سيلان لانهم يصنعونها من عسل يخرج من شجرة عندهم و يوضع معها البيض ومع انها حلواء فانه لايدخل في صناعتها شيء من السكر على الاطلاق وهي حمراء اللون لذيذة الطعم.

المحسن الكبير:



الحاج محمد نظيم محسن كبير يدفع مبالغ لايستطيع دفعها الا الشركات والحكومات وكلها للمشروعات الاسلامية أو لأغاثة المسلمين قال لنا ونحن نتناول طعام الغداء: إن الناس يقولون إنني اتبرع كثيرا وهذا صحيح ولكنني اتبرع والله سبحانه وتعالى يخلف، ثم انني اذا كنت امسك المال الذي يأتيني ولاأصرفه لله فانني أكون مجرد خازن أو أمين للصندوق أو على حد تعبيره بالانكليزية (كشير).

هذا ومن أعظم آثاره هذه الجامعة النظيمية وليست

وحدها بل هناك عشرات المساجد وآخر ماقدمه من تبرع هو تقديمه نصف مليون روبية سيلانية الى حكومة سيلان تنفقه على المتضررين من الاعصار والفيضان الذي أصاب شرق الجزيرة وتضرر منه أكثر مما تضرر المسلمون لأن تلك المنطقة هي منطقة يسكنها مسلمون أكثر مما يسكنها غيرهم وإن كان غيرهم موجودين فيها مع المسلمين.

ومن الأدلة على إحسانه أننا عندما خرجنا منه مررنا بمسجد حديث لم يمض على اتمام بنائه اكثر من شهرين فدخلناه لنشاهد غرابة هندسته فاذا به قد بني على شكل بصلة ذات عروق (١١) هي الاعمدة التي قام عليها المسجد وتلك الاعمدة الأحد عشر غائصة في بحيرات صغيرة من الماء خصصت للوضوء وهي تحيط بالمسجد من جميع الجهات عدا جهة القبلة التى فيها المحراب وهي مستديرة استدارة عروق البصلة وفيما بين العروق والأعمدة يقع المسجد في الطابق الأرضي وفوقه طابق يصعد اليه من سلم لاصق بالبناء بحيث لايبدو منفصلا عنه أو مذهباً لشكله العام وهناك فيه المسجد الرئيسي وقد وضعت فوق اعمدته مراوح كهربائية في كل عمود مروحة لاصقة به لأن سقفه لايمكن وضع المراوح فيه لكونه على شكل رأس البصلة من الداخل أي ذو قبه مخروطة الشكل ضيقة جداً

في الاعلى وعالية عن المستوى الذي يصلح أن يجعل فيه مروحة.

وقال لنا مؤذن المسجد واسمه محمد شافعي: إن اسم المسجد(تاج المفاخر) وإن أصله كان زاوية للشاذلية الطريقة الصوفية المعروفة. وان المسجد كان بناؤه هذا كله من تبرع الحاج محمد نظيم وأنهم لذلك سمو المنطقة التي يقع فيها المسجد بمنطقة الحاج نظيم وهو جزء من بلدة بيرو يلا غير أن البلدة واسعة المساحة مليئة بالأشجار المتفرقة لذلك كانت بيوتها غير متراصة.

الجامع على شكل طبق:

ومن مسجد (تاج المفاخر) الغريب الهندسة توجهنا الى جامع بيرو يلا وهو الذي تقام فيه الجمعة فعجبت ايضاً لكونه بني على شكل طبق طائر الا أن له عدة أرجل هي أعمدته، وغطاء فيه نتؤ بارز في اعلاه يعطيه شكل الذي يمسك به الطبق العادي عند مايفتح، وتلف بهذا الطبق الطائر أو المسجد الجامع نوافذ على شكل هندسي جميل لايخرج عن شكل الطبق.

الخرافات المنتشرة في سيلان:

مما يؤسف له أنه رغم تمسك السيلانيين بدينهم وسخائهم في النفقة على شؤونهم فان الخرافات والبدع التي تصل احيانا الى حد الشرك بالله منتشرة بينهم وربما يلتمس العذر لهم بأن تلك كانت حالة معظم الاقطار الاسلامية بل هي كانت حالة الجزيرة العربية في العصور الأخيرة قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله. ولكن الأمر تغير الآن في كثير من الحالات، وفهم بعض المسلمين أن هذه الخرافات هي من الامور المغايرة لأصل الاسلام مثل دعاء الموتى والاستغاثة بهم لطلب المعونة منهم أو دفع الضرر بهم.

لقد تذكرت هذه الأمور عندما ذهبنا لزيارة النقطة التي نزل منها المسلمون لأول مرة في هذه الجزيرة كما يقولون فاذا بها ميناء طبيعي تقع فوق لسان صخري يأتي من الأرض داخلا في البحر على حد تعبير الاقدمين واذا بهم قد بنوا فوق هذه الصخرة مسجداً ابيض الطلاء مشرف البناء فأعجبني موضعه وعندما دخلته وتخيلت أنه الموضع الاول الذي صلى فيه المسلمون فوق هذه الجزيرة دعوت الله تعالى لهم بالرحمة والرضوان.

ولكن لفت نظري أن هناك مدفناً قد بني عليه مايشبه المقام فظننته قبراً لأحد المتدينين اراد أن يدفن خارج المسجد لتأنس روحه بتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد، ولكنني رأيت نسوة قد اقبلن وركعن أمامه واخذن بالدعاء وبعضهن وضع شيئاً فيه، فسألت عنه فقالوا: إنه ولي من الأولياء دفن خارج المسجد لانه كان قد انقطع الى العبادة في هذه البلاد ولكن الناس افتتنوا به، واخذوا يزورون قبره و يدعون عنده بل إن بعض الجهال يستغيثون به و ينذرون له النذور. وفي يوم معين من السنة مخصص له يذبحون الذبائح و يصنعون الاطعمة و يبقون عنده وقد ارونا آثار ذلك واضحة للعيان.

ولم اصدق الأمر حتى رأيت خادم المسجد فسألته عنه فاعطاني ورقة فيها كتابة بالعربية تتضمن الاستغاثة بالمذكور وطلب العون بطريقة هي بعينها التي يفعلها المشركون الأولون. وهذا هو نص اول الاستغاثة بعد عنوانها الذي هو: (التوسل الأسعف بولي الله الشيخ أشرف):

شَـــيء لله يـــاولـــى الأشـــرف

باسم مولانا تعَالَ شَيء لله نسأل اللطف الخفِي شَيء لله

ذو المواهب كلها شَيء لله من كبير وخفِي شَيء لله

...

ياولي الله جينا شَيء لله　　ياوليّ الأشرف شَيء لله
انت سلطان وليّ شَيء لله　　وأمان الخائف شَيء لله

...

عندنا الحاجات جما شَيء لله　　فاقضها انت الوفي شَيء لله

الى آخر هذا التوسل الشركي بل هذا الشرك في الدعاء مما لايستطيع سمع المسلم الموحد أن يتحمله.

ومع ذلك يقول قائل من المسلمين بالاسم والوراثة دون تحقيق الاسلام والعمل به: لماذا يغلب المسلمون على أمرهم؟ ولماذا لاتكون لهم العزة التي كانت للمسلمين الأولين؟.

وهم بهذا ينسون أو يتناسون أن السلف الصالح من المسلمين قد حققوا الاسلام قولاً وعملاً واعتقاداً وفارقوا كل مايمت الى الشرك بصلة مثل دعاء الموتى والغائبين بل إن المصطفى صلى الله عليه وسلم قد حمى حمى التوحيد وجاء بسد الذرائع التي توصل الى الشرك مثل قوله صلى الله عليه وسلم لمن قال له: ماشاء الله وشئت، قال: اجعلتني لله نداً، قل ماشاء الله وحده.

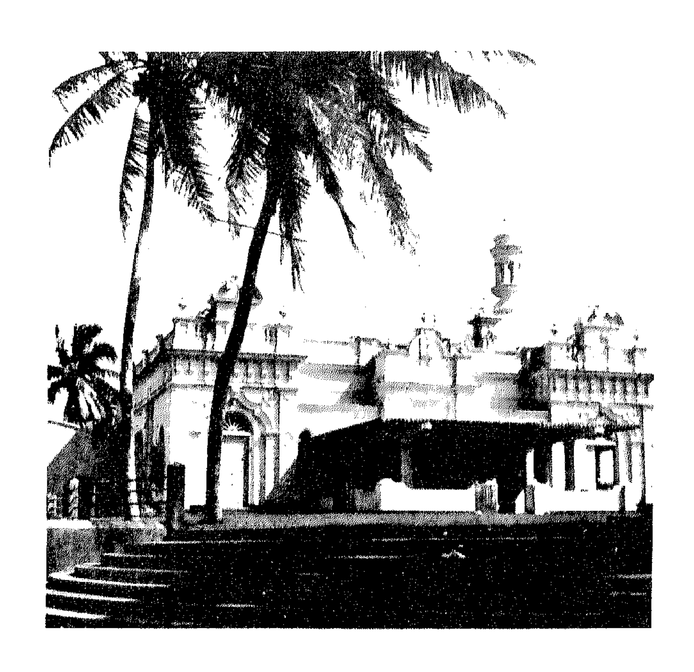
مع أن للمخلوق مشيئة وإرادة محدودة لائقة به ورد إثباتها في قوله تعالى: (وماتشاءون إلاّ أن يشاء الله). ولكنها تابعة لمشيئة الخالق جلّ وعزّ.

مسجد الأبرار:

ومن هذا المسجد الواقع على هذه الصخرة العالية يسر مرآه الناظرين ولكن القبر الذي بجانبه قد أصبح وثنا تستاء له صدور المخلصين للاسلام الذين يرون الاسلام تشوه صورته بل تقلب حقيقته التي هي بيضاء ناصعة بسيطة لاتجعل بين الانسان وربه واسطة وإنما تفرد الله تعالى بالتعلق والاستغاثة والدعاء وترتب الجزاء على العمل، ولاتجعل لأى مخلوق سلطاناً على المسلم الا سلطان الشرع فلا يخاف الا الله ولايرجو الا الله ولايدعو الا الله، واذا اراد خيراً من الله عمل الخير فرجا ثوابه واذا خاف من ذنوبه تاب وعمل صالحاً فرجا من الله أن يتوب عليه.

من ذلك المسجد ذهبنا الى مسجد آخر عربي الطراز ذي واجهة فيها منائر صغيرة تعلوها أهلة ولم ندخله لضيق الوقت وانما اكتفينا بالنظر اليه من الخارج وهندسة بنائه قريبة الشبه بهندسة بناء المساجد في جنوب الجزيرة

العربية قبل التطور الأخير في البناء.



وقد كتب على واجهته بخط عربي جميل (مسجد الابرار) وقد جدد بناؤه عام ١٩٤٠م ــ وقالوا: إن بقربه حجراً اثرياً عليه كتابة قديمة ولما شاهدناه وهو مدفون في الأرض وجدنا عليه ارقاماً محفورة فيه ربما كانت من فعل الروّاد من الاوروبيين في هذه البلاد وهي لا تزيد على كونها كتابة ارقام ٩ ــ 12 ــ 18 وهكذا.

العودة الى كولمبو:

بدأنا العودة في الساعة الخامسة والنصف أي قبل غروب الشمس بنصف ساعة مع طريق ساحلي جميل يدع البحر على يده اليسرى والغابات الكثيفة على يده اليمنى ويسير متعرجاً احياناً ومستقيماً أحياناً أخرى، وقبل الخروج من مدينة (بيرو يلا) اشار مرافقونا الى شارع هناك وقالوا: إن اسمه (شارع العرب) واخبرني بعضهم أن مدينة بيرو يلا أو جزأ منها كان يسمى في القديم (بربرين) وأن هذا ربما كان سببه كون المسلمين الذين دخلوها من المغرب ولكنني تذكرت عند ذلك أن الشيخ سابق البربري هو الذي أسلم على يده أهل جزر مالديف وأن مالديف ليست بعيدة عن بيرو يلا هذه التي تقع في الساحل الغربي لجنوب جزيرة سيلان فربما كانت لذلك الاسم التاريخي (بربرين) علاقة بأسم الشيخ سابق البربري.

وشاطىء البحر هنا غني بالاسماك بعيد من التلوث لذلك رأينا الأهالي ينزلون الشباك الكبيرة الى البحر وقد رأيت إحداها يحملها عشرة من الرجال والصبيان وهي فارغة يريدون أن يضعوها في الزروق حتى يدخلوا به البحر للصيد وقالوا إنهم يعودون ليلا ويحتاجون الى عدد

اكبر من الرجال يساعدهم على جر الشبكة حين تكون مليئة بالاسماك.

الموت والحياة:

مرت سيارة عليها سلاسل من الزهور يتبعها موكب قصير من السيارات قال اخواننا إنها سيارة عرس، وبعدها بقليل بل مباشرة رأينا جماعة من البوذيين يدفنون ميتا وقد اوقفوا سياراتهم على الشارع، ونزلوا قرب الجنازة ورأيت النساء يقفن أكثر من الرجال يحطن بالقبر ورجل يخلط اسمنتا قالوا إنهم سيضعون ذلك على القبر بمثابة تذكار للميت.

وبعد ذلك شاهدت في الطريق عدداً من الكهان والرهبان البوذيين بثيابهم الصفر في الغالب والتي تكون اورنجية اللون في بعض الاحيان حسب رتبة رجل الدين في ديانتهم ولباسهم هو الأردية التي ليس فيها مخيط فهي تشبه الازار الذي يلف حول الوسط وفوقه رداء على أعلا الجسم و يوضع قسم منه على أحد الكتفين. وأغلب الذين رأيت منهم يمشون حفاة الاقدام لأن ذلك جزء من تقاليدهم ورؤوسهم حليقة خالية من الشعر.

وكانت عودتنا الى الفندق بعد المغرب ورأيت الناس يسيرون افواجاً على شاطىء البحر القريب من الفندق

فرأيت أن اشاركهم ذلك بعد أن ذهب الاخوان المرافقون الى أهليهم ليستريحوا وكان الجو يغري بذلك فهو بديع تهب فيه نسائم البحر المنعشة التي فارقتها أشعة الشمس المحرقة وكان السير فوق رصيف عريض على البحر من جهة ومن الجهة الأخرى شارع عريض عليه مبنى المجلس النيابي الذي تزينه بحيرة صناعية ونافورة متعددة الالوان وعدد من الباعة كانت بضاعتهم كلها من غير استثناء من الاناناس ومشتقاته.

وقد رأيت الأهالي مع أطفالهم ونسائهم يتمشون في جو من الاحتشام والأدب فلا مضايقات ولاصياح ولاازعاج ولااحد يؤذي الغريب أو يتطفل بعرض بضاعته عليه أو بالكلام معه دون غرض بل كل في سبيله وكأنماأنت في بلاد أوروبية ولست في بلاد شرقية.

يوم الأحد: ١٣٩٩/١/٣هـ ١٩٧٨/١٢/٣م

السفر الى كَنْدي:

كندي مدينة كانت عاصمة سيلان في عهد الملوك البوذيين في سيلان قبل الحكم الانكليزي وتعتبر الآن المدينة الثانية في جزيرة سيلان من حيث عدد السكان

والأولى من حيث الاهمية التاريخية وهي المدينة التي لم يَسْتَطِع البرتغاليون الاستعماريون أن يقيموا فيها لانهم اذا وصلوها رغم وعورة الطريق اليها كان من الصعب عليهم المحافظة على سلامتهم اذا جاء موسم الامطار لانقطاع المواصلات وكون الطريق مخوفة.

ولكيلا يظن بعض الناس أن اسمها منسوب الى كندا في شمال امريكا أو من اسم أوربي ننوه أنهم ينطقون به باسكان النون، كما أن هذا الاسم كان موجوداً معروفاً قبل أن يكتشف كرستوفر كلومبس امريكا بقرون.

وتبعد مدينة (كنْدي) عن العاصمة كولمبو بمسافة مائة وسبعة وعشرين كيلا وهذه المسافة تعتبر قصيرة بل ليس لها اعتبار في بلادنا لأن الطرق واسعة والمساحات مفتوحة للنظر ويستطيع السائق غير المتهور أن يقطعها في ساعة واحدة ولكن الأمر يختلف في هذه البلاد كما هو مختلف في أرض الهند فلايكفي لقطع هذه المسافة الا أكثر من ثلاثة اضعاف لأن الطريق غير واسعة وهي مغلقة على النظر بسبب كون الاشجار بل غابات الطريق تغلق عن نظر السائق كل مايكون عن يمينه وشماله في الطريق فلا

يـأمـن أن يخرج لـه مـن أي جهة من الجهات خارج منها إنـسـان أو حـيـوان أو طـفـل يـريـد عبور الطريق أو يريد الاشراف عـلى من يمرون منه فإذا حدث ذلك لم يبق من الـطـريق بـقـيـة يـلـجأ إليها السائق لأن السيارات القادمة وغـالـبـاً مـاتـكون من الشاحنات الكبيرة تكون قد اخذت النصيب الاكبر من الطريق فيضطر الى أن يقف أو يسير الهوينا سيراً هو كالوقوف.

فـالمرؤ إذاً يسير في هذه الطريق البعيدة كأنما هو يسير في شوارع مدينة ذات بنايات عالية متواصلة وشوارع ضيقة تزدحـم بـالـنـاس أو لا تخـلـو منهـم عـلـى الأقل لأن المرء لايـكـاد يـفـتـقد الناس والسكان طول الطريق وان كانوا يقلون عدداً في بعض المواضع عنهم في مواضع أخرى.

وتـعـتبر مـديـنـة (كـنـدي) عاصمة الهضبة الوسطى من سيلان واذاً يحسن أن نلقي بكلمة تعريف قصيرة عنها.

منطقة الهضبة:

مـنـطقة الهضبة في سيلان ترتفع مابين ٣٠٠٠و ٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر وفيها مزارع للانواع الجيدة من الشاي المـشـهـور فـي الـعـالم. والـطـريـق المـؤدي الـى الهـضبة يمر

بمساحات شاسعة من مزارع الشاي تتخللها طرقات ضيقة ووديان عميقة وتنخفض الحرارة مع الارتفاع وتكثر فيها شلالات المياه تنثر رذاذها أو مياهها التي تشبه الشلالات على البعد بمناظر جميلة والجو فيها جيد لزرع الشاي الأخضر.

ومنطقة الهضبة تشمل العديد من المحطات التي اقامها المزارعون الانجليز وكانت غالبيتها في بادىء الأمر لزراعة القهوة ثم تغلب الشاي في آخر الامر. و يسمونه «الذهب الأخضر» الذي يعتبر أشهر دخل للجزيرة كما أن مصانع الشاي قد شيد بعضها في الوديان والبعض الآخر على الجبال.

بدأ سفرنا في الساعة التاسعة صباحاً قاصدين جهة الشمال الشرقي حيث تقع كنْدي في وسط جزيرة سيلان وامتد سيرنا مع خط اسفلتي لابأس بسعته محفوف باشجار النارجيل التي لا تكاد تخلو منها بقعة من جزيرة سيلان حتى مررنا بقرية تسمى (كاناواتا) وبعد ذلك مررنا بمنطقة يزرع فيها النوع الجيد من فاكهة الاناناس وقال لنا مرافقونا انه يباع هنا بثمن مرتفع لذلك لايأكله المواطنون وانما يباع اكثر للسواح بمعدل روبية ونصف للثمرة الواحدة أي ثمانية قروش سعودية.

الخضرة المطبقة:

ربما صح القول بأن جزيرة سيلان من أكثر البلدان غير الاستوائية خضرة لذلك هي تكاد تكون كالبلدان الاستوائية في هذه الناحية وأنه رغم ازدحام السكان فمازالت الغابات والاشجار المتلاصقة هي الطابع للبلاد فلا يكاد المرء يخرج من منطقة يعجبه منظرها من هذه الناحية حتى يدخل في منطقة أخرى مثلها أو أهم منها.

وقد مررنا ببلدة غير كبيرة اسمها(باكلا) الاّ أنها مشهورة بصناعة مميزة. وهذه البلدة تشتهر بصناعة الفخار الذي يصنعونه من الطين المحلي ويجعلون منه القدور والأواني التي تستعمل في الأكل وهذه القرية لغير المسلمين. ثم بعدها تجاوزنا نهراً صغيراً فاخترقنا شوارع قرية مسلمة (بنهارنا) وبعدها وصلنا الى قرية تسمى (هوراكولا).

الحواة على الطريق:

الحواة جمع حاو والحاوي هو الذي يمسك بالحيَّات ويلعب بها ولذلك جاء في الامثال العربية القديمة (لايسلم الحاوي من الحيات) فاذا كان الحاوي نفسه

لايسلم من الحيات فما بالك بالذي يريدأن يصبح حاويا (بالتَّحوِّي) أي أن يقلد الحاوي وهذه هي صنعة هؤلاء الحواة القاعدين في مكان متسع من الطريق أن يجعلوا المسافرين يبدون كالحواة ولو لفترة قصيرة هي فترة التقاط الصورة الشمسية.

رأينا شخصين أحدهما يحمل حية عظيمة رقطاء لونها يضرب الى الرمادي وقد حمل ثقلها فوق كتفيه وهو لايكاد يقوى على ذلك وقد تطوت على جسمه والآخر معه حية كبيرة عريضة الرأس جداً قد وضعها في قفص اخرجت منه رأسها. أما الأول فان عمله لايزيد على ذلك أي كونه يحمل هذه الحية الثقيلة الوزن ويضعها على اكتاف السائحين العابرين، وأما الثاني فان معه مزماراً وعصا قصيرة فينفخ في مزماره، ويحرك الحية بعصاه فتتجاوب مع نفخات المزمار بما يشبه الرقص.

وقد اخذ الرفاق لى صورة بين الحيات وأنا اتصنع الشجاعة وأخشى الا تدل الصورة على الشجاعة الحقيقية ونسيت أن اقول إن الرحلة هي بسيارة الوزير/ الأخ محمد حنيفة وزير النقل في سيلان وأن المرافقين هم صهره جمشيد عبد الجبار وهو شاب رجل اعمال والشيخ أحمد

مبـارك بن محمد مخدوم وهو متخرج من الجامعة الاسلامية في المديـنـة والأخ فـالـح غـوث وهو تاجر أدو ية، وسائق السيارة وهو هندوكي الديانة اسمه(ساندرا).

كله من النارجيل:

وقفـنا على كوخ صغير لنشرب من ماء ثمار النارجيل الصفراء التي تكثر في هذه البلاد و بينما كنا نشرب وقفت أتـأمـل الـكـوخ الـذي بـني من الأخشاب، وجلل بالحصير وسـقـف بالقش وليس فيه من البضاعة الا ثمار النارجيل يـبـيـع ثمارها للمارة من الطر يق ليرووا عطشهم منها فقال لـنـا إخـوانـنـا إنَّ كـل مـافي هذا الكوخ هو من النارجيل فـأخشابه من خشب النارجيل والحصير الموضوع على جوانبه مـن سـعـف النارجيل والقش الذي على سقفه من خوصها والبضاعة من ثمارها.

وقد شربنا ماء لذيذاً صافياً من الثمرة بثمن قدره خمس روبـيـات لـنـا نحـن الخمسة أي ريال سعودي واحد ثمن خمـس ثـمـار من ثمار النارجيل الممتاز وليس ذلك فحسب وانمـا عـمـد صـاحـب الـكوخ الى تكسير الثمار التي شربنا مـاءهـا وجـعلنا نأكل من شحمها الذي يكون في الداخل الاّ انـنـي لاحـظـت أنـه ليس كثيراً وليس جيداً في مثل هذا النوع من الثمار.

والعجيب أن الماء سال على يدي وبعض ثيابي فاذا به لم يؤثر فيها بشيء وانما كان أثره كأثر الماء الذي يغسل به المرء يديه ينظفهما به رغم أنه حلو نوعاً ما اكثر من ماء الثمار الأخرى المنتشرة في افريقية الاستوائية والبحر الكاريبي وجنوب الهند فذلك ليس فيه من الحلاوة شيء.

اكواخ من الطين:

وقد واصلنا سيرنا واخذنا نتوغل في داخل جزيرة سيلان ونرتفع عن مستوى سطح البحر اكثر من ذي قبل فجعلت أرى شيئا لم أره من قبل وهو وجود أكواخ للفلاحين يبنونها من الطين ويسقفونها بالقش الذي يجعلون له شبه الاجنحة حتي تقي الجدران من ماء المطر الذي يسقط مدراراً على هذه البلاد.

وهذه الاكواخ وان كانت موجودة الآ أنها ليست كثيرة وليست هي بالغالبة على البناء في هذه البلاد بل هي قليلة وانما البناء الشعبي في الارياف والغابات يكون من الخشب والقش لوفرة الاخشاب وكثرة الامطار التي لايستطيع الطين أن يقاومها.

لباس ولباس:

لفت انتباهي في هذه المنطقة من الطريق لباسان احدهما لباس النساء من الفلاحات وهو لباس فضفاض كاللباس الهندي الذي يتألف من قطعة كبيرة من القماش ذات طيات متعددة أعلاها حول العجز واسفلها يضرب الى الكعبين و ينطلق منها قطعة غير واسعة توضع فوق احد الكتفين ليس لها أية فائدة وفوقه صدري يلف النهدين قصير الاكمام تقف اكمامه عند العضدين، وتحت ذلك الصدري او (الفانيلا) كما تسمى في بعض البلدان يبدو جزء من البطن عاريا مستديراً مع استدارة الجسم. و يرى المرء هذه المرأة الفلاحة وهي تريد الاسراع في عملها الذي يقتضي التنقل فيخيل اليه ان هذا اللباس يحد من حركة رجليها و يعرقل نشاطها كما أن فيه إسرافا في القماش من قوم هم في اشد الحاجة الى التوفير فقماشه يكفي لاربع نساء اوروبيات اذا لبسن قميصا يضرب الى أسفل من الركبة ذا اكمام تصل الى العضدين ولكنها المبالغة في المحافظة على التقاليد في اللباس بل الجمود عليها.

وهذا الإسراف في اللباس عند اولئك الفلاحات اللاتي يكاد المرء يرحمهن اذا رآهن بلباسهن ذلك يقابله

اسراف في التحلل من اللباس رأيناه في هذا الطريق من عمال من الرجال يقطعون بعض الاشجار في الطريق وآخرين يعملون اعمالاً فردية أخرى.

ذلك اللباس اذا رأيت الرجل فيه من تلقاء ظهره كدت تحلف انه عار تماماً فليس على الجزء الخلفي من جسمه أو ظهره أي شيء من اللباس واذا أمعنت النظر قليلا وأنت قد تفعل ذلك رغماً عنك حبا في الاستطلاع فانك ترى خيطاً رفيعاً داخلاً بين اليتيه اذا وقف اختفى الخيط بين الاليتين واذا انحنى لقطع الشجرة ظهر للناظرين ذلك بأن الخيط حتى وان كان ابيض اللون في الأصل فان العرق والوسخ يجعله يبدو مثل جسم العامل اسمر شديد السمرة حتى تصل الى قرب حد السواد اما من الجهة الامامية فان هناك خرقة صغيرة لاشك في أنها اصغر من ورقة التوت حقيقة أو هي مثلها قد وضعها على متاعه الامامي تحلة لقسم من يكاد يحلف أن العامل كان عاريا.

وربما كان لهذا العامل العاري زوجة من تلك الفلاحات التي تحمل فوق اجزاء من جسمها طيات متعددة من القماش وتدع جزء صغيراً منه عاريا. فلو أن زوجته اتخذت الاقتصاد واعطته بعض مافضل منها لكان

كلاهما في راحة من أن يوصف بالعرى. على أن اللباس الشائع عند غير اولئك العمال في هذه المنطقة هو نوعان قميص قصير الاكمام وفوطة تلف حول الوسط وهذا هو لباس الوجهاء من الناس ولباس المسلمين خاصة وقد يقتصر الامر على قميص قصير الاكمام وسروال قصير وشائع عند الفلاحين سروال قصير فقط.

الكلية العربية للسيدات المسلمات:

أُسست عام ١٩٥٩م في قرية (كل اليا) ولها برنامج خاص لتعليم اللغة العربية والأدب العربي والنحو والصرف والفقه وعلوم الحديث والمعاني والمنطق والعقائد والتصوف ثم اللغات الأهلية والانجليزية والحساب والصحة والتدبير المنزلي والخياطة والطبخ والحياكة والزراعة والألعاب الرياضية تحت نظام اسلامي ومدة الدراسة فيها ثماني سنوات وفي مسكن الكلية الآن سبع مئة طالبة من جميع أنحاء الجزيرة، وتجد خريجة الكلية شهادة العالمية التي تقبلها وزارة التعليم والتربية لتوظيف صاحبها مدرِّساً في مدارس الحكومة، وخريجات الكلية اكثرهن موظفات في مدارس الحكومة كمدرسات للغة العربية والدينيات لصغار المسلمين من الشعب.

وهذه الكلية لاتجد اية مساعدة مالية من حكومة سري لنكا لكونها غير حكومية حيث صارت مستقلة في بَرامجها وفي زِيها وادارتها تَغلب فيها العلوم العربية والاسلامية. انّما تحظَى هذه الكلية بمساعدة المسلمين المخلصين من داخل الجزيرة وخارجها.

ماأن لمحنا هذه اللوحة مكتوبة بالعربية بخط عربي جميل حتى اخذنا ذات اليسار تاركين الطريق الرئيسي وسلكنا طريقا فرعياً في داخل الغابة أو قل في داخل الأراضي ذات الاشجار الكثيفة وان كانت جزيرة سيلان كلها كذلك أو قريباً من ذلك

وقد مضى الآن على خروجنا من مدينة (كولمبو) العاصمة ساعة وربع ساعة وسرنا ميلاً واحداً في هذا الطريق الفرعي حتى وصلنا الكلية فرأينا أول مارأينا فيها لوحات باللغة العربية فقط تحمل عبارة أهلاً وسهلاً أهلاً وسهلاً.

ثم وقفنا عند الادارة فاذا باسم الكلية باللغة العربية وكذلك برنامج الدروس مكتوب باللغة العربية فقط وتزين المدخل صورة لرئيس المدرسة والمهتم بشؤونها الشيخ الحاج محمد على ابو الحسن جالساً بجانب رئيس جمهورية سيلان المستر جايواردين.



الحاج محمد علي ابو الحسن

وجلسنا قليلا في غرفة الاستقبال فأقبل الينا عدد من المدرسين في هذه الكلية وكلهم يعرفون العربية بل إن الأعجب من ذلك انني رأيتهم وسمعتهم يتخاطبون بالعربية فيما بينهم ومع رفيقنا الشيخ أحمد مبارك.

وكان في غرفة الاستقبال امرأة من العاملات في الكلية ولعلها موظفة مهمة مما يظهر من مكان عملها إلاّ أنها ماأن رأتنا حتى اسرعت بالاختفاء واخذت تسارق

النظرات من بعيد، ولم تسلم علينا ولم تقترب مني رغم أن مظهري وملابسي تغري بالفرجة.

وبعد ذلك عرفت أن هذه هي سمة جميع المعلمات والطالبات في هذه الكلية فقد رباهن القائمون عليها على الحياء والبعد عن الرجال الاجانب وعدم الاختلاط حتى بالعاملين في الكلية وعددهم قليل جداً الآ في نطاق محدود وبصورة غير انفرادية.

وهذا أمر لايشاهده المرء كثيراً في المدارس الاسلامية للبنات في غير هذه المدرسة أماغير المدارس الاسلامية فالامر فيها ظاهر ذلك بأن المرأة وبخاصة الغربية تريد بطبيعتها الاقتراب من الرجل الأجنبي والتعرف على أمره وهو كذلك يريد ذلك منها ولايقف في سبيل هذه الرغبات الآ جدار من العزيمة الصادقة التي تقويها وتسندها بل تدعمها عاطفة دينية تدعو للتقيد بأوامر الدين وتنهى عن نواهيه.

كان رئيس الكلية غائباً فأخذنا أحد المدرسين بل كلهم ذهبوا بنا الى جولة في الكلية فكان أول مادخلنا جناحاً من طابقين مكتوباً عليه((جناح الكويت)) بالعربية وذلك لأن حكومة الكويت هي التي تبرعت به فدخلنا

مهاجع البنات وهو خال منهن لانهن كلهن في فصول الدراسة ولم نر الآ واحدة كانت مريضة ظلت في سريرها واسمها« عين الفضل». وهذا هو قسم للمتوسطات والصغيرات في السن ولذلك كانت الأسرة فيه من طابقين توفيراً للمكان مع أن المكان واسع الا أن عدد الطالبات كثير اذ يزيد على سبعمائة طالبة وكلهن محتاجات للرعاية والعناية التي توفرت بالفعل لهن ههنا.

ومن المهاجع ذهبنا الى المطعم الذي يطبخ لكل الطالبات لاكثر من سبعمائة طالبة وقالوا إنهم يأخذون مبلغاً من الطالبة غير كاف مقابل الطعام ولكنهم محتاجون اليه يساعد الكلية على الاستمرار في عملها وقدره مائة روبية في الشهر أي عشرون ريالاً سعودياً. ثم انتقلنا لرؤية مسجد الكلية واذابه نظيف الاّ أنه غير كبير ولذلك اخبرونا أن الطالبات يصلين الجماعة مرتين اذ لايكفي المسجد لأن يصلين كلهن جماعة مرة واحدة.

ثم انتقلنا الى مهاجع الطالبات الكبيرات في السن، وليس فيها أحد منهن اذْ كلهن يدرسن ولو كن خارج الدرس لما بقيت واحدة تستطيع أن تقابل أحداً لما لاحظناه من غلبة الحياء عليهن ومن التربية الصارمة التي لاتجيز لهن أن يقابلن الرجال الاجانب في المدرسة لاننا

لاحظنا ان بعض الطالبات في الممرات اذا رأيننا اسرعن واختفين ولم يكن معنا في الجولة كلها الا الشيوخ من المدرسين وعند مدخل هذا القسم رأينا امرأة كهلة عمرها في حدود الخمسين الا أنها في حياء بنت الثالثة عشرة.

أراد إخواننا من المدرسين أن يقدموها التي بل قدموها على البعد فوقفت مستحية قد غطت بعض وجهها بطرف ثوبها وهي تنظر الى الأرض وقالوا انها مديرة الكلية والمسؤولة عن شؤون البنات فيها كلها واسمها (عين الودودة حنيف دين) فعين الودودة التي معناه العين ذات الود هو اسمها وحنيف دين اسم زوجها. وقد وقفت في ناحية تسارق النظر بأسفل عينيها وبعض المدرسين يطلبون منها أن ترد على بعض اسئلتي عن الكلية وكان صوتها ايضا يظهر على استيحاء وبخفر بالغ قالت لي في صوت لايكاد يبين من فرط الحياء:

إن في الكلية ٣٠٠ بنت من اليتيمات الكبيرات واربعمائة من الصغيرات وكلهن مسلمات ولانقبل من غير المسلمات احداً وقالت: انها كلية لليتيمات ولكننا كتبنا عليها: انها كلية للسيدات حتى لاتشعر اليتيمات بشيء من النقص.

وقالت: اننا نحرص على رعاية اليتيمات حتى في غير

شؤون الدراسة وعلى سبيل المثال سنحتفل بعد قليل بتزويج إحداهن وستكون حفلةالزواج خارج الكلية ولكن تحت رعايتنا.

وكان كلامها رغم أنها تفهم العربية يأتي اليّ بواسطة المدرسين في الكلية الذين يعرفون العربية لأن الحياء وبعدها عن مكان وقوفي يمنع من أن اسمع كلامها أو أن تتوجه بالكلام اليّ مباشرة.

وفي مهاجع الكبيرات من الطالبات رأينا الأسرة كل سرير منفرد وحده بجانبه خزانة خشبية للطالبة على ظهرها كتب عربية بل من امهات الكتب العربية رأيت من بينها «مشكاة المصابيح» وتفسير البيضاوي.

والقاعة نظيفة والاسرةنظيفة ايضا. والبناء جيد والعناية ظاهرة.

ثم اخذونا الى قاعة اخرى لمهاجع الصغيرات من اليتيمات كتب عليها بالانكليزي «جدة هول ــ أي قاعة مدينة جدة».. وعند مدخلها لوحة تقول افتتح هذه القاعة فخامة رئيس (سيرالنكا في ١٣/ مايو ١٩٧٨م) وقد اسموها بقاعة جدة لأن أحد المحسنين من اهالي جدة قد تبرع بتكاليف بنائها وابى أن يعلن عن اسمه.

وعند باب هذه القاعة الداخلي رأيت طفلة في حدود العاشرة من عمرها لم تستطيع أن تهرب أذْ فاجاتها وسألتها عن اسمها فأجابت انه(نهارا) من كلمة النهار العربية ضد الليل.

الزيارات ممنوعة:

وفي خارج قاعة الاستقبال رأينا موظفة ما أن لمحتنا حتى اسرعت مبتعدة فجلسنا في مقاعد انتظار هناك ولاحظت أن لوحة الاعلانات مكتوبة بالعربية (اعلانات الكلية) وهناك لافتة تقول: الزيارات ممنوعة الا بواسطة ادارة الكلية ومحظور مقابلة الطالبات لأي كان دون إذن مسبق من الكلية.

الفصل الأعلى:

قال لنا اخواننا المرافقون وكذلك المدرسون في هذه الكلية: إن طالبات الفصل النهائي في الكلية يفهمن العربية جيداً وانه لابد من أن تلقي فيهن كلمة توجيه بالعربية ولن يحتاج الأمر الى مترجم.

فذهبنا مع المدرسين نخترق فصول الدراسة الى اليمين واليسار وكلها غاصة بالطالبات اللاتي يرتدين الزي

الأبيض دون استثناء واكثرهن عليهن اللباس الرسمي للكلية وهو سراويل طويل يضرب الى الكعبين عادي الاتساع فهو ليس واسعاً مثل سراويل الباكستانيات وليس هو بالضيق مثل سراويل الهنديات وفوقه قميص واسع سعته لاتخرجه من الاناقة يضرب الى الكعبين أو فوقهما قليلاً وهو ذو اكمام طويلة وفوق ذلك غطاء للرأس ابيض شبيه بغطاء الممرضات ولكنه ساتر للشعر.

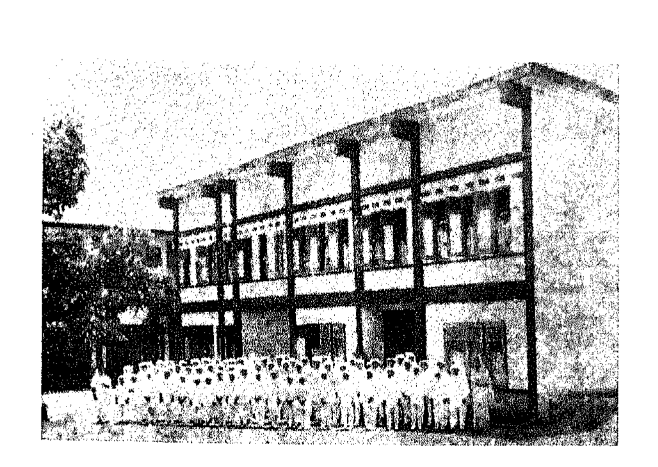
وكنا نسير دون وقوف الا أننا كنا نسلم ونحن نمر على المدرسين والمدرسات ومعظم المدرسين من الشيوخ المسنين أو على الأقل من غير الشباب المتأنقين أما المدرسات فهن لايبعدن عن ذلك كثيراً. وأما الطالبات وقد رأيناهن في الفصول ولم نرهن قبل ذلك فقد اعجبني لباسهن السابغ وصحة اجسامهن مما يدل على حسن تغذيتهن وليس ذلك متعلقاً بكمية الطعام التي اذا زادت في هذه البلاد ظهر ذلك واضحاً في زيادة الوزن لأن طعامهم كطعام أهل الهند دسم مليء بالبهارات وانما يدل ذلك على حسن اختيار الغذاء فلا يلمح المرء بدينة منهن بدانة مفرطة ولايرى نحيلة نحولاً زائداً وهذا وإن كان هو الاكثر في سيلان ولكنه يوجد اقلية من الناس فيها النحافة الشديدة وأخرى فيها السمنة المفرطة لكنهم على

وجه العموم في هذه البلاد ليسوا كأهل الهند الذين يجمعون في هذاالأمر بين النقيضين.

ودخلنا الفصل فاذا بالمدرس شيخ ملتح كبير السن واذا به يقرأ كتاباً عربياً و يقول: إن الدرس هو أصول الدين ولم يكن في الوقت متسع للاطلاع على مستوى الدراسة وانما القيت كلمة في الطالبات بالعربية لم يكن حاجة بهن الى ترجمتها وكانت علامات الفهم والتأثر عند ذكر مايؤثر في النفس ظاهرة على وجوههن.

وكنت الاحظ مظاهرهن فأجد في وجوههن اشراقاً وعليها طلاوة ليست على وجوه نساء أهل هذه البلاد من غير المسلمات وقد ورد في ذهني خاطر بانه ربما كان ذلك لكونهن من الشابات ولكنني نفيته لانني رأيت كثيراًمن الشابات غير المسلمات في الاسواق وفي غيرها فلم اجدهن كذلك حتى خُيِّل اليّ أن ذلك سببه أن اغلبية المسلمين أو قسماً كبيراً منهم من اصول غير سنهالية أي: من اصول من خارج هذه البلاد من العرب مثلاً أو من المليبار أو من شمال الهند.

وعندما فرغت من القاء الكلمة وقد ظهر لي ــ كما قلت ــ من تعبيرات وجوههن انهن قد فهمن ماجاء فيها كله طلب منهن مدرسهن و بقية المدرسين الواقفين أن ترد



اليتيمات يقفن مع المدرسات امام مساكن الطالبات في الكلية

إحداهن باللغة العربية على كلمتي وقالوا لي: إن ذلك سهل عليهن لقوة معرفتهن بها ولكنهم اخذوا يتكلمون معهن بلغتهم مافهمت منه انهم كلما اشاروا الى واحدة اعتذرت حتى اشاروا الى واحدة بعنيها فاحمر وجهها خجلاً وامتنعت والى أخرى ففعلت قبل ذلك فقلت لهم: إنني اقترح أن نؤجل الرد على الكلمة الى الزيارة الثانية للكلية اذا تيسرت زيارتها إن شاء الله.

هذا وقد اخبرني اخواني أن الحكومة تعترف بشهادات هذه الكلية وتوظف المتخرجات منها مدرسات للغة العربية والدين في المدارس الحكومية اذا شئن مثل خريجي

المدارس الثانوية لان مستواها هو الثانوي ولو كان اسمها كلية فهذا الاسم في الهند وماحولها هو اصطلاحي اكثر منه حقيقي عالمي.

وقد خرجت من هذه المدرسة وانا معجب جداً بجهود هؤلاء الاخوة التي هي في الحقيقة جهود خاصة يصعب على امثالهم في البلاد العربية أن يفعلوا مثلها وان كانت الاحوال مختلفة في المنطقتين ولكن حتى في البلاد الأخرى التي تشابه ظروفها ظروف سيلان قد سعى قوم من المسلمين الى تعليم بنات المسلمين ولكنهم لم يستطيعوا ان يوفروا لهن التربية الاسلامية الجيدة مع العلوم التي يحتاج اليها في الحياة الحاضرة.

ويقع غير بعيد من مبنى هذه الكلية العربية كما يسمونها مدرسة حكومية بنتها الحكومة للمسلمين لأن معظم أهالي هذه القرية من المسلمين وهي تطبق المنهج الحكومي مضافاً اليه علوم الدين الاسلامي واللغة العربية، ولها أنظمة خاصة في العطلات غير انظمة المدارس الحكومية الاخرى من ذلك أن الدراسة تعطل فيها كل شهر رمضان.

وودعنا هذه القرية المسماة قرية (كل اليا) مسرورين، وتبعد من العاصمة كولمبو بسمافة «٥١» كيلو متراً.

وعدنا الى الطريق الرئيسية ثانية فررنا ببلدة أسمها «بانااليا» تشتهر بصناعة يدوية ماخوذة من نبات عندهم شبيه بالبردي الا أنه كبير جدا بالنسبة الى البردي و يكون في طول قامة الرجل مرتين أو ثلاثا ومنظره على البعد يشبه منظر عيدان الخيزران الا أنه اغلظ واطول و يصنعون منه في هذه القرية السلال والحقائب اليدوية وأغطية الأطعمة الباردة.

ثم بدأت التلال الخضر وبدأ الطريق في الصعود شيئاً فشيئاً وبدأت المناظر تتغير فتبدو أكثر روعة ذلك بان جبالا خضراء عالية بدأت رؤوسها تظهر ولاغرو في ذلك لاننا قد أخذنا ندخل في منطقة العالية في وسط جزيرة سيلان وهي منطقة مشهورة بجمال مناظرها.

ويرى المرء الرجال من الأهالي هنا اكثرهم يرتدون قيصاً قصير الاكمام وفوطة قد لفوها على اوساطهم ومع الارتفاع القليل بدأت اشجار المطاط تظهر على شكل غابات صغيرة يقول مرافقي: إنها تدر مالاً وفيراً غير انها تحتاج الى عناية في غرسها. ومعلوم أن العناية هي في هذه الناحية وامثالها محدودة اما الري فانهم لايحتاجون فيه الى شيء لأن السماء تجود بالمطر حتى تكون شكواهم من كثرته لا من قلته.

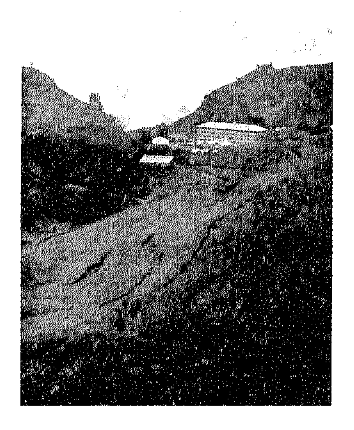
وهذه الاشجار من المطاط التي رأيتها هنا هي من نوع لم أر مثيله في بلاد المطاط المشهورة به وهي بلاد الملايو مثلاً لأن الاشجار العادية تكون ضخمة عريضة الجذوع وأما هذه الموجودة في سيلان فانها دقيقة الجذوع والسوق وسألت إخوتنا عن السبب في ذلك وهل هو كونها حديثة الغرس فأجابوا: لا، إن هذه هى طبيعة هذا النوع من شجر المطاط.

سوق الأحد:

مررنا بسوق قروي اسمه «سوق الاحد» اضافة الى هذا اليوم يوم الاحد فاذا به صغير ولكنه لطيف فيه بضائع تتراوح بين القماش الذي يقول إخواننا: إن الذين يتاجرون فيه في العادة هم من المسلمين وبين الحاجات العاجلة مثل الشاي الذي يقطف من أماكن قريبة من مكان هذا السوق والفول السوداني الذي هو موجود عندهم ولكنه ليس فاخراً كما أنه ليس رخيصاً وأنواع من اوراق التبغ بعضها يشترونه ويضيفونه الى التنبول يمضغونه معه ويتفلون مايتجمع في الفم منه لأن الدخان سام اذا أكل اكلاً كما هو معروف وهناك الفلفل الاخضر الذي لاغنى عن الاكثار منه في موائد هذه البلاد الحارة وموز اخضر وخضرة الموز هنا ليست ناشئة عن موز لم ينضج بعد وانما

هذه هي طبيعته، وحبات صغيرة رديئة النوع من الليمون (البنزهير)، وبطاطس صغيرة الحجم ونوع صغير جداً من القرع لاتزيد القرعة الواحدة منه على حجم البرتقالة الكبيرة.

وكل ذلك بطبيعة الحال من إنتاج المنطقة نفسها، وسمك مجفف يباع الرطل منه بروبيتين أي: أن الكيلو بحوالي ريال سعودي واحد، هذا الى نوع من الباذنجان لم أره في غير هذه البلاد فهو صغير جداً الى درجة أنه في حجم التمر ولونه أخضر، كما يبيعون لوبيا جافة رديئة.



تلال مغطاة بزراعات الشاي

واكثر البائعين هنا من الريفيين والغالب على هذا السوق قلة البضائع وعدم جودتها.

وواصلنا السير في طريقنا الى مدينة كندي في الهضبة الوسطى من جزيرة سيلان وواصلت المنطقة إبراز فتنتها وتنحت اشجار النارجيل عن الوديان والسهول غير الواسعة لتحل محلها حقول الأرز الذي هو الغذاء الرئيسي للسكان. فمررنا بمنطقة تسمى «كولى» بمعنى ورقة في اللغة السنهالية ثم جبال يزرع الشاي على سفوحها وقد بدت اشجاره متساوية الطول أو متقاربة تكاد تكون متشابهة الفروع ثم ارتفعنا قليلا لنرى غابة أخرى من غابات اشجار المطاط.

زهرة الدنيا:

مررنا بقرية اسمها(ليلون دنيا) يسكن فيها عدد من المسلمين ولكننا لم نقف فيها ولما سألتهم عن معنى اسمها اجابوا: إن ليلون دنيا بمعنى زهرة الدنيا، لكن تبين أن معنى دنيا هو قرية وليلون زهرة ومعنى الاسم قرية الزهور بالسنهالية ولاعلاقة للدنيا العربية بهذا الاسم.

ومع ذلك ففي هذه القرية رأيناهم على قارعة الطريق ينشرون على فرش من الحصير المصنوع من

النارجيل عدة أنواع من البهارات لكي تجف منها الزنجبيل والفلفل الأسود. وهذا لم نره كثيراً في غيرها. اما قشور اشجار النارجيل التي كوموها تجف بعد أن كانوا شربوا ماءها فانها تكاد تكون موجودة في كل مكان. وهم يستفيدون منها بعد ذلك في صناعة الحبال، وفي الوقود وفي أغراض أخرى غير ذلك.

مواصلة الصعود:

مضت الرحلة الى كندي في الصعود مع تلال غير وعرة وفي طريق غير مستقيمة بسبب طبيعة الأرض الجبلية حتى وصلنا الى قرية فيها سوق صغير على الخط الاسفلتي فيه بعض الحوانيت وأظهر مافيه مسجد أخبرنا إخواننا أن عادة مسلمي أهل سيلان أن يبنوا في كل مكان اجتماع مسجداً حتى ولو كان عدد المصلين في المنطقة محدوداً لايزيد على خمسة أشخاص. وذلك حتى يجد المسلم المشترك في هذه الاجتماعات مسجداً يتوضأ من الماء الذي لابد أن يتوفر فيه مع المرافق الاخرى ويستطيع أن يصلى وهو مستريح وذلك الى جانب كون وجود المسجد في سوق القرية حتى التي لايكون فيها سكان مسلمون كثيرون معناه: إظهار شعار اسلامي فيها ودعوة الى الاسلام أو تقوية الشعور الديني لدى المسلمين

وفي ظاهر هذه القرية رأينا رجلين مع كل منهما فيل يؤجره لمن اراد أن يحمل عليه شيئا من الاثقال كالأخشاب.

ولا تزال الغابات هي التي تجلل هذه الجبال ومن أهم مافيها النارجيل ذو الثمر الاصفر اللون والموز ذو العناقيد الخضراء وأقل مافيها الحيوانات فلا يكاد يرى المرء الا عدداً محدوداً من الابقار وأقل منها واندر أن يرى شيئاً من الماعز الذي هو عندهم من النوع الصغير الحجم الذي لاصوف عليه.

أما الابقار فانها متعددة الالوان متوسطة الاوزان وكلها سمينة حسنة المظهر على خلاف الابقار الهندية التي هي كبيرة الاجسام غير انها هزيلة حتى تكاد تكون بادية العظام في بعض البلدان.

أما الوحوش فهي نادرة وقد رأيت نمساً أدهم اللون وقرداً رمادي اللون ولاشيء غير ذلك في هذا الطريق. وأما الطيور فأنها قليلة ايضا بل هي نادرة في الغابات التي يظن أن تكون زاخرة بها.

ولايكاد يعدم المرء رؤية حانوت يبيع المصنوعات الوطنية مثل الفخار الأحمر الذي رأيته في إحدى قرى

التلال هنا وقد صنعوا منه قدوراً للطبخ مع أنه سميك ويحتاج الى كمية كبيرة من الحطب ولكنه يكون ارخص من قدور النحاس والمعدن في هذه البلاد التي تشكو من عجز ميزان المدفوعات فيها وصعوبة الحصول على ماتحتاجه من العملة رغم مايسقط عليها من امطار ومايجلل ارضها من غابات شاملة وحقول زراعية واسعة.

ثم مررنا بقرية تسمى(مافانيلا) قال لنا مرافقونا: إن نصف سكانها من المسلمين.

وبعد ذلك ابتدأ الصعود صعوداً حاداً في جبل تجلل حافاته زهور برية صفراء وترتفع مع ارتفاع قمته اشجار وحشائش برية خضراء ويسقط منه شلال صغير ولكن لخريره هدير.

ثم عبق في الجو رائحة القرنفل شممناها ونحن في السيارة وقالوا: لأن هذه المنطقة يغرس فيها القرنفل وبعد منطقة القرنفل التي لم تكن واسعة مررنا بمسجد مقام على الطريق للمارة من المسلمين.

وعلى جانبي الطريق وضعت اكوام من جذوع الاشجار الكبيرة استعداداً لنقلها واستعمالها في صناعة الأثاث.

هذه هي كندي:

قال الاخوان المرافقون: هذه هي كندي ولم ار الا اشجار عالية كثيفة الا انني رأيت حركة كبيرة لحافلات الركاب. وتبين بعد ذلك أن المدينة مفرقة المنازل متناثرة المساكن في مساحة جبلية واسعة.

ومعنى اسم كندي قمة الجبل في السنهالية ففي تلك اللغة: كاند... باسكان الدال: الجبل ودي قمة أو رأس. وذلك لانها واقعة في قمة من الجبال بالنسبة الى ماحولها اذْ من كان فيها فان معظم مايحيط به من الأرض القريبة اكثر انخفاضاً منه. أما البعيد عنها فان هناك جبالا عالية لعل ابعدها صيتا على مر العصور وحق له ذلك هو الجبل الذي يقولون إن آدم ابا البشر قد حط عليه قدمه أول مانزل من الجنة الى الارض وهو لايرى من كندى إلا إذا صعد المرؤ إحدى قمم الجبال المجاورة وقد قصدنا فندق الملكة (كوين هوتيل) للاستراحة ولأنتظار مندوب من وزير الخارجية السيلانية الذي كان في البرنامج أن نتناول الغداء في كندي بناء على دعوة منه.

و يبلغ عدد سكان (كندي)مائتي الف نسمة ٣٠٪ منهم مسلمون.

ولبثنا قليلا ثم ذهبنا لنرى بحيرة صناعية بجانبه لايفصل بينها الا الشارع العام وهي بحيرة ليست كبيرة لانها في البلدة القديمة في سفح تلة خضراء ولكنها محاطة بشرفات شبيهة بالشرفات العربية الا أنها اكبر منها وفي كل واحدة منها عدة ثقوب متناسقة قالوا: إن السبب في وضعها أن يكون الرماة من المدافعين يطلون على الأعداء و يرمونهم منها دون أن يصابوا بسؤ لانهم يستترون بهذه الشرفات التي هي مصنوعة من الحجارة وقالوا: إن الذي انشأها أحد الملوك البوذيين الذين كانوا يحكمون سيلان من هذه المدينة.

ومااسرع أن وقفت سيارة فاخرة جديدة مكيفة الهواء نزل منها رجل مشرق اللون على خلاف عامة أهل هذه البلاد واقبل يسلم و يعانق وهو هاش باش وهو نفسه بشوش الوجه منفرج الأسارير وقدم نفسه بأنه اخو وزير الخارجية قد ارسله الوزير لاستقبالنا ولكي يصحبنا الى اللقاء مع وزير الخارجية.

على مائدة وزير الخارجية:

وهو وزير مسلم وهو أول وزير مسلم يتولى وزارة الخارجية في كل تاريخ سيلان بل هو أول وزير

للخارجية للجمهورية منذ أن حصلت على استقلالها عام ١٩٤٨م عن بريطانيا وذلك لأنه حدث منذ عهد الاستقلال أن كان رئيس الوزراء هو الذي يتولى منصب وزير الخارجية الآ في هذه الحكومة الحاضرة التي عهدت بوزارة الخارجية الى وزير مستقل وكان هو الوزير المسلم(عبد القادر شاه حميد) وهو عضو في البرلمان منذ ١٩ سنة وأكثر الناخبين الذين ينتخبونه من البوذيين بسبب قلة المسلمين في الدائرة التي يرشح نفسه فيها ولكن البوذيين يفضلون انتخابه على بني دينهم لقوة شخصيته ولما يؤملونه في النفع لمنطقتهم على يده.

واستقبلنا الوزير بآحتضان كما يفعل الاخوان مع اخوانهم وليس كما يفعل وزير خارجية تعود على آداب المعاملة الأوروبية أو اخذ نفسه بتلك العادات.

وقد بهرتني شخصيته لأول مرة فهو شعلة من النشاط الذهني المتوثب على خلاف عادة عامة الناس في سيلان الذين يشعر المرء أن عقولهم هادئة وأن تفكيرهم بطيء الحركة، وهو مربوع القامة بالنسبة الى سكان سيلان أو هو يميل الى القصر صافي اللون بالنسبة الى عامة السكان وإن كان أقل بياضاً من أخيه الذي استقبلنا في الفندق نيابة عنه لأن أخاه يكاد يكون لونه لون أهل البلاد العربية الجنوبية.

قال الوزير: لقد كنت في هذا اليوم الأحد على موعد معْ كافة اسرتي منذ حوالي ثلاثة اشهر ولكنني عندما علمت بقدومك قررت إلغاء ذلك الموعد والاجتماع بك. انني انتهز هذه الفرصة لاتكلم معك بشأن المسلمين في هذه البلاد وبشأن الكارثة الحالية التي المت بالمسلمين في شرق البلاد وهي كارثة الاعصار والفيضان الذي صاحبه.

إن المسلمين في هذه البلاد أقلية يبلغ عددهم مابين ٧٪ الى ٨٪ وكانت حالة اكثرهم في السابق جيدة ففيهم الاغنياء وقد امت الحكومة ممتلكاتهم ضمن ماامته من ممتلكات بعض الاغنياء من أهل الديانات الأخرى في البلاد، ولذلك تضرر بعض المسلمين وأن المهمّ الآن لدينا هو رفع مستوى المسلمين ثقافياً لأنَّ المسلم اذا تعلم اصبح لديه مؤهل يستطيع العيش به وإنَّ مساعدة المسلمين لاتكون بمجرد إرسال المال لأن المال اذاأعطي للفقير فانه سيكفيه فترة قصيرة ثم ينفد وانما المهم هو التعليم الذي يجعله قادراً على أن يعمل ثم هو نفسه بعد ذلك يمكن أن يوفر العمل لاخوانه اذا كانت لديهم مشروعات نافعة أو أعمال تتطلب أعمالاً لآخرين.

ثم تحدث عن سياسة بلاده فقال: إن بلادنا من دول

عدم الانحياز. بل هي رئيسة هذه المجموعة ولذلك أنا بصفتي وزير خارجية سيلان رئيس دول عدم الانحياز في الوقت الحاضر وقد مكنني هذا المنصب من الاجتماع بعدد من إخواني في الدول العربية وزرت بعضها وانني آمل في أن ازور بعض الدول وبخاصة المملكة العربية السعودية.

ثم عاد الى الكلام عن كارثة الاعصار التي المت بالجزء الشرقي من جزيرة سيلان وأنه جزء يقطن غالبيته مسلمون وقال: إننا اتصلنا ببعض الدول واخبرناهم بماحدث فسارعت بعض الدول الغربية الى بذل المساعدة ولكن بعض الدول الاسلامية لم تساعدنا مع أن المتضررين اكثرهم من المسلمين ربما كان ذلك لاننا لم نقل إن اكثر المتضررين هم من المسلمين. ذلك باننا دولة فيها الاديان حرة ولايمكن أن ننوه باهل دين دون غيرهم فالحكومة ترى من الواجب عليها أن تساعد من تصيبه نكبة من المواطنين ايا كانت ديانته.

وهنا سألته عما اذا كانت حكومة سيلان قد اتصلت بالحكومة السعودية طالبة المساعدة؟ فاجاب: في الحقيقة ارسلنا نداء عاماً ولم نفصل الامر للسعودية بسبب عدم وجود السفارة السعودية في سيلان لأن السفير في الهند

يأتي الينا سفيراًغير مقيم في أوقات معينة ولم نجتمع به بعد كارثة الفيضان وإلا لكنا اخبرناه شخصياً عما حدث وأن المسلمين هم اشد ضرراً من غيرهم لانهم كانوا الاكثرية في سكان تلك المنطقة.

ثم تكلم طويلا عن علاقة سيلان بالبلاد العربية وفهمت منه أنه يستشرف الى أن تتحسن العلاقات بين سيلان وبين البلاد العربية الثرية في عهده وأن يترتب على ذلك أن تقدم تلك الدول مساعدات اقتصادية لسيلان وفهمت منه أن ذلك سيكون بمثابة الدعاية للمسليمن الذين استطاع وزيرهم أن يفعل ذلك وإن لم يقله صراحة فهو رجل سياسي حريص على مايخرج من فمه من كلام.

وقد رددت بعد ذلك على كلمته بكلمة قلت فيها: إنني اشكره على هذه الايضاحات التي ذكرها والتي تهمني بصفتي أحد المسلمين الذين يهمهم امر اخوانهم المسلمين ولكوني اعمل في حقل التعاون مع الجمعيات والافراد المسلمين في خارج المملكة العربية السعودية في ميدان التعاون الاسلامي ولكنني ارجو أن اوضح لمعاليه انني لست من رجال السياسة ولا أنا موظف في وزارة الخارجية السعودية. ولكنني أعده بان ابلغ ماسمعته منه

للمسئولين في المملكة وأن ابذل جهدي في أن يكون له الاثر المناسب.

ومن خصوص كارثة الفيضان التي اصابت شرقي الجزيرة وتأثر بها المسلمون اكثر مما تأثر بها غيرهم فانني أخبره انني شخصياً واكثر الناس في البلاد السعودية لم يعرفوا بحقيقة الأمر وانما بلغتهم الكارثة من وكالات الأخبار الاجنبية التى لا تنوه بديانة السكان في العادة، والآن وبعد أن عرفنا هذا من معاليه ومن غيره من اخوتنا المسلمين فإنني أعده بأن اغير اتجاه عودتي للملكة الذي لم يكن يمر بالهند وسأمر بها لا لشيء إلا لأشرح لسعادة سفير السعودية في الهند الأستاذ صالح الصقير الذي هو في الوقت نفسه سفير غير مقيم في سيلان لاشرح له الامر ولأتدارس معه العمل على مساعدة المسلمين الذين تضرروا.

فشكر ذلك، وهنا كان الطعام قد وضع على المائدة ولكن الحديث معه استمر متصلا على المائدة وحتى بعد أن فرغت المائدة.



وزير خارجية سيلان.

كان الطعام مؤلفا من السمك (والروبيان)والخبز الاصفر الرقيق الذي يوجد في جنوب الهند وانواع أخرى غير معروفة لنا فأكلنا ما عرفنا وتركنا مالم اعرف، وقال لي وزير الخارجية: لقد امرت الطباخ الا يضع فيه الفلفل لأنني اعلم انكم ايها العرب لاتحبون الحار في طعامكم. فقلت له وفمي يتلظى من حرارة الفلفل: شكراً.

ذلك بأنهم في الهند ومن كان طعامهم يشبه طعامها لايستغنون عن الفلفل في طعامهم مطلقاً فاذا قالوا: إنه

ليس فيه شيء فمعنى ذلك انه فيه شيء قليل بالنسبة لهم ولكنه بالنسبة لك اذا كنت لم تعتد على اكله كثير جداً.

وقد تناول الحديث مع الوزير اطرافا عديدة من تاريخ هذه البلاد وعلاقة العرب والمسلمين فيها منذ القديم وحدثنا عن نفسه فقال : إنه من قرية اسلامية تبعد عن مدينة(كندي) سبعة كيلو مترات تسمى (اقرونايا) وأن سكانها اربعون الفا وأن اهلها يتوارثون قصة تقول إن ثلاثة من عرب المغرب العربي جاؤا الى هذه البلاد فأصبح احدهم طبيباً للملك البوذي الذي مقره مدينة كندي وقد توثقت العلاقة بينهم وبين ملوك كندي حتى تزوجوا منهم وأن نسلهم هم اهل هذه القرية.

وقال: إن تاريخ المسلمين مع ملوك البوذيين يتميز بالود والعلاقة الحسنة.

وفي ختام المأدبة وختام الحديث نهض يودعنا مع اخيه وابن له صغير عمره آثنتا عشرة سنة سألته عن اسمه؟ فقال: أمير شاه، فقلت للوزير: اتعرف معنى ذلك بالعربية؟فقال: لا، قلت: امير الملك، فضحك. وقال لابنه: انظر يابني لقد اخترت لك افخم الاسماء.

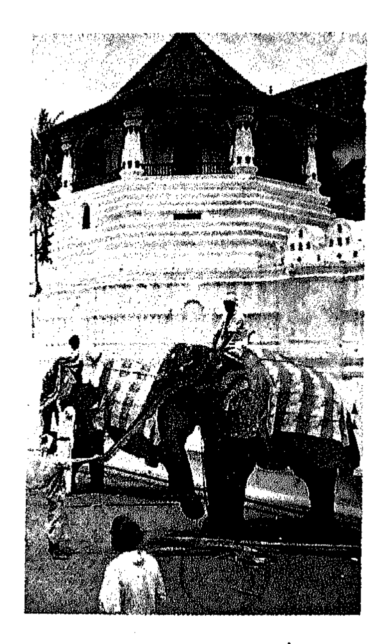
وعندما خرجنا من البوابة كان الجندي الموجود عند

باب الدار يؤدي التحية له ولضيوفه وخرجت من عنده وأنا مسرور بماسمعته من معلومات عن احوال المسلمين الحاضرة والغابرة في هذه البلاد.

وقد استغرقت هذه الجلسة معه ساعتين ونصفا. والبيت الذي فيه المائدة يطل على نهر عميق الجرى لانه واد بين هضاب يسمى(مافالي قانقا) رأيت على ضفته اربعة من الافيال مع اصحابها الذين يخصصونها لحمل الاثقال بالاجرة ولكنها كانت هي واصحابها في فترة استرخاء أو راحة وقت الظهيرة.

ومن عند الوزير ذهبنا لرؤية مسجد الجمعة في وسط مدينة كندي ويسمى ميرانا مقام وربما كان السبب في ذلك انه يوجد بالقرب منه قبر أو مقام أما فيه نفسه فانني لم أر شيئاً من ذلك ملاصقا له فوجدناه قد بني حسب التاريخ المكتوب فيه عام ١٨٨٠م وزجاج نوافذه ملونة وهو امر لايكون كثيراً في هذه البلاد وسقفه بالخشب المحفور بطرق هندسية على اشكال مربعة متداخلة وهو ذو منبر رخامي فيه اربع درجات وهم هنا في سيلان لايتعدون اربع درجات في المنبر تكون الرابعة هى التي يجلس عليها خطيب الجمعة.

وهو المسجد الجامع الوحيد الذي تقام صلاة الجمعة فيه في وسط مدينة كندي، و يقولون إنه يمتلىء بالمصلين يوم الجمعة حتى يصلوا في مكان ملاصق له.



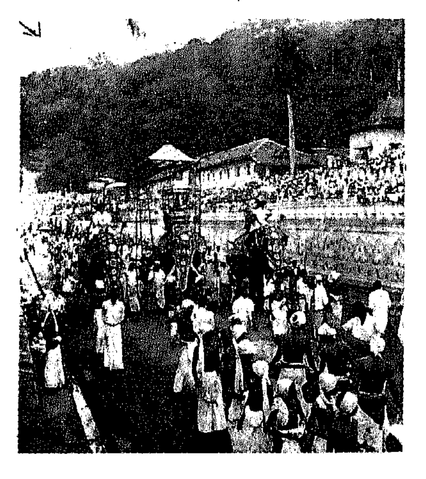
١ ـ فيلة مغطاة بالأقمشة الزاهية خارج معبد السن.

واستقبلنا مؤذن المسجد واسمه شريف الدين بن محمد لبَّى قال: إنه يؤذن في هذا المسجد منذ خمسين سنة وأن والده كان يؤذن قبله.

جولة في مدينة كندي:

كانت الجولة سريعة بالسيارة بسبب ضيق الوقت فوجدنا البلدة أشبه بالقرية ذات البيوت المتناثرة منها بالمدينة ذات البيوت المتلاصقة واكثر بيوتها وشوارعها غارقة في الاشجار حتى أن هذه الاشجار تحجب نظر المتطلع من جهة من جهاتها عن أن يرى الجهات الأخرى.

وقد شملت الجولة عدة اشياء تسترعى الانتباه منها. معبد بوذي قديم اسمه(الاداما لقا) أي معبد السِّنّ وذلك انهم يزعمون ان سن بوذا مدفون فيه وان احد ملوك كندي البوذيين ذهب الى الهند فأحضر هذا السن واسم هذا الملك(هما مالي).



حشود حول
معبد السن

كان أول مايرى الناظر على يمين المدخل الخارجي وشماله بحيرة ممتدة على شكل خندق غاصة بالاسماك الصغيرة والمتوسطة. وكان في انتظارنا أحد المرشدين الذي يقول: إنه مخصص لاستقبال الضيوف الاجانب وارشادهم وشرح مايحتاج الى شرح في هذا المعبد وقال: إنه قد تلقى أمرا بأن يفعل معنا ذلك. فكان أول ماقال إن ابتداء تاريخ هذا المعبد كان منذ (٤٠٠)سنة واول مالفت الدليل انظارنا إليه هو حجر منقوش على شكل نصف رحى أي على شكل دائرة وقال: ان هذا يسمى حجر القمر لأنه على هيئة القمر عند اكتماله وأنه موجود في اكثر الاماكن في هذا المعبد لأنه ذو اهمية في العقيدة البوذية.

ثم رأينا طائفة من النساء والاطفال من اهل البلاد يأتون الى مائدة امام المعبد الذي يقولون إن تمثال بوذا داخله فيقدمون شيئاً من زهور بنفسجية واخرى تشبه الفُل الا أنها أكبر منه فيضعونها على هذه المائدة ثم يسجدون على الأرض وكيفية سجودهم يشبه السجود في الصلاة عندنا غيرأنهم يضمون ايديهم باطن الواحدة الى الأخرى ثم يضعونها هكذا على الأرض ثم يسجدون على الأيدي أي أن وجوههم تكون على ايديهم التي هي على الأرض ولا تكون على الأرض مباشرة.

وبعد ذلك أرانا تمثالاً مغلقا عليه في صندوق ذي واجهة زجاجية قال إنه من (تايلاند) ومررنا على مكان مغلق بباب مزخرف يحرسه تمثالان لأسدين ذوى خلقة غير خلقة الاسود العادية وقد رأيت شبيها بهما من التماثيل والصور في امكنة أخرى من سيلان فهما من تراث سيلان القديم. وقال لي الدليل: إن هذا الباب مغلق ولايفتح الا بثلاثة مفاتيح اثنان منها مع الرهبان البوذيين الكبار والآخر مع احد المسئولين الكبار في الدولة. ولذلك لايفتح الا في مناسبات خاصة وبحضور المفاتيح الثلاثة مجتمعة وذلك لأن سن بوذا الحقيقية موجودة فيه.

ومن لطيف الأمر أن معبد السن أو قل الغرفة التي يقولون: إن فيها السّن قد وضع امامها اربعة من اسنان الفيلة مضى عليها حتى الآن (٣٠٠) سنة.

وقال: إن هذا الباب موجود منذ أن أسس هذا المعبد قبل اربعمائة سنة ولونه اصفر وحول المعبد نثروا بعض الزهور الصفراء. وهناك بعض تماثيل الحيوانات خارج الغرفة التي يقولون: إن السّنّ موجود فيها وبنيات صغيرات يوقدن نيرانا معلقة بالقرب منه توقد بزيت النارجيل قالوا: إن من اراد من البوذيين أن ينذر نذراً أن يوقد عدداً معيناً من هذه النيران فيأتي الى هنا ويفعل ذلك وقد رأيت

بعض النساء يأتين فيوقدن النار وهي على شكل شموع الا أنها اكبر من نار الشمعة المتوسطة بقليل ثم تضم الواحدة منهن يديها الواحدة الى الأخرى وتضعها مضمومتين امام انفها او بين عينيها تتعبد بذلك.

ثم خرج بنا الدليل يمشي في ممرات المعبد بين ضجيج من طلاب المدارس الصغار وأصوات عالية من وقع أقدام المتفرجين والمتعبدين لأن اليوم هو يوم الأحد العطلة الاسبوعية في سيلان، فخرج بنا الى فناء خارجي واشار الى سور هناك مع بعض الغرف قال: إن الجميع بنى عام ١٨١٥م وإن هذه الشرفات التي هي شبيهة بالشرفات العربية الكبيرة الا أن فيها فتحات صغيرة بمقدار مايتسع لعين الناظر وسلاحه من سهم ورصاص أن يخرج إنما وضعت كبيرة لكي تكون ترساً للمدافعين عن هذا المكان عند الحاجة ثم أرانا نافورة قال: إنها من حجر واحد منحوت كل اجزائها العليا والسفلى.

جامعة سيري لانكا:

ومن هذا المعبد البوذي القديم توجهنا الى جامعة سيري لانكا بجانب مدينة كندي العريقة وكان الطريق في المدينة مريحاً خالياًمن زحمة السيارات تحف به الاشجار

الباسقة، ربما كان أقل مافيه البيوت اذ البيوت المتزاحمة قليلة واغلبها من طابق واحد أو طابقين وهي مسنمة السقوف وذلك لكثرة الامطار في هذه المنطقة.

وكانت الجامعة اشبه بمنطقة خالية لولا أن شوارعها منسقة وذلك لسعة مساحتها حتى إن المرء لايعرف انها جامعة لان البنايات قد نثرت فيها نثراً وفي اماكن متفرقة ولايمكن لاحد أن يتجول داخلها على قدميه اذ تبلغ مساحتها ثلثمائة فدان الا أنها للخضرة الكثيفة في تلك المنطقة يخيل اليك انها اوسع من ذلك فترى في داخلها واديا وتلالاً جبلية مجللة بالخضرة التي رأيتهم يُحْرقون بعض الحشائش منها لكيلا تعوق الصعود الى التل.

وبعد جولة سريعة في انحائها صعدنا احدى التلال لزيارة المسجد الذي يقوم على انشائه أو على الاصح على توسعته فيها اتحاد الطلبة المسلمين في الجامعة.

ويقع المسجد فوق تلة عالية ترى من عدة امكنة في الجامعة إن لم يكن من جميع جهاتها، وقد منحت الجامعة الأرض للمسلمين كما فعلت مع غيرهم من ارباب الديانات الأخرى واعطتهم الى ذلك مبلغ (٥٠)الف روبية ــ أي عشرة الآف ريال سعودي ــ ليستعينوا بها

علـى بنـاء المسجد وقد جمعوا الى ذلك المبلغ مبالغ أخرى ولـكنهـا ليست كافية حتى الآن ولذلك لم يتم بناء المسجد بعـد. وقـال أحـد الـطلبـة بمرارة: إن اربـاب الـديانات الأخرى قـد انتهوا من بناء معابدهم اما نحن فلم ننته بعد بسبب قصور النفقة عن ذلك.

وتـعـلـو المـسـجـد قـبـة تشبه القباب المغولية وهي القبة الـرئـيـسـيـة وهـنـاك قبة أخرى صغيرة على مدخل المسجد، وفـي سـطـحه احدى عشرة قبة صغيرة جداً والقبة الرئيسية محـاطـة بـنوافذ زجاجية. وقد صعدنا مع الدرجة التي تؤدى الـى سـطـح المـسجد وهو كما قلت يقع في قمة تلة مرتفعة فأصبحنا نرى على امتداد البصر جبالاً وتلالاً جميلة خُضْراً

آدم وابن بطوطة:

عـلـيـك الـسلام يأابانا الاكبر آدم لقد جعلني ابنك أو عـلـى الاصح أبن ولدك بطوطة أشتاق الى أن ارى مسقط قـدمـك عـلـى الأرض الـذي اخـترت له جزيرة سيلان أو جـزيـرة سـرنـديـب كما كـان يـسـميها أبناؤك من العرب ولاادري لم اخـترت ذلك ان كان لك في الأمر خيار. الا أن المشكلة ليست في اختيار القطر وانما في اختيار المكان من القطر.

لقد أخبرنا ابن حفيدك بطوطة ولااستطيع أن أقول: إنه حفيدك رقم كذا فرقه بالنسبة الى احفادك الذين بينك وبين ابنك الذي أنجبه لايعلمه الا الله. أنه قد انفق أياما كثيرة من ايام حياته ولم يذكر كم انفق من درهم من دراهمه ولم يذكر الا بعض المصاعب التي واجهها في سبيل أن يرى موقع قدمك الشريفة على ظهر هذا الجبل العالي الوعر المرتقى من جبال جزيرة سرنديب.

وحداني الشوق ــ ياابانا العزيز ــ وانا في بلادى الى أن أرى موضع قدمك كما زعم الزاعمون وإن لم يكن موقع قدمك على اليقين كما حداني الشوق الى أن ارى موضع رجل ابن حفيدك بطوطة من هذه الجزيرة التي هي جزء من مساكن ابنائك واحفادك الذين سار ابن بطوطة في الآفاق لينظر اليهم فلم ير منهم الا بعضهم لأن البركة قد حلت في نسلك حتى ملأوا اركان هذه الأرض التي وضعت قدمك اول ماوضعته منها على قمة هذا الجبل الوعر من جزيرة سرنديب.

وعندما وصلت الى جزيرة سرنديب التي سماها احفادك المتأخرون أو هم الوسيطون من العرب بجزيرة سيلان ولاادري لماذا سموها بذلك قلتُ لاخواني احفادك الذي نشأوا بالقرب من قدمك إن كانت هي حقيقة

قـدمـك: إنـني اود أن ارى اثر قدم ابينا وابيكـم آدم عليه الـسـلام وانـني أحب أن أرى الأرض التي اطل منها ابن بـطـوطة على جز يرة سيلان فكانت إطلالته ثم ز يارته نوراً اضـاء تـاريـخ هـذه الجـزيـرة في حقبة من حقب تاريخها المـظـلـم الـذي لم يضيء فيه احد شمعة واحدة على شمعة ابن بطوطة في زمن ابن بطوطة.

وأجـابـنـي إخـوانـي واحـفـادك بـأن مـوضع هبوط ابن بـطـوطة الى أرض الجز يرة سهل المنال، ولكن موقع هبوط ابـيـنـا آدم هـو فـوق الجـبـال، وهـي جبال وعرة المسالك، كـثـيرة المهالك لاتسلك طرقها الوعرة الاّ في فترة غير هذه الـفـتـرة، اذ هـذه الـفـتـرة هـي فـتـرة الامـطار، وقد زادها الاعـصـار أخـطـاراً الـى اخـطـار، فـجـادتـها السحب بمائها المـدرار. حـتـى انهار بعض اجزاء الطر يق و بعضها مشرف عـلـى الانهـيـار، لـذلك منعت حكومة سيلان الذهاب الى ذلـك المكان الاّ بعد أن تأذن في ذلك بعد الاطمئنان الى سـلامـة مـن يـر يـدون سلوك ذلك الطر يق وخلوه مما يعيق فحزنت لهذا الأمر، وقلتُ: مَنْ لى بالصبر؟ ولو كان الأمر خـلاف ذلـك فكان الذهاب الى مكان آدم سهل المسالك والـى مـكـان ابن بطوطة ليس كذلك لكان اقل للأسف، ولكن لايد لنا فيما سلف.

وقال لي الرفاق: إنك اذا صعدت الى سطح هذا المسجد سوف ترى الجبل الذي نزل عليه آدم عليه السلام، ولكنك ستراه بعيداً بينك وبينه الجبال العالية والوديان العميقة وستراه اعلاها قمة واكثرها ارتفاعا. ورأيته بالفعل فأبصرته قد شمخ برأسه من وراء الجبال العالية ولعله فعل ذلك زهواً وفخراً لكون أب البشرية التي هي افضل البرية قد نزل فوقه وشرفه بأن وطأه بقدمه قبل سائر بقاع الأرض وسهولها وجبالها.

، وخطر لي سؤال كدت اتخيل ابانا آدم وأسأله لماذا اختار هذا الجبل المرتفع الوعر على غيره من الاماكن؟ ولماذا لم ينزل في أرض سهلة حتى يسهل على عشاق رؤية آثار قدمه الشريفة أن يصلوا اليها ولم يجبني آدم وانما أجاب العقل اذا كان العقل يفترض انه نزل هنا من الجنة.

فقال العقل: ليس عندي لهذا السؤال جواب بل ليس عندي لأصله حقيقة، وانما ارشدك الى زميلي في تفكير بني آدم الى الخيال فاذهب اليه والتمس الاجابة لديه، فكان ذلك وكانت اجابة الخيال: أن النازل من فوق لايمكن أن ينتظر أن ينزل الأعلى اقرب نقطة اليه واقرب نقطة من السماء في هذا الموضع هو هذا الجبل العالي الوعر.

وسألت الخيال ايضاً قائلاً: ياسيدي الخيال مادمت قد اجبت إجابة فيها شيء من الاقناع في غياب زميلك العقل فانني سوف اسألك عما تعلل به نزول أبينا آدم في هذه الجزيرة بالذات جزيرة سرنديب دون غيرها من البلاد؟

وأجاب الخيال: ذلك بانها جنة أرضية ومن جاء من الجنة العليا فانه سيفضل حتما أن ينزل في الجنة السفلى، أترى أن آدم عليه السلام ستروقه بلادكم الصحراوية القاحلةالتي كانت قبل نزوله إن كانت على حالتها الحاضرة تكاد تكون خالية من الحياة فارغة من النبات، ولعلكم تفتخرون بمافي جوفها من الزيت ولكن تذكر أن الزيت قبيح المنظر خبيث الرائحة بل هو للأولين لايزيد على كونه جيفة من الجيف، أو مستكرها من المستكرهات.

وأمر آخر له أهمية وهو أنه لو طرأ على آدم عليه السلام فكرة العودة الى موقع قدمه الاولى واستطاع أن ينفذ هذه الفكرة وكان موقعها في أرض سهلة فهل ترى كم يحتاج من الوقت لكي يرد فيه التحية لمن يجيء للسلام عليه وتحيته من أحفاده واخوانهم وناهيك ببلاد الهند والسند الذين يعدون بمئات الملايين اما اذا عاد في

رأس هذا الجبل الوعر فانه لن يستطيع الصعود اليه. والسلام عليه الا من يستطيعون ان يمتلكوا الطائرات وهم ذو عدد معقول.

وبينما كنت غارقاً في تفكيري وانا انظر الى الجبل البعيد الذي قال الرفاق إنه يبعد من هذا المكان حوالي ثلاثين كيلا ولكن لايمكن الوصول منه لوعورة الأرض وكان العقل قد تنحى عن مكانه في تفكيري ليفسح الطريق لزميله الخيال اذا بأحد الرفاق يناديني وليته لم يفعل (اكسلنس وات يو دو ينج هير): ماذا تفعل هنا؟

فأفيق ولم اقل له ما دار بيني وبين آدم عليه السلام أو بيني وبين العقل والخيال، وإنما قلت له: انني أود بالفعل أن أرى اثر قدم آدم عليه السلام فوق هذا الجبل فيقول: ان ذلك لايمكن الابالطائرة العمودية وسوف نجري الاتصالات اللازمة مع الحكومة اذا كان لديها طائرة عمودية يمكن أن تحملك اليه فتحوم بك عليه فقلت له: لا،لا،لا، لااريد ذلك إن الطائرة العمودية لن تشفي غليلي من رؤية قدم آدم فليكن على أرض الجبل وانا واقف بجانبه على قدمي والا لايكون ذلك وعسى أن تحين فرصة أخرى خير من هذه الفرصة وزمن آخر هو بها أحرى، والله على كل شيء قدير.

قال: ولكن لابد من صورة تذكارية فوق سطح هذا المسجد الذي يذكر فيه اسم الله فقلت: لتكن ومن اعلا المسجد الى اسفله فقد نزلنا مع أزجّ يفضي الى طابق سفلي فيه بركة للوضوء وغرف لسكنى الطلبة الذين لم يجدوا المسكن بعد.

حديقة كندي:

بقي من البرنامج اشياء لم يتسع الوقت لاكمالها في هذه الزيارة لهذه المنطقة التى لم نخصص لها الابعض بياض النهار وكانت الفقرة التالية زيارة الحديقة العامة في كندي.

وهي حديقة تستحق الزيارة فإضافة الى مافيها من أنواع النباتات والاشجار فانها منسقة تنسيقاً يسر الناظرين وقد سمحوا لنا من دون الناس العاديين بأن ندخل الحديقة بسيارتنا فكان ذلك نافعا لنا لانه لم يكن بقى على غروب الشمس اكثر من ربع ساعة وتلك لعمرى مدة يسيرة لا تكفي للتجول في هذه الحديقة الكبيرة.

فكان أول مارأيناه فيها زهرة قالوا لنا: انها موجودة في سيلان كثيرة من دون سائر بقاع العالم، وأن حكومة سيلان تكسب من تصديرها للخارج النقود واسمها ـ

زهرة العقرب ــ على اسم العقرب التى تلدغ قالوا: إنها سميت كذلك لكون اوراقها تشبه ارجل العقرب مرتفعة الاطراف. ووجدنا غرفة مكتوباً عليها (بيت العقرب) فيها انواع من الزهرة المذكورة قد زرعوها في أوعية فخارية أو في سلال من الخوص صغيرة مختلفة الالوان كثيرة الانواع الا أنها كلها ذات اصل واحد.

ثم خرجنا مسرعين نتجول في هذه الحديقة ولكن الشمس كانت اسرع منا الى الاختفاء خلف اشجارها العالية ثم من وراء هضاب كندي الخضراء ولكنا استطلعنا اشجاراً من اشجار التوابل المختلفة وإن كان اكثرها قد رأيته من قبل في بلاد أخرى يشابه جوها جو هذه البلاد مثل جزر القمر وجزر البحر الكاريبي وبلاد ملبار في جنوب الهند. الا شجرة واحدة لم أرها قبل ذلك وهي شجرة «الدار صيني» أو القرفة كما يسميها اخواننا المصريون وهي شجرة كبيرة ضخمة والقرفة تكون قشور فروعها الجديدة ومن الاشجار الأخرى الفلفل والقرنفل واشجار أخرى ذات رائحة عطرية لم ارها من قبل.

ثم في اثناء تجولنا بالسيارة داخل الحديقة رأينا شجرة تشبه المظلة تماما وهي خضراء اللون خضرة تميل الى البياض وتسمى (شجرة الشمسية)لشبهها بالمظلة الواقية من الشمس والمطر.

العودة الى كولمبو:

حل الظلام ونحن في الحديقة حتى اضطر السائق أن يضيء مصابيح السيارة فيها وكانت الساعة قد بلغت السادسة عندما بدأنا رحلة العودة من حيث أتينا الى مدينة كولمبو.

وبعد مسافة من الطريق في هذا الليل الذي يكون السير فيه أصعب من السير فيه بالنهار بسبب الاضواء العالية التي كان يضيئها السائقون في سياراتهم طلب الرفاق أن يستريحوا على كأس من الشاي في إحدى المحطات في المنطقة التي ينبت فيها الشاي، وقالوا: إنه يكون فيها طازجاً لأنه من معمل الشاي بجانب المزرعة فكان ذلك وكنا نشرب الشاي على بعد خمسة امتار فقط من معمل الشاي نفسه الذي هو يقع في المنطقة نفسها التي تزرعه.

وكنا نشرب الشاي والاخوان يحدثوننا عن مأساة هذا المصنع و يقولون إن هذه المنطقة من مزارع الشاي وهذا المصنع كان يملكه احد المسلمين فصادرته الحكومة السابقة فيا أممته من ممتلكات الا ثرياء والمعتقد ان مستواه قد هبط منذ أن حدث ذلك لأن الموظفين الذين وكلت اليهم

الحكومة ادارته واستثماره لن يكونوا حريصين عليه مثل صاحبه الأصلي وتدعى البلدة التي يقع فيها المصنع (امبان فيقيا).

في مسجد الرحمة:

وبعد أن سرنا ساعة أخرى في الطريق اردنا أن نستريح ايضا على صلاة المغرب والعشاء جمعا وذلك في وقت العشاء لاننا من المسافرين الذين يباح لهم الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء فكان ذلك في قرية اسمها(فالا دنيا)أي: قرية فالا وكان الوقوف على باب مسجدها الواقع على الطريق العام، وقد كتب عليه بالعربية ((مسجد الرحمة)) وهو مسجد صغير لأن البلدة صغيرة والمسلمين لايؤلفون أغلبية فيها ولكن هذه عادة اخواننا المسلمين في سيلان أن يبنوا مسجداً في كل مكان يوجد فيه مسلمون ولو كانوا قليلى العدد أو يمر به المسلمون ولو كانوا من غير المقيمين وهو نظيف مفروش بالحصر مسقف على شكل (جمالون) أي على شكل السنام. الا أن البلدة جوها رطب والبعوض يغني في ارجائها ويقع حيث يحلو له أن يقع من اجساد بني آدم أو غيرهم.

سراج من التاريخ:

بينما كنا نسير في الطريق العام في موقع ليس فيه قرية وان كان لايخلو من العمارة كما هو شأن الطريق كله رأينا رجلين يسيران على اقدامهما في الطريق العام المظلم ومع احدهما سراج تنبعث منه نار جيدة قال لنا مرافقونا إنها تصنع من ليفة تروى بزيت النارجيل ويأخذها الرجل بيده بعد أن يوقدها واذا استغنى عنها اطفأها ثم عاود إشعالها اذا احتاج الى ذلك.

وآخر وقفة كانت على طائفة من النسوة على الطريق يبعن النُقْل الذي يسمونه (كاجو) هو شبيه باللوز الا أنه ابيض وشكل الحبة حلزوني نوعاً ما.

وفي تمام الساعة التاسعة والربع كان الوصول الى الفندق في كولمبو.

يوم الاثنين ٤/١/١٣٩٩هـ ٤/١٢/١٩٧٨م

السفر الى بوتالم:

والباء فيها تلفظ مفخمة حتى يقرب نطقها من نطق الفاء ولكنه لايصل اليها.. والمقصود من زيارتها هو رؤية القرية التي نزل في مينائها المرحوم إن شاء الله ابن

بـطوطة اذْ لايوصل الى ذلك المكان الا من طريق (بوتالم) كما أن هـنـاك عـدة مـؤسـسـات ومدارس اسلامية تستحق الـزيـارة اضـافة الى انها تقع في منطقة مختلفة عن المنطقة الـتـي سـافرنـا اليـهـا امـس فتـلك المنطقة جبلية واقعة في الـشـمـال الـشرقـي في وسط جزيرة سيلان. وهذه منطقة ساحلية واقعة في الجنوب الغربي في ساحل سيلان.

وتـبـعـد بلدة (بوتالم) على مسافة ١٣٧ كيلا من مدينة كولمبو العاصمة.

بـدأ الـسـفـر فـي الـسـاعـة العاشرة صباحاً على سيارة الـضـيـافـة الـتـي أعدها الأخ محمد حنيفة وزير النقل في سيلان وهي سيارة جديدة مكيفة الهواء تسير بوقود الديزل. فـصـرنا نسير مع طريق المطار حتى اذا لم تبق على وصوله الا ثلاثة كيلات عدلنا ذات اليسار مع طريق اضيق منه ولـكـنـه لـيـس اضـيـق من طريق (كندي) الذي سلكناه امس. وهذا الطريق يقترب من ساحل البحر احياناً حتى يـكـون عـلـى الـشـاطىء، ويبتعد عنه احياناً أخرى ولكن لـيـس بـعـداً كـثـيراً. فكان أن مررنا ببلدة تسمى(كوتشي كـادي) رأينا فيها مسجداً اخضر الطلاء. أما أُناسها فانهم اكثر سمرة من أهالى كولمبو فيما ظهر لي.

واكثر سكانها من المسيحيين وفيهم بوذيون اما المسلمون فيها فانهم قليلون جداً. وفي الطريق بعدها اخذت غابات النارجيل تتكاثف بشكل ملفت للنظر.

بلدة (مادا مافا):

وقفنا فيها مرتين الاولى كانت عند نهر على حدودها من جهة كولمبو وذلك من أجل أن نأكل شيئاً ذكروه لنا وأنه يصنع من ثمر النارجيل وثانيهما: نتفرج على وثن للبوذيين هو تمثال حصان كبير لايزيد على ذلك ولاينقص.

اما الحصان فانه شبيه باللعبة التي يركبها الاطفال في الحدائق العامة أو التي يركبها الكبار في مدن الملاهي. ورأيت الناس من أهل البلاد يوقفون سياراتهم و ينزلون منها ليقدموا اليه شيئاً من النقود وعندما رأيناهم كذلك حمدنا الله وشكرناه على نعمتي العقل والدين.

وأما الفاكهة فانها عجيبة حقا وهى اشبه ماتكون بالبرتقالة الكبيرة المقشرة اذا رأيتها من البعد حسبتها هي فاذا لمستها بيدك رأيتها ألين منها ملمسا وعلمت انها مختلفة عنها واما اذا مسكتها فانك لابد أن تتذكر القطن المنفوش الا أنها حلوة الطعم يتحلب منها الماء وهي تقضم بقشرها

وليس لها نواة. هذه هي الوقفة الأولى في هذه البلدة.

والوقفة الثانية كانت بعد ذلك بقليل لزيارة المدرسة الغياثية حيث وجدنا مديرها المسمى (ابو صالح بن نوح) الذي قال لنا: إنه هو الذي أنشأ هذه المدرسة واسماها على اسم شيخ له يسمى بهذا الاسم، وقال لنا غيره: إن ذلك الاسم على اسم احد المقبورين هناك ولكنه لم يشأ أن يقول لنا ذلك.

وقال: إن فيها (٨٠) طالباً وفي المكتبة كان هناك مجموعة من الكتب لابأس بها قال : إنها كلها بالعربية. ثم انتقلنا الى مهجع الطلبة وليس فيه سرر وانما هي فرش الخيش يفترشونها في هذا الجو الرطب. وأما الفصول الذي ارانا اياها فانه ليس فيها مقاعد كافية. وكانت ضيافتنا من المدرسة شراب ثمار النارجيل.

ولما سألت الشيخ ابا صالح بن نوح عن نسبة المسلمين في هذه البلدة اجاب: إنهم ثلثمائة بيت فسألته: كم عدد جميع البيوت فيها؟ فأجاب: انه الفان.

وتبعد عن مدينة كولمبو العاصمة بمسافة (٤٢) ميلا أي حوالي نصف المسافة بينها وبين بلدة (ابو تالم) التي نقصدها.

في بلدة تشيلو:

سرنا قليلاً ثم وقفنا في بلدة «تشيلو» لاداء صلاة الظهر والعصر جمعا في مسجدها وهو مسجد صغير فوجدنا عليه كتابة تذكر أنه رمم في عام ١٣٩٧هـ ولم يذكر متى كان انشاؤه.

ومن انفرادات هذا المسجد ومرفقه أن رأينا مجموعة من الاحجار في اماكن الوضوء فيه اعدت للاستجمار ولاادري الحاجة اليها مع وجود الماء الا اذا كان يعدم في بعض الاحيان ثم كيف يمكن مسها مع احتمال أن يكون قد مسها احد من قبل لذلك الغرض، ومن انفراداته ايضاً انني قد رأيت في داخله كتابة باللغة التاميلية قرأها الأخ احمد مبارك فقال: إنها تقول حافظوا على ملابسكم وامتعتكم من السرقة.

وقد رأينا شابا جاء الى المسجد لاداء صلاة الظهر فأخبرنا بأن نسبة المسلمين في هذه البلدة وتوابعها هي ٩٪ وقال إنهم كانوا قبل ذلك اكثر مماهم عليه الآن ولكن جاء الى المدينة سكان غير مسلمين من مناطق اخرى فزادت نسبة السكان غير المسلمين فيها.

وتركنا بلدة (تشيلو) وواصلنا سيرنا مع طريق يزدحم

ماحوله باشجار النارجيل التي وجدنا بعضها قد سقط من جراء الاعصار والريح الشديدة التي تعرضت لها جزيرة سيلان منذ ايام وقال مرافقونا إن هذا الطريق كان مغلقا منذ الاعصار لأن اشجاراً كثيرة ضخمة قد اسقطها الاعصار فأصبحت تسد الطريق الى أن ازاحتها الحكومة منذ أيام.

ثم مررنا بنهر صغير ثم نهر آخر اكبر منه كل ذلك في مساحة متقاربة وعلى هذا النهر جسر قديم قد تعرض جانب منه للخراب بسبب الاعصار والفيضان الذي صاحبه فسدوا المرور منه فأصبح لايمر منه الا سيارة واحدة ولكن ربما كان لحسن الحظ أن مرور السيارات ليس كثيفا في هذه الناحية.

ثم مررنا بعد ذلك بأنهار عدة حتى صار النهر لايلفت النظر أما منازل الأهالي فانها في هذه الارياف اكواخ من خشب النارجيل وغيره تظلها سقوف من القش فهي بهذا تشبه الاكواخ الافريقية الا أن سقوفها في هذه البلاد كلها مسنمة وذلك لقربها من ساحل المحيط الهندي وكثرة سقوط الامطار فيها.

ومازالت غابات النارجيل تكثر وتتكاثف حتى وصلنا

منطقة اخبرنا مرافقونا بانها كانت لأسرة احد مرافقينا وهو (كامل أسد) ابن نائب وزير المالية الذي دعانا لتناول طعام الغداء هذا اليوم في بيته في بلدة (بوتالم) وارسل الينا ابنه (كامل أسد) هذا ليرافقنا من كولمبو الى بوتالم ولكن الحكومة السابقة أممتها من بين ماأممته من ممتلكات كان كثير منهم للمسلمين وانتهزت هذه الفرصة لأسأل الأخ (كامل أسد) مادام أن اسرته من الأسر التي تملك كمية من أشجار النارجيل في هذه البلاد عن المقدار التي تغله الشجرة الواحدة من الدخل الصافي في السنة لأن الاشجار كانت كثيرة كثرة تلفت النظر فجعل يحسب ويحسب ويقول: إن لها موسمين في السنة الى أن قال في النهاية إن الشجرة الواحدة تغل في المتوسط ماقيمته مائتا روبية سيلانية سنوياً وان ذلك يتضمن مايستثمره من الشجرة من الزيت والحبال الخ.. .

والحقيقة أن هذا مبلغ جيد بالنسبة الى انخفاض مستوى الحياة في هذه البلاد فمائتا روبية تساوي بالصرف الرسمي اربعين ريالا سعوديا ولكنها تساوي في هذه البلاد شيئاً كثيراً فالعامل الذي يعمل في الزراعة راتبه في الشهر من مائة الى مائة وعشرين روبية والعامل الذي يعمل في البناء يعمل طول يومه بسبع روبيات في المتوسط وأكله منها.

بلدة بوتالم:

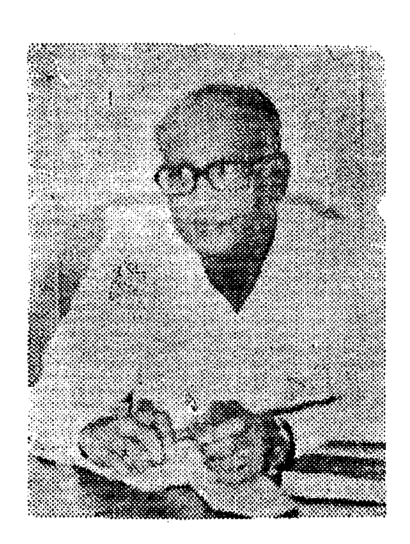
وصلناها في الساعة الواحدة والنصف ظهراً وكان اول ماستقبلنا منها الساحل بجانب الطريق الاسفلتى العام الذي كان يزدحم عدة مرات بجذوع الاشجار الضخمة التي اسقطها الاعصار الشديد وقد عمدت الحكومة لمعالجة أمرها لابنقلها وإبعادها عن الطريق لأن ذلك يتطلب احضار الآت ضخمة قوية وهوغير متيسر اضافة الى أن المنطقة منطقة غابات ضخمة لابد لسير المعدات الثقيلة من أن يتعثر ببعض الاشجار الا أن الحكومة عالجت ذلك بالطريقة البدائية فكان العمال الكادحون يقطعون الاشجار الضخمة بالفؤس والادوات اليدوية وقد رأيت بعضهم لايزالون بعملون في ذلك والعرق يتصبب من اجسامهم والتعب باد علىوجوههم وعضلاتهم ذلك بأن بعض الاشجار من الضخامة بحيث تكون اغلظ من أن يحيط بجذعها رجلان متشابكا الأيدي وهي الى ذلك صلبة الخشب.

وكل مايعمله اولئك العمال انهم يقطعون الجزء الذي يعترض الطريق من الشجرة ثم يزحزحون اخف جزيئها أو اجزائها عن الطريق حتى يصبح من السعة بحيث يسمح بمرور سيارة واحدة واحيانا لايستطيعون زحزحة جزء

واحد فيقطعونه الى اكثر من جزء وأحيانا أخرى يعجزون بالمرة عن قطع الشجرة بسبب ضخامتها وصلابة خشبها فيعمدون الى احراقها بالنار او تليين مقطعها بالنار ليسهل قطعها ثم يرشون الماء على بقيتها لكيلا تأتي عليها لأن الخشب ثمين يستعمل في صناعة الأثاث وغيره.

ورأينا الساحل الذي بقرب بلدة (بوتالم) وهو الذي يفضي اليها مباشرة ساحلاً أخضر ولك أن تستغرب ذلك وان تعجب لكون ساحل البحر يكون اخضر كأنه ساحل نهر ولكن اذا عرفت أن ذلك بسبب كثرة هطول الامطار في هذه المنطقة التى هي ساحل المحيط الهندي من جهة جنوب جزيرة سيلان والتي ليس خلفها في اتجاه الجنوب ارض يابسة معمورة الى اخر الدنيا التي تقف عند القطب الجنوبي فانك تعرف السبب في كثرة امطارها واخضرار سواحل بحارها.

قصدنا رأسا بيت مضيفنا السيد(بنيا ماريكار بن محمد حنيفة مانيكار) ويشغل منصب نائب وزير المالية في حكومة سيلان وفي الوقت الحاضر هو وزير المالية بالفعل لأن وزير المالية غائب في خارج البلاد.



السيد بنيا ماريكار بن محمد حنيفة مانيكار

بوتالم بلدة مسلمة:

قال لنا نائب الوزير: مرحبا بكم في مدينة بوتالم.. المدينة المسلمة التي جميع اهلها المولودين فيها هم من المسلمين الا أنه يوجد الآن فيها حوالي ٧٪ من الطارئين عليها للعمل ومن الذين جاؤا من الأرياف القريبة. ومرحبا بكم في بيتكم. وقال: إن ابن بطوطة زار هذه المدينة ولكنه سماها(بتالا). وقال: إن سكان المدينة يبلغون ٢٥ الفاً الا أن لها ضواحي متعددة.

وجدنا مائدة الطعام قد وضعت قبل وصولنا على

الخوان لأنه كان ينتظر وصولنا قبل ذلك الاّ انه بادرنا بالشراب البارد وكان عنده عدد من الخدم ثم نهضنا فوراً الى الطعام الذي كان حاراً من كثرة الفلفل يشوي البلعوم رغم أن الوقت حار الاّ أنه من حسن حظنا أن المطر هطل بسرعة فلطف الجو.

وبعد الطعام مباشرة استأذن الوزير واعتذر عن الاستمرار في الجلسة لأن عنده موعداً سابقاً ولأنه يعلم أن امامنا برنامجاً حافلاً وقال: إن ابن بطوطة عند ماجاء الى هذه البلدة اقام فيها عدة ايام وانتم لديكم برنامج حافل ومدينة (كولمبو) العاصمة بعيدة وقد يدرككم الليل قبل أن تغادروا (بوتالم) فأرجو أن تعودوا بعد انقضاء البرنامج الى بيتكم هذا ففيه قسم للضيوف كما ترونه وتبيتون هنا وفي الصباح تبدأون العودة الى كولمبو.

فشكرته على ذلك وقلت له: ان لدينا برنامجاً أخر ليوم غد في كولمبو وإنه يمكن لمعاليه أن ينطلق الى موعده دون حرج وأن ابنه الاستاذ(كامل أسد) قد قام بالنيابة عنه خير قيام في مرافقتنا من كولمبو فأجاب بانه سيواصل مرافقتنا في بقية الجولة هذا اليوم في منطقة بوتالم ويخبرنا بكل مانسأل عنه من شؤونها التي نريد معرفتها.

وهنا حضر الأخ (امان الله بن حميد حسن) رئيس جمعية جامع بوتالم ــ وكان رجلاً ذكياً ذا فهم ثاقب فسألته عن اسباب كون هذه المدينة الساحلية البعيدة عن العاصمة كلها إسلامية فقال : إن السبب أن العرب كانوا يصلون اليها منذ القديم في تعاملهم التجاري مع أهالي هذه البلاد وقد دخل الاسلام اليها على ايديهم لأول مرة والسبب الثاني أن التجار المسلمين من أهل جنوب الهند الذين هو من نسلهم قد وصلوا اليها ايضا فعمروها بالاسلام.

جولة في بوتالم:

كانت الجولة بالسيارة بسبب ضيق الوقت وتباعد الاماكن التي سنمر بها ولسبب آخر وهو أن هناك قطعاً من السحاب غير المطبق كانت تسقط قطرات عاجلة من المطر بين الفينة والأخرى وكانت الشمس تشرق فيما بين ذلك ثم تغيب في السحاب سريعاً.

ورفقاء الجولة هم رفقاؤنا من كولمبو الشيخ احمد مبارك ابن محمد مخدوم السيلاني والاستاذ فالح غوث من التجار السيلانيين ايضاً ومن المقربين للوزير محمد حنيفة والأخ (كامل أسد) ابن مضيفنا في بوتالم نائب وزير مالية

سيلان وانضم اليهم الأخ(امان الله بن حميد حسن) رئيس جمعية المسجد الجامع في بوتالم.

وقد شملت الجولة مسجداً يسمى «مسجد العيدروس» وجدنا فيه شيخاً مسناً لديه عدد من الأطفال من بنين وبنات يعلمهم دروساً في تحفيظ القرآن الكريم تجمهروا لديه جالسين على الأرض ومع بعضهم الواح من الخشب. وبجانب الشيخ بعض المداد الاسود المستخرج من ظاهر القدور التي يطبخ بها على النار يكتب منه الاطفال في الواحهم الخشبية. واسم الشيخ (عبد الصمد بن ذاكر بن صبين) قال الشيخ: ان تاريخ بناء هذا المسجد كان قبل ٨٠ سنة وسألته: أذلك ابتداء عمارته أم هو تاريخ تجديد عمارته؟ فأجاب: انه تاريخ ابتداء عمارته. أما المسجد فانه مسقف بالخشب ومفروش بالحصر فرشاً غير جيد. واما الشيخ وتلاميذه فانه تظهر عليهم أمارات الفاقه والحاجة وعدم المبالاة بالمظهر.

ثم أسرعنا من هذا المسجد لزيارة (المدرسة القاسمية) نسبة الى مؤسسها محمد قاسم مليباري فوجدنا مديرها شيخا كبير السن يعاني بعض المرض اسمه (محمود بن عبد المجيد) قال: عدد طلاب المدرسة اربعون وعدد مدرسيها ثلاثة سيتركنا احدهم غداً و يسافر الى المدينة المنورة

للالتحاق بالجامعة الاسلامية هناك اذ حصل على منحة للدراسة فيها.

والمدرسة قديمة وقد سبق أن تلقت مساعدة من رابطة العالم الاسلامي ابتدأت بها بناء قاعة للطعام ومطبخ وان مقدار المساعدة التي تلقوها من الرابطة (٣٥) الف روبية أي حوالي (٨) الآف ريال وأرونا البناء وقد وقف العمل فيه لقلة النفقة وذكروا أنه يحتاج الى (٣٥) الف روبية أخرى حتى يكمل. وهذا مبلغ زهيد لايستحق الذكر عندنا في المملكة ولكنه في هذه البلاد وعند هؤلاء القوم الذين ينخفض الدخل عند بعضهم حتى لايتعدى ثلاثين ريالاً في الشهر هو مبلغ عظيم.

ومما تجدر الاشارة اليه أن البناء من أساسه وقف على المدرسة وقفه بعض اهل الخير قبل مائة سنة ولذلك فان النفقة فيه مضمونة من أن ينالها البيع أو الاحتيال لأن وقفها معروف للجميع في هذه البلدة مشتهر بينهم.

ثم ذهبنا الى مسجد محي الدين وهو مسجد الجمعة في بلدة بوتالم كتب عليه انه جدد بناؤه في عام ١٩٣٩م وهو مسجد كبير كل مافيه نظيف مفروش فرشاً جيداً وبناؤه على الطراز العربي المطعم بشيء من الهندسة المغولية الموجودة في جنوب الهند وتشرف عليه جمعية رئيسها: (امان الله بن حميد حسن).

ومن اجمل مارأينا فيه قاعة ملحقة به تكاد تكون مليئة بالتبرعات العينية التي جمعها المسلمون لإخوانهم من المسلمين في الاعصار الذي اصاب سيلان وتتألف من ملابس مستعملة من ملابس الرجال والنساء والاطفال. وكومة كبيرة من ثمار النارجيل الذي يتضمن الزيت وينتفع به في اغراض عدة من اغراض الأكل. ومجموعة من الأواني المستعملة من عدة اصناف لأن الاعصار قد دمر البيوت بمافيها من الاثاث وذلك الى مقادير من الأكياس والأرز. وقد اخبرونا أن مايزيد على ألف أسرة قد تضررت واكثرها لم يبق لها شيء تملكه أصلاً الى جانب الأسر الأخرى التى اصابها ضرر أقل من ذلك ثم صعدنا معه درجة المنارة وهي حلزونية ضيقة وذلك بغية استجلاء معالم بلدة (بوتالم) الى السطح الأعلى للجامع الذي تزينه قبة عالية.

ومن انفرادته أنه تحيط بتلك القبة ساعات اربع ترى من سائر البلدة وقد فتحوا داخل القبة فأرونا آلاتها الضخمة من الداخل وقالوا: إنها كلها مصنوعة في سيلان خصيصاً لهذه القبة.

وخرجنا من المسجد والمؤذن يؤذن لصلاة العصر ولكننا كنا قد صلينا العصر جمعا مع الظهر في الطريق ومن

المسجد ذهبنا الى ساحة قريبة لمشاهدة منارة بناها أهالي البلدة تخليداً لذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم كما قالوا وهى منارة جميلة عربية الطراز محاطة بسور قصير عربي الطراز ايضا قالوا لنا: إنه لايوجد مثلها إلاّ واحدة في بنغلاديش.

الى حيث القى ابن بطوطة رحله في سيلان:

من بلدة (بوتالم) قصدنا بلدة (كلفيتي) وهي الميناء الذي نزل فيه ابن بطوطة اول مانزل في جزيرة سيلان وتبعد عن (بوتالم) بمسافة ٤٢ كيلا ولكن طريقها ضيق وسط غابات من النارجيل والاشجار الكثيفة التي أسقط الاعصار طائفة منها فسدت الطريق الاّ مازحزحه العمال منها لمرور سيارة واحدة.

ومررنا بقرية اسمها (دالوالا) أخبرونا أن أهلها مسلمون وقد شاهدناهم شديدي السمرة بسبب كونها ساحلية شديدة الرطوبة في سائر العام. ثم قرية أخرى يقطنها مسلمون ايضا تسمى (نورج جولاي) واقعة في غابات متراصة من اشجار النارجيل. وعندما تجاوزناها رأينا اعداداً من الابقار ترعى على خلاف العادة التي يقل فيها مشاهدة الابقار والى جانب الابقار التي لم تلفت

انظار الرفاق سارعوا الى لفت نظري الى اتجاه معين واذا بهم يريدون أن يروني اثنين من الحمير لانها نادرة في بلادهم. وقالوا: إن الأهالي يتخذون الحمير على ندرة في ذلك وفي بعض الجهات فقط لحمل الاشياء اما الركوب فانهم لايستعملونها لذلك الا نادراً.

ثم وصلنا الى قرية(كلفيتي): مرسى ابن بطوطة ان صح هذا التعبير وكان أول مارأيناه منها في طرف قصدناه قبل الذهاب الى الميناء مدرسة اسلامية اسمها المدرسة الرحمانية استقبلنا فيها مدرس اسمه محمد علي يار يعرف شيئاً قليلا من العربية تعلمه في كولمبو قال: إن عدد الطلاب (٤٥) وعددر المدرسين (٣) والواقع أن ذلك صحيح ورأيناه بأنفسنا.

فسألته عن مصدر الانفاق على المدرسة فقال: انه عقار موقوف عليها في قرية أخرى وقال : إن ذلك لايكفي ولكننا نأخذ من كل طالب (٣٠) روبية في الشهر أي: ستة ريالات سعودية وذلك في مقابل اكله وشربه وبعضهم ينامون وأرونا مكان نومهم فاذا به لافراش فيه وانما ينامون على شيء من الحصير غير الواقي ولا الكافي وليس لديهم سرر للنوم وسألته عن مرتبه فقال: انه(٢٥٠) روبية أي: خمسون ريالاً سعودياً في

الشهر اما راتب المدير فإنه(٣٠٠) روبية.

وتتألف بناية المدرسة من قسمين يفصل بينهما شارع وقد اسست المدرسة في عام ١٩٧١م في احد القسمين فصول الدراسة وفي الآخر مهاجع الطلبة وقال: ان كل مصاريف هذه المدرسة تبلغ اربعة الاف روبية في الشهر الواحد أي: ثمانمائة ريال بمافي ذلك النفقات على الطلاب ورواتب المدرسين.

واكثر أهل القرية من المسلمين ومما يذكر لهم بالاعجاب اننا رأينا مسجدها الجامع بالقرب من المدرسة فاذا هو بني بناء جميلاً وطلي طلاء زاهياً بلبن من الاسمنت أو الآجر لاادري ماهو لأن الطلاء يخفيه ولكنه على كل حال بناء بغير الخشب او القش وسقف بالصاج تحته دعائم من الخشب الصقيل المدهون وواجهة المسجد مطلية بعدة الوان ومنقوشة بنقوش صفراء وخضراء وحوله اروقة تظللها سقوف مسنمة على حين أن اكثر بيوت القرية وسقوفها من القش وحواجز الاحواش والافنية من الحصير الغليظ الذي يصنعونه من سعف النارجيل المتوفر بكثرة لديهم كما قلت.

فالمسجد اذاً هو اظهر واجمل واكبر بناء في البلدة يليه

القسم الذي تشغله فصول الدراسة في المدرسة الاسلامية اما القسم الآخر الذي يتضمن مهاجع الطلبة واماكن طعامهم فانه لايختلف عن بقية البلدة.

وللمسجد والمدرسة جمعية تشرف عليهما وتعتني بهما رئيسها الحاج محمد قاسم جاء الينا وسلم علينا ودعانا الى بيته فاعتذرنا لضيق الوقت.

وكان يحدثنا ونحن خارجون من المسجد الى المدرسة يحيط بنا عدد من أهل القرية وكل طلاب المدرسة تقريباً فقال: اننا نحتاج الى مبلغ كبير لكي تقوم المدرسة على الوجه المطلوب وهو اربعة الآف روبية أخرى في الشهر وعنده أن هذا المبلغ الذي يساوى ثمانمائة ريال مبلغ كبير وهو كذلك بالنسبة الى دخولهم المنخفضة وفقرهم الشديد كما قال: ان المدرسة تحتاج الى بناء مكتبة وغرفة للمدرسين وقال: ان المبلغ الذي نحصل عليه شهرياً من العقار الموقوف على هذه المدرسة هو الف وخمسمائة روبية في الشهر وهو لايكفي كما علمتم وسألته عن الذي اشترى لهم ذلك العقار؟ فأجاب: انها رابطة العالم الاسلامي فى مكة.

وبعد ذلك توجهنا لمشاهدة ميناء القرية التي يعتقد

الأهالي أن ابن بطوطة قد ارسى فيه فاذا به ميناء صغير وأصله ميناء طبيعي ولكن ادخلت عليه تحسينات صناعية بعد ذلك، وجدنا فيه مكتبا فيه جماعة من الحراس الذين يرتدون الزي العسكري أو هم نقطة للشرطة في هذا الميناء الصغير.

ولم نجد لابن بطوطة أثراً من الآثار، كما لم نجد من يذكره أو يهتم بأمره غيرنا. وكان الأسف بالغاً حين رأينا الأثر الوحيد فيها قلعة مبنية بناء غير شاهق باحجار سوداء خلّفها الهولنديون حين جاؤا بعد البرتغاليين واستعمروا سيلان قبل البريطانيين.

العودة الى بوتالم:

وفي الساعة الخامسة مساءً بدأنا رحلة العودة الى بوتالم والمسافة كما قلت ليست بعيدة بحساب المسافات في بلادنا اذ هي (٤٢) كيلاً ولكنها في حساب هذه المنطقة تساوي اكثر من ذلك اضعافاً لأن الطريق ضيق في الأصل وسيء السفلتة وقد خرب الفيضان بعضه وأسقط الاعصار أشجاراً كثيفة متعددة فوقه والأهالي على قلتهم يمشون فيه تجنبا لوعورة الأرض المليئة بالحشائش والوحل على جانبيه والأبقار التي تتبختر في مشيتها تشارك الناس

والسيارات الاستمتاع بالسير فيه والظلام الذي بدأ يرخي سدوله على تلك المنطقة كل اولئك قد تظافرت حتى تجعل السير فيه غير مريح للاعصاب وللبدن فيه.

ومن لطيف مارأيناه أن بعض الماعز عليها خشب معترض يضعونه في اسفل رقبتها و يربطونه ولما كان غير مألوف سألت عنه فقالوا: إن الحكمة منه أن يمنعها من أن تدخل الى الاراضي المسورة بالسعف و بالاسلاك. وذلك لانها اذا حاولت الدخول بجسمها اللطيف لأن غنمهم على قلتها صغيرة الاحجام قليلة الشعر فان هذه الخشبة المعترضة تمنعها من ذلك فكأنها تحرسها من أن تدخل تلك البساتين أو كأنها حارس البستان عن أن تدخلها.

وعندما قاربنا الوصول الى بلدة (بوتالم) اشار الأخ كامل أسد الى جهة من الجهات وقال: انه معمل الملح الذي اعمل مديراً له، وهو معمل حكومي الآ أن بناياته الخشبية اسقطها الاعصار فيا أسقط من بنايات وقال: إننا نستخرج الملح من مياه البحر نجففه ونعالجه ثم نصدره الى أنحاء سيلان.

العودة الى كولمبو:

بعد غروب الشمس بقليل كان البدء بالعودة

من(بوتالم) الى مدينة (كولمبو) وفي منتصف الطريق تقريباً مررنا بمقصف حكومي يتبعه مطعم في بلدة (تشيلو). فقال السائق إنه تعب ويحتاج الى شرب فنجان من الشاي وقال الاخوان مثل قوله فكان ذلك.

واغرب مافيه أن المسئولين عنه عندما عرفوا انني مع الرفاق جاؤا الى بدفتر كبير يطلبون فيه أن اسجل اسمي وعنواني وتاريخ الدخول فقلت للأخ احمد مبارك بالعربية: ياأخي لااعتقد أن المسئلة تستحق هذا العناء فنحن لم نشرب الا فنجاناً من الشاي دفعنا ثمنه فلماذا كل هذا؟

فأجاب: انهم يريدون أن يسجلوا مرور الزوار الاجانب لمحلهم هذا.

ووصلنا الى فندقنا في كولمبو في حوالي التاسعة ليلاً.

يوم الثلاثاء ١٣٩٩/١/٥هـ ١٩٧٨/١٢/٥م.

في المتحف الوطني:

كان الانطلاق من فندق انتركونتنتال في كولمبو في الساعة التاسعة والنصف صباحا وكان المقصد هو زيارة المتحف الوطني لسيلان في جانب من العاصمة. ومن اعجب مامررنا به أن رأينا بناء يشبه مظهره مظهر المباني

الاسلامية. ولما استفسرت عنه من الأخ احمد مبارك السيلاني الذي كان معي قال: إنه بناء اقيم على قبر وأن لهذا القبر وللمدفون فيه رغم كونه مسلماً شأنا عند جميع أهل الديانات ثم قال لسائق السيارة وهو هندوكي اسمه(ساندرا) اليس صحيحاً انكم حتى انتم الهنادك تعظمونه؟ فأجاب: نعم كل اهل الديانات يعظمونه و يأتون اليه، وقلت له: اسأله عما يطلبونه منه وعما يأتون اليه من أجله. فأجاب السائق: يأتون اليه اذا ارادوا أن ينجحوا في امورهم وقال: إن البوذيين كذلك يفعلون عنده. فقلت له: أياتون اليه بشيء؟ فأجاب: نعم بالزيت وغيره. فقلت للأخ أحمد مبارك وهو قد تعاقدت معه دار الافتاء والدعوة: إن واجبكم انتم وامثالكم مكافحة الشركيات والخرافات التي دخلت في دين الاسلام فقال هذا صحيح.

وهنا كنا قد بلغنا البوابة الخارجية للمتحف وذهب السائق يشتري التذاكر وكان ثمنها زهيداً قدره (٢٥) سنتاً أي: ربع روبية للشخص الواحد.

وقال لي احمد مبارك: إن أول من كان له جهد مشكور في انشائه هو مسلم من أهل البلاد ولذلك سأله الحاكم الانكليزي لسيلان في وقته عما يريد أن يكافئه على ذلك

فأجاب: اريد أن تكون العطلة الاسبوعية للمتحف يوم الجمعة حتى اتمكن أنا والعاملون المسلمون فيه من اداء صلاة الجمعة. قال: ولايزال المتحف يعطل يوم الجمعة.

كان أول مارأينا في فنائه شجرة عظيمة بل هائلة لها جذع رئيسي لو تقابل عليه اربعة رجال لما استطاعوا أن يحيطوه بأيديهم، يحيط بذلك الجذع فروع تدلت من الاغصان الى الأرض على شكل عروق بعضها وصل الى الأرض بالفعل وبعضها لم يصل وهو معلق فيها واسمها (عالا برم) ومعنى برم: شجرة.

وعلى مدخل بناية المتحف تمثال بوذا متربعاً في صورته الشهيرة المنتشرة في العالم البوذي. ومن سؤ حظنا أن وجدنا الكهرباء منقطعة عن المتحف فلم نستطع قراءة البيان الذي وضع على بعض الاشياء في الغرف، وذلك الى جانب الضجة الشديدة المنبعثة من عشرات الاطفال بل مئات الاطفال الذين جاؤا مع مدرساتهم لمشاهدة المتحف.

وفي غرفة قريبة شاهدنا معروضات من خشب النارجيل اهمها السلة التي تتدلى من السقف يرفع فيها الطعام عن الحشرات ونحوها لكيلا تصل اليه وهاون من

الخشب. ثم ركن آخر صوروا فيه تطور لباس المرأة السيلانية من العري الذي لايشوبه الا رداء يستر العورة المغلظة الى الزي الحاضر الذي هو زي اكثر نساء اهل الهند من غير المسلمين.

ومن أهم مافي المعرض واغربه بقايا حوت من حيتان البحر طوله خمسة أمتار، وحوت آخر من فصيلته صغير اذا قيس حجمه بحجم اسنانه الباقية فانه يظهر أنه كان أكبر من حجم البعير. ثم رأينا الأهم من ذلك وهو هيكل عظمي لحيوان ضخم معلق في سقف الغرفة حتى يمر الناس تحته دون أن يعرقل سيرهم لأن وضعه على الأرض يحتاج الى أن يفرغ له مساحة طويلة و يكفي أن تعلم انني قست طوله بنفسي واحداً وعشرو ين متراً أي: لو جاز له أن يقف على ذيله لبلغ طوله اثنى عشر رجلا كل واحد منهم واقف فوق رأس الآخر، أو قل انه أعلى من قامة الرجل الواحد اثنى عشر ضعفاً.

ثم اطلعنا على عدد من الاسماك الغريبة المحنطة منها سمكة الحربة وبعض الاسماك التي وضعوها معلقة في رف صناعي لم نستمتع بمنظره لان الكهرباء كانت منقطعة عن المتحف، ثم ورل كبير محنط يبلغ حجمه اربعة اضعاف حجم الورل الموجود في بلادنا الى جانب

سلاحف ضخمة مخططة وأنواع من العصافير والطيور الغريبة الملونة كلها محنطة موجودة كأنها حية تنتظر أن ينفخ فيها الروح فتطير.

وفي ركن آخر قرود مختلفة ونوع غريب من كلاب الماء أحمر اللون، صغير الحجم وآكل النمل.

ثم اسلحة قديمة ولكنها ليست فاخرة ولانادرة. وفي احدى الغرف كان كرسي العرش لأحد ملوك سيلان ويدعى (راجا سنها) أي: ملك الأسد أو الملك الأسد، لأن راجا معناها ملك باللغة السنهالية وسنها أسد. ذكر أن ذلك الملك حكم بين عام ١٦٣٦ ــ وعام ١٦٨٧م في كندي وتاج مرصع بالجواهر وكرسي مطلي بعضه بالذهب الرقيق لأحد ملوكهم ثم قلائد من الجواهر والأحجار الكريمة التي تشتهر بها بلادهم.

ثم اطباق وأوان فخارية وخشبية اما بقية المتحف ومافي غرفه فانه قد عاقنا عنه انطفاء الكهرباء. وان الحقيقة أن المتحف ومحتوياته لابأس به الآ أنه ليس فيه التنظيم المطلوب والايضاح البياني الكافي وهو يدل بمجموعه على أن سيلان ليست بذات الماضي الحضاري العريق رغم ماقاله بعض المتقدمين من أن آدم ابا البشر

أُهبط من الجنة على جبالها. الا اذا كانت آثارها لم تكتشف أو أنها لم تعرض نماذجها في هذا المتحف.

الأمانة الاسلامية:

هذه مؤسسة من نوع خاص ذهبنا اليها مباشرة بعد الخروج من المتحف فاستقبلنا فيها امينها العام اسمه(الامين) فهو احمد عبد الله محمد الامين وهو قاضٍ سابق كان يعمل في محكمة قانونية فلما تقاعد فكر في عمل اسلامي يختم به حياته كما قال وذلك ماكان يفعله كثير من أهل هذه البلاد والبلاد الافريقية اذْ ماأن يتقاعد الموظفون الكبار عن العمل الرسمي حتى يبحثوا عن عمل اسلامي يقضي المرء منهم وقته فيه فيكون في ذلك النفع العام. وانفاق الوقت فيما ينفع بدلاً من هدره فيما لاينفع واحياناً فيما يضر كما يفعل بعض المتقاعدين عن العمل في اكثر البلدان العربية الذين يقضون اوقاتهم في المقاهي او في الدور.

قال الشيخ الامين الذي هو امين الامانة الاسلامية: إنه فكر في أن الجمعيات الاسلامية في سيلان ليس بينها رابطة توحد بينها وتسعى باسمها وتنسق اعمالها وعلى سبيل المثال نحن نسعى للحصول على الكتب الاسلامية

حتى اذا حصلنا عليها قمنا بتوزيعها على المدارس والمؤسسات الاسلامية، وكذلك بالنسبة الى المساعدات المالية ولنا صلات وثيقة بعدد من الشخصيات الاسلامية في سيلان مثل الاستاذ محمد حنيفة وزير النقل. وقال: لقد قطعنا مرحلة لابأس بها. فمثلا هذا البناء الذي هو جيد هو ملك للمؤسسة تبرع به الاخوان السيلانيون وقد ساهم الحاج نظيم من ذلك بقدر كبير.

ثم جرى حديث طويل معه حول المسلمين في هذه البلاد واحوالهم ونشاطهم وكان نشيطاً في عمله رغم أن صحته لايظهر عليها انها جيدة فهو نحيف الجسم ضعيف البنية. وأرانا الكتب الاسلامية المترجمة الى اللغة السنهالية لغة الاغلبية في هذه البلاد والى اللغة التاميلية اللغة الثانية للشعب والتي هي لغة المسلمين كما يسمونها لأن معظم المسلمين يتكلمون التاملية ومن ذلك القسم الأول من ترجمة معاني القرآن باللغة التاميلية وقد طبع في سيلان عن طبعة قديمة في جنوب الهند.

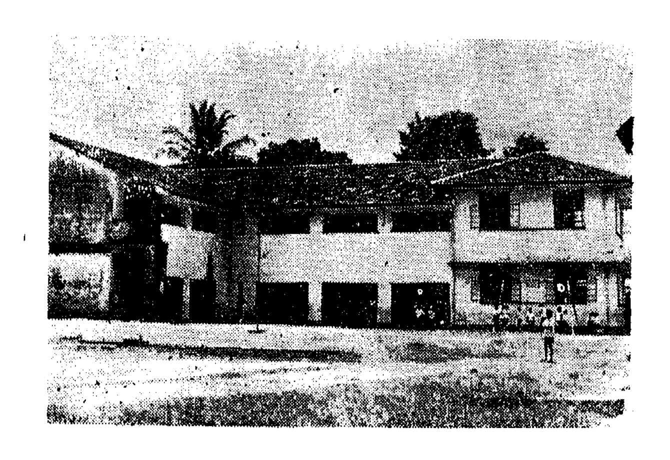
ثم نهض بنا الى أقسام البناء فاذا به جيد الآ أن لديهم مشروعا تحت التنفيذ لتوسيع هذه المؤسسة وقد رأينا العمل فيه جارياً و يشتمل على مكتبة جيدة في الطابق الثاني وقاعة محاضرات في الطابق الاسفل والحقيقة أن

العمل فيها مهم مع أن كل ذلك كان من تبرعات المسلمين السيلانيين في الأصل ولا تزال هذه التبرعات هي التي تسيرها الاّ أنهم يأملون في أن يتلقوا من اخوانهم المسلمين في الخارج الدعم الذي يحتاجونه. وقد ودعنا الموظفين الذين معه في هذه المؤسسة (الامانة الاسلامية) مع أن عدد الموظفين الذين رأيناهم هو ثلاثة اثنان مع الأمين العام وقد قاموا بعمل لايقوم به عشرة موظفين في بلادنا العربية بل اكثر من عشرة وذلك للترف الذي تعيشه بلادنا في هذه الايام حتى غير الثرية مثل مصر حيث تجد المشروع الصغير متخما بالموظفين ولكنه ايضاً متخم بالمشكلات.

ثم قصدنا حانوت اخينا ومرافقنا في بعض الاحيان وهو فالح غوث وذلك للمرور عليه واخذه معنا الى بعض الاماكن. وهو في السوق الرئيسي في مدينة (كولمبو) ومعظم مافيه الالآت كالساعات ونحوها وهو كبير وفي مؤخرته غرفة خاصة مكيفة بمثابة المكتب لمدير الحانوت. و يظهر عليه كما هي عليه الحال عند كثير من اخواننا السيلانيين المهارة في البيع والشراء والأخذ والعطاء ولذلك كانت نسبة التجارة فيهم عالية. وقد انتظرنا في ذلك المكتب المكيف الهواء في الحانوت لأن الجلوس بدون

مكيف وسط النهار في كولمبو أمر فيه صعوبة لاسيما اذا كانت الشمس صاحية.

الكلية الزاهرة:



هذه الكلية من اشهر المؤسسات التعليمية الاسلامية في سيلان ومن اقدمها إن لم تكن أقدمها بالفعل وقد ذهبت اليها لتجديد العهد بها والا فقد زرتها قبل سنوات ولكي أرى التطور الذي حصل فيها خلال تلك المدة. استقبلنا مديرها الشيخ (شافعي ماريكار) وعندما لحني قال: لقد تذكرت أنك زرتنا في عام ١٩٧٣م.



طلبة يعملون فى ورشة النجارة فى الزاهرة

اما هو فانه لم يتغير فهو قصير القامة قوي البنية جم النشاط سريع الحركة بل كل حركة في جسمه وفي فكره وكلامه تدل على الحيوية والنشاط خلاف اكثر الناس في هذه البلاد. وقد استمر كعادته في الحديث عن ماضي هذه الكلية فقال: إن عدد طلابها الآن الفان وأن مستواها مستوى الدراسة الثانوية وأن شهاداتها معترف بها من قبل حكومة سيلان ومن اكثر الجامعات الاسلامية في العالم وقال: إن جميع الطلاب هم من المسلمين وأن ٢٠٪ منهم يسكنون في بناية المدرسة يأكلون و يشربون و يعيشون فيها اما البقية فيعيشون في بيوتهم و يأتون للدراسة فقط. وقال: إن عدد المدرسين في الكلية (٩٤) اضافة الى (٨) من مساعدى المدرسين.

وقد اشرفنا من شرفة مكتبه على ساحات الكلية ومبانيها فاذا بها واسعة جيدة مفروشة بالحشائش.

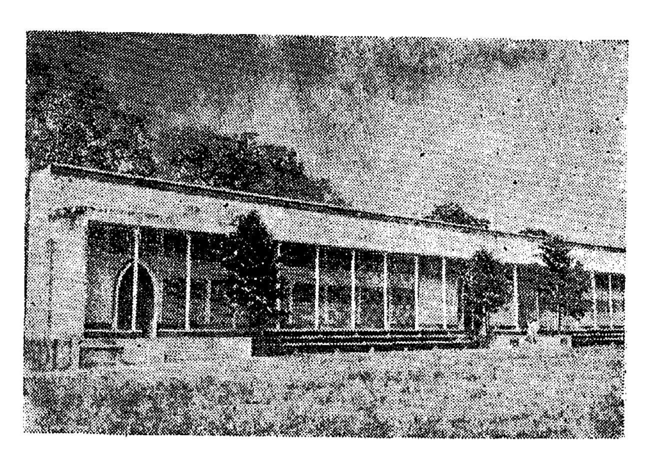
وفي هذه الاثناء كان لايزال يواصل حديثه وكنت لاازال اواصل أسئلتي عن هذه المدرسة الجيدة ذات الماضي العريق في خدمة ابناء المسلمين خدمة ثقافية اسلامية خالصة فقال: ان أهم مالدينا الآن هو إنشاء مركز للعلوم المدنية حتى نستطيع أن نواكب موكب العصر والا نعزل ابناءنا عن مجتمعهم بل ينبغي أن نكون من المتقدمين في ركب المعرفة المدنية كما نحن متقدمون — ولله الحمد — في ديننا الاسلامي الحنيف على الاديان الأخرى من حيث النقاء والصفاء.



طلبة يعملون فى ورشة الحدادة بالزاهرة

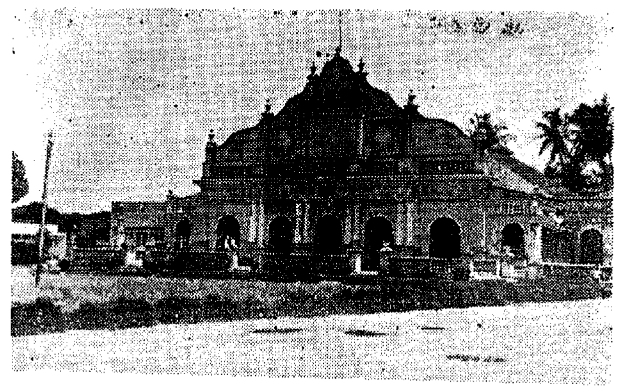
وقال: اننا نحتاج الى مليون روبية لهذا المركز قال ذلك وهو يملأ فمه و يشدد على هذا المبلغ كالمستكثر له. والواقع أنه كثير في سيلان ولكنه في البلاد العربية ليس كذلك . وقال: إن أرض المركز موجودة في ناحية من فناء الكلية ارانا إياه.

اما مصاريف الكلية كلها فذكر انها خمسون الف روبية كل شهر أي اثنا عشر الف ريال سعودي وأن حكومة سيلان لا تساعدهم ولكن هناك اوقافا للمسلمين على المدرسة الى جانب التبرعات الأخرى الآ أن شح الواردات هو الذي يمنعهم من التوسع الذي يحتاج اليه المسلمون الذين يتزايد عدد طلابهم. ولذلك ليس امامهم الا التوجه الى اخوانهم المسلمين في المملكة العربية السعودية لمساعدتهم على سد حاجاتهم الدينية. وعندما عدنا لمكتب المدير لشرب الشاي لاحظت أن على رفوف المكتب عدداً من الكؤوس والدروع التي تمنح في العادة للاندية والمؤسسات التي تتفوق في الرياضة. قال: انهم كسبوها في ميدان الرياضة. وقال: إن فكرة المدرسة الاسلامية والنظامية بل فكرة تجميع المسلمين في جمعية في هذه البلاد كانت قديمة بدليل أن هناك بعض المطبوعات الاسلامية في سيلان من عام ١٨٩٢م.



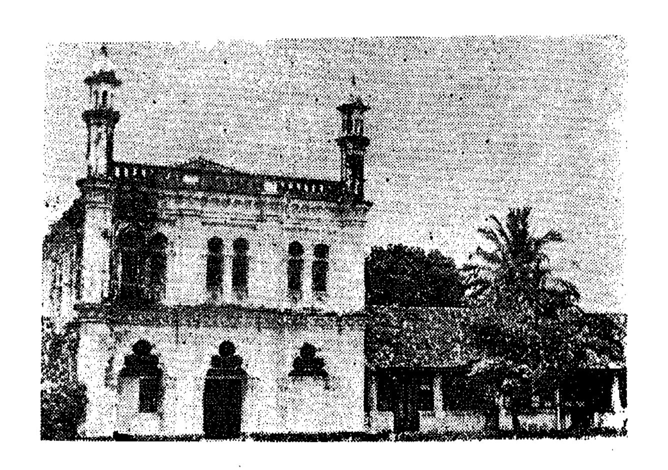
القسم الداخلي للكبار فى الزاهرة

ثم قمنا بجولة على عدة أقسام في هذه المدرسة الواسعة ومنها المكتبة وقاعة المحاضرات والمطبعة وورشة لتصليح السيارات وجدنا فيها سيارة قديمة تحت الاصلاح هي من



مسجد مارادما يشرف على الزاهرة

طراز أوستن ١٩٤٤م وسيارة نقل موتى المسلمين تابعة لاحدى الجمعيات الإسلامية وقد أحضروها للاصلاح. وخرجنا منها بسبب ضيق الوقت والآ فلم نكتف من مشاهدتها والتجول فيها.



مبنى وابيشى ماريكار الذي يضم معمل العلوم

في حديقة الحيوان

بعد استراحة قصيرة في الفندق على تناول الغداء كان ذهابنا الى حديقة الحيوان في جانب من العاصمة (كولمبو) وكان ذلك في الساعة الثالثة ظهراً والسبب في

ذلك اني قد عزمت على السفر الى (جزائر مالديف) غداً وليس لدي وقت غير هذا اليوم.

طلبنا أن ندخل سيارتنا الى داخل الحديقة حتى نوقفها في ساحة ليست بعيدة من المدخل تحت ظل اشجار باسقة في مواقف اعدت لهذا الغرض فأجابوا انه لامانع من ذلك الا أنه لابد من دفع الرسم المقرر وقدره عشر روبيات أي ريالان. ماأرخص ذلك. أما الرسم نفسه فانه روبيتان لكل شخص.

اوقفنا السيارة وذهبنا نتمشى في هذه الحديقة التي ابرز مافيها الاشجار الباسقة الاستوائية أو الشبيهة بالاستوائية. وكان فيها عدد لابأس به من المتفرجين من سيلانيين وأجانب أكثرهم من الأوربيين أو من لونهم كلون الأوربيين مثل بعض الأمريكيين والأستراليين.

وكان من أبرز معروضات الحديقة التي اجتذبت اعداداً كبيرة من الناس وبخاصة من اهل البلاد هو (الشمبانزي) أي القرد الأسود الراقي الذي لاذيل له. الا أن بعضها كان قابعاً في مكمنه داخل قفصه في حوض واسع محاط بحائط عال بحيث يطل عليه المتفرج وهو يغدو ويروح داخل هذا الحوض ويتسلق مرتفعاً في وسطه.

وربما كان اختفاؤه لاخذ بعض الراحة بعد الغداء. ورأينا بعضها على البعد أيضاً الا أنه ليس فيها شيء غير عادي غير مايكون في مثيلاتها التي رأيتها في عدد من بقاع العالم.

ثم تركناها الى حظيرة للنمور ثم اخرى للأسود وكلها عادية، ثم طائفة من القردة هي عجيبة بسبب تنوع اشكالها واحجامها الا اننا عرفنا أن النادر منها قد احضروه من خارج الجزيرة فهذا من مدغشقر مثلا وذلك من افريقية وثالث من الملايو.

ومن الطف المناظر منظر قرد يعطيه حارسه كأسا من الماء فيأخذه بيده ويقف منتصبا والجمهور يرقبه بلهفة وعجب والاطفال والصبيان من المتفرجين يصيحون ويضحكون لهذا الفعل. ثم انواع من الغزلان بل حتى الغنم الغريبة عنهم رأيناها في هذه الحديقة مثل نوع من الاغنام الصومالية التي نسميها في بلادنا (البربرية) لأنها تأتي الينا من ميناء (بربرة) في الصومال.

أما الطيور فانها كثيرة في هذه الحديقة بل ربما كانت اكثر من غيرها وهذا طبيعي لأن البلاد بلاد غابات متصل بعضها ببعض والمفروض أن تكون حافلة بالطيور اكثر مما هو الواقع.

ومن الطيور الغريبة ببغاووات كبيرة وطيور جارحة كالصقور وبعض النسور حتى أنواع البوم ومن اندر مافيها صقور بيضاء الريش غريبة على أمثالنا الذين لم يروا صقراً ابيض في بلادهم وغربان صغيرة لها شكل الغربان في كل شيء الا في الحجم فهي في حجم الحمامة الصغيرة وهي كما تماثل الغربان الكبيرة في الشكل تماثلها في الاصوات وكذلك طائر التدرج القريب من الحجل.

حتى الحمار قد عرضوه كما فعل الناس في مدغشقر وإن كان أهل هذه البلاد أقل احتفالا به اذْ لم أرهم يتزاحمون على رؤيته كما كنت قد رأيتهم في مدغشقر. وقد عرضوا ثلاثة أحمرة سوداء اللون واخرى صغيرة.

والدب له اعتباره ايضا وهو يستحق ذلك بكل تأكيد بخلاف الحمار الذي يكفي انه استحق هذا الاسم الذي اصبح مضرب المثل في الغباء وعدم المبالاة بالاهانة فالدب الذي عرضوه هنا انواع منها الأسود العادي ودب آخر غريب كبير وواحد اصفر اللون وآخر أسود اللون وهو اكبر من الدب العادي في الحجم قالوا انهم احضروه من بلاد (التبت).

كما أن هناك طائفة من الوعول وزرافة واحدة وأما الفيل فان هذه البلاد موطنه لذلك رأينا منه انواعاً معتادة ونوعا قزما يشبه بالنسبة الى الافيال الأخرى حصان (السيسي) بالنسبة الى سائر الخيل.

وهناك حيوانات كثيرة لا تستوطن هذه البلاد ومع ذلك احضروا نماذج منها نضرب لها مثلاً بصاحبنا الجمل الذي تدل ملامحه وتقاطيع وجهه وجسمه على أنه ليس عربي الأصل، وانما هو من بلاد السند في باكستان.

وقد انتهى الوقت الذي خصصناه لهذه الحديقة من عصر هذا اليوم قبل ان تنتهي المعروضات التى ينبغي أن يراها زائرها.

فقفلنا راجعنا من وسطها إلى حيث سيارتنا وشاهدنا منظراً ليس شائعا في مثل هذه الحديقة ذلك هو منظر عدد من الشبان والفتيات وهم يرقصون و يتمايلون على انغام موسيقى مسجلة في مقصف في الحديقة مع أن الوقت ليس وقت الرقص وليس ذلك بالرقص الوطني المسمى بالفلكلورى أو الشعبي لانهم كانوا يرقصون رقصا افرنجيا على انغام موسيقى وانما كانوا يفعلون ذلك فيما يظهر من اجل اجتذاب المتفرجين الى المقصف ليجلسوا فيه وليشربوا شيئاً منه.

ومنظر آخر هو منظر شاب ابيض ومعه فتاة سيلانية شديدة السمرة فبادر الي الشاب وسألني بالعربية وهو يرى ملابسي العربية أأنت من السعودية أم من الكويت؟ فقلت له: وانت من أي بلد؟ قال: أنا من العراق. وأنا بحار اعمل في سفينة وقد انتهزت فرصة وقوف سفينتي في كولمبو لا تفرج في البلد. اما التي معه فلم تتكلم بشيء ولم يكلمنا عنها بشيء.

وتركت الحديقة آسفا على عدم رؤية مالم أره منها معجبا بالعناية الكبيرة التي لاحظت انهم يحيطون بها الحيوانات الموجودة فيها.

دار الثقافة المورية الاسلامية:

المور أو الموريون: قسم من المسلمين السيلانيين سماهم البرتغاليون بهذا الاسم عندما احتلوا جزيرة سيلان. وذلك لان البرتغاليين كانوا يسمون المسليمن من بقايا الاندلسيين المغلوبين على أمرهم المور وقد بقي من شواهد هذه التسمية كلمة (موريتانيا) أي: المسلمون العرب الذين يسكنون الخيام. واذاً يكاد يصبح معنى كلمة «المور» المغاربة أو المسلمين.

وهذه التسمية رغم كونها غربية غريبة فان أهلها

المعنيين في هذه البلاد لم يكرهوها لأنهم كانوا يعرفون من تار يخ ثقافتهم الاسلامية أنه كانت هناك صلة بين اناس من المغاربة و بين ملوك هذه البلاد من البوذيين في القديم ومن ذلك على سبيل المثال ملوك كندي في المنطقة الوسطى من جزيرة سيلان. ومن ذلك قوم من المغاربة كانوا أتوا الى سواحل الجزيرة ومنهم الشيخ ابو البركات البربري الذي كان سببا في اسلام اهالي جزر مالديف ومات هناك ولا يزال قبره معروفا بل ظاهراً في عاصمة تلك الجزر[1].

ولذلك أصبحت كلمة مور يين تدل على المسلمين السيلانيين الاوائل الذين هم ليسوا من السنهاليين أهل البلاد الأصليين. وقد يلاحظ المرء أن بين (المور يين) هؤلاء و بين سائر السكان فرقا في الملامح وتقاسيم الوجوه الآ أن ذلك ليس عاماشاملاً في الجميع، ولاغرو في ذلك لأن الاختلاط بالزواج ونحوه اضافة الى العوامل الجوية المؤثرة في هذا الجو الشبيه بالاستوائي لا تبقى على الوان الناس كما هي وقد تؤثر في بعض الملامح التي تتكيف على مدى الزمن وفق حاجات الجسم فيه.

---

(١) شرحت ذلك في كتاب: رحلة الى جزر مالديف: إحدى عجائب الدنيا .. نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠١هـ.



المور من سيلان

ودار الثقافة المورية الاسلامية هي مقر جمعية الثقافة المورية الاسلامية، وعند مدخل الدار المذكورة استقبلنا رئيس الجمعية (رازق فريد) وهو عضو سابق في البرلمان وكان سفيراً لبلاده سيلان في ايران كما كان في الاستقبال اعضاء الجمعية وعدد كبير من المسلمين. وكانت حفاوتهم بالغة وبخاصة لكونهم يعتقدون أو يعتقد بعضهم أن فيهم دماء عربية مغربية وبعد أن جلس الجميع على مائدة طويلة للاجتماعات تكلم فيها عدد منهم اولهم رئيس الجمعية.

وبعد ذلك بدأ الحديث عما انجزوه من مشروعات

ومابدأوا به ومايحتاجون الى البدء به في المستقبل ومن ذلك انهم انجزوا طبع المجلد الأول من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة السنهالية وهي لغة الاكثرية من أهل هذه البلاد الذين هم البوذيون ولذلك لا تعتبر لغة للمسلمين وانما لغة المسلمين هي التاميلية. وترجمة معاني القرآن للسنهالية أمر مهم جداً ذلك بأنه يجعل غير المسلمين من أهل البلاد يتمكنون من قراءة الترجمة بلغتهم التي يفهمونها. وقالوا: إنهم على وشك إصدار المجلد الثاني من هذه الترجمة.

ومن نشاطهم انهم يقومون بتدريب ابنائهم بل وكبارهم القادرين تدريباً شعبيا رياضياً شبيها بالتدريب على الدفاع عن النفس.

وقد أسست جمعيتهم (الجمعية المورية الاسلامية) في عام ١٩٤٤م ومهمتها يمكن تلخيصها بأنها: السعي لرفع شأن الاقلية الاسلامية في سيلان.

وللجمعية بناية كبيرة مؤلفة من خمسة طوابق واسعة، كان اول ماصعدنا اليه بمصعد كهربائي جيد بعد قاعة الاجتماع قاعة المحاضرات كتب عليها بالعربية(ديوان المجلس) وفيها كراسٍ كثيرة لكنها غير كافية وانما قصرت

بهم النفقة من اكمالها وقد زينت جدرانها بصور لزعماء المسلمين في سيلان وبينها وضعوا صورة لعرابي باشا المصري الذي نفاه الانكليز الى هذه الجزيرة.

وكما كانت قاعة المحاضرات قد كتب عليها اسمها باللغة العربية فان الدار نفسها قد كتب عليها بالعربية (دار الثقافة الاسلامية المورية). وفي المبنى مسجد نظيف خاص بالجمعية تؤدي فيها الصلوات.

وقد صعد بنا القوم الى الطابق الخامس من البناء الكبير فاذا بالسطح قد فرش بالحشائش الخضراء النضرة وقد جعلوه بمثابة الاستراحة فانت من سطح هذا المكان الذي هو بطبيعته عالٍ تجلس وكأنك في حديقة ارضية جميلة. وفوق الطابق الخامس النهائي قبة اسلامية جميلة كتبت عليها باللغة العربية اسماء الله الحسنى على شكل نطاق أي حزام يدور معها. وهناك قبتان صغيرتان غير القبة الرئيسية في مقدمة الواجهة فوق السطح.

وبعد الجولة بالبناء وانتهاء البرنامج المقرر انسجمت عندهم لما وجدته فيهم من نشاط إسلامي جيد وتطلع الى المزيد منه، ومايتحلون به من ذكاءٍ فبقيت اكثر مما قدرت، الاّ أن ذلك الوقت لم يضع سدى فقد كان مفيداً

لي اذْ استفدت فوائد كبيرة عن اوضاع المسلمين في سيلان عامة وعن اوضاع هذه الطائفة التي تسمى (مور ية) بصفة خاصة.

وكان من تلك الفوائد أن الذي تولى ترجمة معاني القرآن الى اللغة السنهالية وهي التي طبعت هذه الجمعية بعضها ولا تزال تعمل لاكمال طبعها هو راهب بوذي من اهل سيلان هداه الله الى الدخول في الدين الاسلامي بعد أن بلغ هذه الرتبة العالية في ديانتهم فحمله حبه للدين الاسلامي على أن تعلم اللغة العربية والدين الاسلامي في الهند حيث امضى سنوات هناك حتى تمكن من أن يقوم بهذه الترجمة.

وقد خرجت من عند هؤلاء القوم الكرام مسروراً الآ انني احسست أنهم ينتظرون من المملكة عوناً مادياً هم في الحقيقة بحاجة اليه وأهل لتلقيه.

دار اليتيمات المسلمات:

تقع في حي اسمه(كيرولافانا) في جنوب مدينة كولمبو. اخترقنا في الذهاب اليها سوقاً هامة من اسواق المدينة حتى وصلنا الحي الذي يقع في منطقة فيها أشجار خضراء كثيفة.

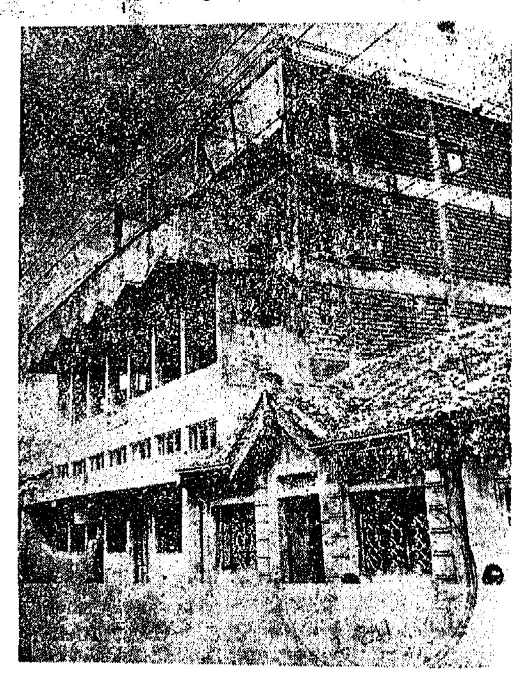
وعندما طرقنا الباب لم يفتحوا لنا الا بصعوبة وذلك انهم لايدعون الرجال يدخلون عندهم الا للحاجة .

وكان ذهابنا اليها بناء على دعوة من أخواتنا المسلمات القائمات على هذه الدار وقد استعن بالوزير الأخ محمد حنيفة في هذا الموضوع. قابلنا المديرة وهي سيدة متقدمة في السن .

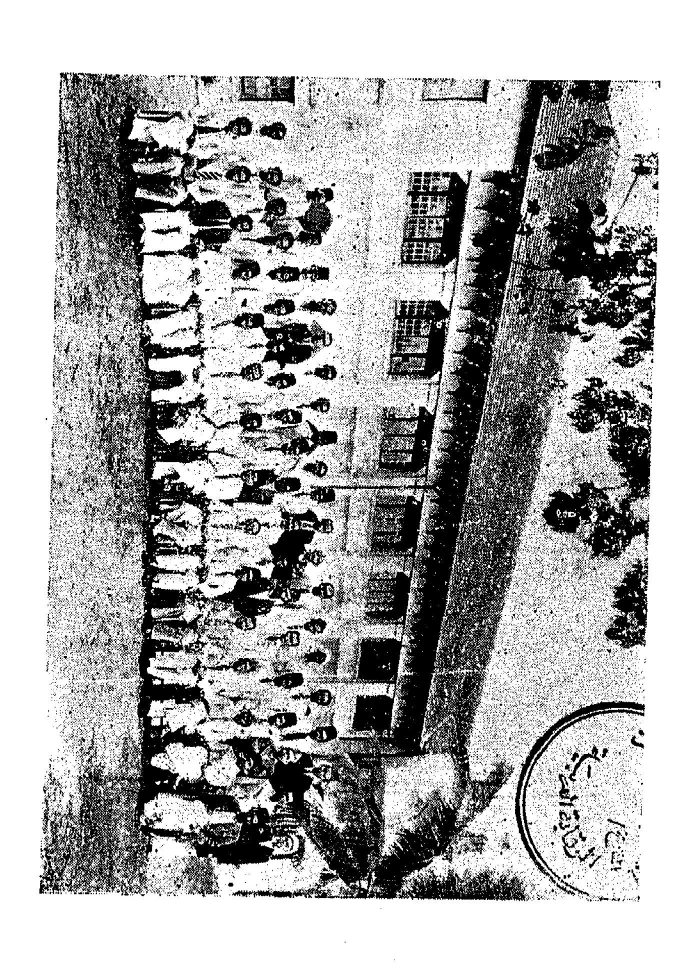
فقالت إن الدار أسست في عام ١٩٧٨م والغرض منها هو انقاذ بنات المسلمين من الضياع ومن وقوعهن في الملاجىء التي يشرف عليها غير المسلمين حيث يربونهن على غير دين الاسلام. وقالت وجمع من اخواننا المسلمين يسمعون وموافقون إننا نذهب الى المستشفيات ونأخذ من بنات المسلمين اللاتي يرغب عنهن أهلوهن في بعض الأحيان بسبب الفقر وعدم وجود المسكن اللازم لهن. وإن كان أهلهن موجودين ولكننا نعتبر أنهم في حكم المفقودين لأنهم يريدون التخلص من تلك البنات. هذا الى جانب اليتيمات بالفعل.

وقالت: إن القائمات على هذه الدار وهن اللاتي نسميهن العضوات العاملات مائة وثمانون سيدة من المسلمات كما أن هناك ثلاثة عشر عضواً من الرجال.

وقالت: إن المشكلة الكبرى هي توفير المال اللازم وقد اتصلنا بالسفارات الاجنبية في كولمبو وقد ساعدنا بعضها. وقد علمت بعد ذلك أن هذه المدرسة تلقت مساعدة سخية من المملكة العربية السعودية بواساطة سفير المملكة غير المقيم الشيخ صالح بن عبد الله الصقير. وهي جديرة بالمساعدة بل إن مساعدتها أمر يكاد يكون واجباً على القادرين عليه لما تقوم به من عمل جليل.



مقر جمعية الشبان المسلمين



صورة تذكارية لافتتاح جلسات مؤتمر الشبان المسلمين في سيلان بتاريخ ٣٠ ابريل ١٩٥٠م.

جمعية الشبان المسلمين:

بعد ذلك قمنا بزيارة المقر المركزي لجمعية الشبان المسلمين في سيلان وهي جمعية نشطة ذات اعضاء كثيرين بنين وبنات.

ومن اللطيف أننا رأينا في جانب من مقر الجمعية معرضا لمصنوعات الشابات المسلمات وهي معروضة للبيع حتى يكون في شرائها تشجيع للعاملات اللاتي يتبرعن في العادة بعملهن أو بجزء منه لصندوق الجمعية ومن تلك المصنوعات اقمشة ومناديل وأوان وسلال وحقائب يدوية.

والبناء مملوك للجمعية وهم الآن يعملون على توسعته وعمارة غيره وقد تلقوا معونة مالية من رابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة لهذا الغرض.

ولهم أعمال مجيدة منها انشاء مدارس قرآنية وفصول دراسية اسلامية مسائية وتدريب الشبان والشابات على مهن صغيرة نافعة يمارسونها في اوقات الفراغ إضافة الى النشرات الاسلامية باللغة السنهالية التي هي لغة الاكثرية من اهل البلاد والى إقامة المؤتمرات. والتعاون مع بعض الجمعيات الاسلامية العاملة في البلاد. وقد اعطونا نشرة صغيرة عن مؤتمر عام لجمعية الشبان المسلمين في سيلان جاء فيها مايلي:

مؤتمر عموم سيلان لجمعية الشبان المسلمين هو اول مؤسسة اسلامية للشبان المسلمين في سيلان ولهذه المؤسسة ١١٧ فرعاً في جميع أنحاء الجزيرة وهي تعمل لمنفعة الشبان المسلمين جميعاً ديناً وتعليماً واقتصادياً. وصناعياً وفي كل هذه الحقول.

والشبان المسلمون اليوم يواجهون مشاكل عديدة وهذه المشاكل التي يواجهها المسلمون جميعاً في هذه الجزيرة من منذ ٤٥٠ سنة مضت بعدما احتلت البرتغال هذه البلاد وتتابعت الاحتلالات بعد ذلك بالهولانديين و بعد هم البريطانيون والجالية الاسلامية التي هي من بقايا العرب الذين سكنوا جزيرة سيلان وقد تتابعت معاداة البرتغال والهولانديين للمسلمين في سيلان من منذ عام ١٥٠٠ ميلادية حتى تحت حكم البريطانيين لم يسلم المسلمون من اغتصاب المستعمرين للتجارة التي كانت في يد المسلمين واغلبية المسلمين قد أهملوا وحرموا من التعليم وهذا الوضع قد عرقل تقدم المسلمين حتى بعد استقلال البلاد من يد المستعمرين سنة ١٩٤٨م وهذا الاهمال وحرمان المسلمين من التعليم على مر هذه العصور والاجيال وخوف المسلمين في العصور الماضية من تغيير دينهم بواسطة الجمعيات التبشيرية جعل المسلمين

متأخر ين وراء الجاليات الأخر التي تقدمت تقدما محسوساً ونـتـيجة هذا الوضع كان له ردّ الفعل في احوال المسلمين والمشاكل الاقتصادية التي تواجه العائلات الفقيرة ولاشك أن قـلـيـلا مـن المسلمين يتمتعون بقليل من الغنى ولم تزل فـي يـدهـم بـعض التجارات أو المهنات وهم اقل من ٥٪ مـن تـعـداد المـسـلمين الـذيـن يـبـلغون المليون على حسب الـتـعداد الاخير والذين هم في حالات يرثى لها وكثير من عـائـلات المـسـلمين يجدون صعوبة في تعليم اولادهم حتى التعليم الابتدائى وذلك بسبب الضغط الاقتصادي وقد نشأ عـن ذلـك خروج كثير من الاولاد من المدارس قبل اتمام الـتـعـليم والـسـقـوط فـي الامـتـحـانات حتى القليل الذين يـنـجـحـون فـي الامـتـحـانـات يجـدون الصعوبة لالتحاقهم بوظائف لائقة بهم.

ونحـن نـعـلـم أن فـي جميـع الامم غير المنحازة والبلاد المـتـخـلفه يوجد من هذه المشاكل والصعوبات وفي سري لانـكـا مع وجـود صـعـوبـات اقـتـصـاديـة نجـد كثيراً من الـعـاطـلين بـدون عـمل وفي هذه الحالة نرى المسلمين في سـري لانـكـا يـواجـهون كثيراً من هذه الصعوبات و يأمل الـشـبـان أن الحـالـة سـوف تـتـحـسـن عـنـد ارتـقـاء الحالة الاقـتـصـاديـة فـي الـبلاد والنمو الذي ظهر واضحاً في بلاد

اخواننا العرب ولكن هذه الفرصة تفلت من ايديهم أحيانا لأن المؤسسات التي توكل لجمع العمال هي لا تميل الى جمع كثير من الشبان المسلمين.

والطريقة التي تستعمل في معاينة العمال يظهر فيها واضحاً وجمع كثير من غير المسلمين في المسابقات التي يعلن عنها وكل ذلك يدعو الى اضاعة الآمال للشباب المسلمين.

ومؤسسة جمعيات الشبان المسلمين في سيلان تسعى وتجتهد لمساعدة هؤلاء الشبان في الحالة الاقتصادية والإجتماعية حتى ترتقى احوالهم الاجتماعية السيئة. ومع الصعوبة المالية الحاضرة اذا كانت هناك معونات مادية سريعة في طريقها الينا فعند ذلك يمكننا أن نواجه هذا التحدي من جهة أو أخرى وجمعيات الشبان للجاليات الاخرى تصلها مساعدات جمة من بلاد عديدة ولكن لسبب الفروق الدينية والسياسة الاجنبية والنفوذ الاجنبي نجد الشباب المسلمين لا تصلهم هذه الامتيازات ولم يطلبوا في أي حالة مساعدة من الجهات الاجنبية وجمعيات الشبان المسلمين في سيلان يتوجهون الى اخوانهم العرب المسلمين ويطلبون منهم المساعدة وأن يبحثوا في أمور الشبان المسلمين حتى يمكنهم أن يتكرموا بمساعدتهم.

الحفلة الكبيرة:

شاء الأخ (محمد حنيفة) وزير النقل السيلاني غير ماشئت ذلك بأنه كان قد اخبرني أنه سيقيم مأدبة غداء يجمعني فيها بعدد من المعنيين بشؤون الدعوة الاسلامية في سيلان وستكون في بيته فوافقت على ذلك الاّ أنني اشترطت عليه الا تكون رسمية واسعة حذراً من التكليف والتخسير لأن الاجتماع بالمعنيين بالشؤون الاسلامية من الشخصيات الرفيعة القدر في هذا المقام أمر مفيد لي.

فكان موعد ذلك الليلة عشاء.

وكان مكان الاجتماع في بيته الذي وصفته فيما سبق. وكان موعد الحضور في السابعة مساءً وعندما حضرت كانت القاعات في بيته قد امتلأت بطائفة من الوزراء والكبراء والوجهاء في سيلان.

اذْ كان قد دعا جميع الوزراء وكبار الموظفين المسلمين الى جانب عدد من الوزراء البارزين في الدولة من غير المسلمين كما دعا سفراء الدول العربية والاسلامية وكبار رجال الدين وعدداً من الصحفيين فكان ذلك اجتماعاً حافلاً كانت الاحاديث فيه مع هؤلاء القوم المثقفين تجري

عـمـيـقـة مـفـيـدة وكـانـت الآت الـتـصـو ير تبرق في أفق الاجتماع الفينة بعد الأخرى.

وكـان يتـنـاوب الجـلـوس الـى جـانـبي عدد من تلك الـشـخـصيات بناء على ترتيب من المضيف، وقبل العشاء نهض الجميع الى قاعة في الطابق الثاني من المنزل عرض فيهـا شـر يـط سـيـنـمـائـى حافل جميل عن المملكة العربية السعودية وعن الحج تابع الحاضرون عرضه باهتمام.

ثم قـامـوا الـى مـوائـد الطعام الاأنها كانت موائد تفرق الـنـاس ولاتجمعهم فكان الشخص يأخذ من الطعام بطبقه مـاأراد ثم يـنـتـحـى نـاحية الى جانب شخص أو شخصين آخـر يـن من محدثيه، و بعضهم يفضل أن يكون الطعام بلا كلام حتى ينهي القدر الذي ير يده دون احتشام.

و بـعـد أن تـفـرق شـمـل الـقـوم بـعد أن دعاهم النوم وودعـوا ضيفهم ومضيفه الأخ محمد حنيفه كانت الصحافة بـالمـرصـاد. فـكان اللقاء مع صحيفة (صن) أي: الشمس الـيـومـيـة الـتـي تـصـدر بـالانكليز ية. وكان حديث ير يد الـصـحـفـي الـسـائل أن يكون سياسيا وأر يد أنا أن يكون ديـنـيـاً ثـقـافياً إلاّ أن السياسة تتسرب أحياناً الى الحديث اذا لم يـكـن صـاحـبـه مـن أهـل الكياسة لاسيا بعد حفلة

ضمت السفراء والوزراء ولايكون الحديث جدياً كامل الجدية مع هؤلاء الاّ اذا تضمن شيئاً من الاوضاع السياسية التي هي ميدان اعمالهم ومسرح آمالهم.

يوم الاربعاء ١٣٩٩/١/٦هـ ١٩٧٨/١٢/٦م

مغادرة سيلان:

كان هذا اليوم هو يوم مغادرة جزيرة سيلان أو سرنديب كما كان اسلافنا من العرب يسمونها وهي (سري لانكا) كما أصبح أهلها يدعونها.

ومنها كان التوجه الى جزر ماالديف.. وقد قصصت قصة السفر الى مالديف في كتاب مطبوع عنوانه (رحلة الى جزر مالديف: إحدى عجائب الدنيا).



ابن بطوطة وسيلان



الرحّالة المغربي الشهير ابن بطوطة يكاد يكون المصدر الوحيد للمعلومات المتعلقة بكثير من البلدان ومنها سيلان في العصور الوسيطة وكلامه عن سيلان فيه الكثير من الحقائق التي يشهد لها أهل سيلان في الوقت الحاضر. وفيها أشياء قليلة مما أشكل عليهم معرفته لأنه غامض على افهامهم.

ومرجع ذلك إما أن يكون من تحريف النساخ أو يكون من تحريف ذاكرة ابن بطوطة لأنه قد أملى رحلته إملاءً بعد أن عاد الى وطنه طنجة في المغرب.

وعلى أية حال فان إيراد نص ماذكره ابن بطوطة في ذيل هذا الكتاب أمر مهم؛ بل هو متمم للمعلومات التي تضمنها عن سيلان. وقد علقنا إشارات قليلة عليها تبين بعض الأشياء وإن كانت دون المطلوب.

قال ابن بطوطة رحمه الله:

وسافرنا ولم يكن معنا رئيسٌ عارفٌ، ومسافة مابينَ الجزائر والمعبر ثلاثةُ أيّام، فسرنا نحن تسعة أيّام، وفي التاسع منها خرَجنا إلى جزيرة سيلان، ورأينا جبل سَرَنْديب فيها ذاهباً في السماء كأنّه عمود دخان. ولمّا وَصَلناها قال البحرية: إن هذا المرسى ليس في بلاد

السلطان الذي يدخل التجّار إلى بلاده آمنين، إنّما هذا مرسى في بلاد السلطان أيري شَكَرْوتي[1] ، وهو من العتاة المفسدين، وله مراكب تقطعُ في البحر، فخفنا أن ننزل بمرساه، ثمّ اشتدّت الريح فخفنا الغرق، فقلتُ للناخوذة: انزلني إلى الساحل، وأنا آخذ لك الأمان من هذا السلطان، ففعلَ ذلك، وأنزَلني بالساحل فأتانا الكفّار فقالوا: من أنتم؟ فأخبرتهم اني سِلفُ سلطان المعبر وصاحبُه جئتُ لزيارته، وانّ الذي في المركب هديةٌ له، فذهبوا إلى سلطانهم فأعلموه بذلك، فاستدعاني، فذهبتُ له إلى مدينة بَطّالة وهي حضرته، مدينةٌ صغيرةٌ حسنة، عليها سورُ خشب وأبراجُ خشب، وجميعُ سواحلها مملوءة بأعواد القرفة[2] تأتي بها السيول فتجتمعُ بالساحل كأنّها الروابي ويحملها أهلُ المعبر والمُلَيبار دون ثمن؛ إلاّ أنّهم يهدون للسلطان في مقابلة ذلك الثوب ونحوَه. و بينَ المعبر وهذه الجزيرة مسيرةُ يومٍ وليلة، وبها أيضاً من خشب البقّم كثيرٌ، ومن العود الهندي المعروف بالكلخي[3] ، إلاّ أنّه ليس كالقُماري والقاقُلّي وسنذكره.

---

(١) اسمه كما يعرف الآن (براراشاشكاران).

(٢) يعني الداجيني وهو الآن موجود في سيلان كما ذكره، وقد يأتي به المطر. ولكنه لايكون مكوماً.

(٣) العود: لايعرف وجوده الآن في سيلان إلا إذا كان ابن بطوطة يريد بذلك الصندل فهو موجود ولكن ابن بطوطه يعرف الصندل حتما لطول إقامته في الهند.

ذكر سلطان سيلان

واسمُه أيْري شَكَروْتي، وهو سلطان قويّ في البحر، رأيتُ مرّةً، وأنا بالمعبر، مائة مركبٍ من مراكبه بينَ صغار وكبار وصَلت إلى هنالك، وكانت بالمرسى ثمانيةُ مراكب للسطان برسم السفر إلى اليمن، فأمرَ السلطان بالاستعداد، وحشَدَ الناس لحماية أجفانه، فلمّا يئسوا من انتهاز الفرصة فيها قالوا: إنّما جئنا في حمايةِ مراكب لنا تسيرُ أيضاً إلى اليمن.

ولمّا دخلتُ على هذا السلطان الكافر قامَ إليّ وأجلسني إلى جانبه، وكلّمني بأحسن كلام، وقال: ينزلُ أصحابكُ على الأمان، ويكونون في ضيافتي إلى أن يسافروا، فإن سلطان المعبر بيني وبينه الصحبة، ثمّ أمرَ بإنزالي. فأقمتُ عنده ثلاثة أيّام في إكرام عظيم متزايد في كلّ يوم، وكان يفهم اللسان الفارسي، ويعجبه ماأحدّثه به عن الملوك والبلاد.

ودخلتُ عليه يوماً وعندّه جواهر كثيرة أُتِيَ بها من مغاص الجوهر الذي ببلاده، وأصحابُه يميّزون النفيس منها من غيره، فقال لي: هل رأيت مغاصَ الجوهر في البلاد

التي جئت منها؟ فقلتُ له: نعم! رأيتُه بجزيرة قيس وجزيرة كش التي لابن السواملي. فقال: سمعتُ بها. ثمّ أخذَ حبّات منه فقال: أيكون في تلك الجزيرة مثل هذه؟ فقلتُ له: رأيتُ ماهو دونها. فأعجبه ذلك وقال: هي لك. وقال لي: لا تستحِ واطلب مني ماشئت. فقلت له: ليسَ مرادي منذ وَصلت هذه الجزيرة إلاّ زيارة القدَم الكريمة قدم آدم، عليه السلام؛ وهم يسمّونه «بابا» ويسمّون حواء «ماما»:[1] فقال: هذا هين! نبعثُ معك من يوصلك. فقلت: ذلك أريد. ثمّ قلتُ له: وهذا المركب الذي جئت فيه يسافر آمناً إلى المعبر، وإذا عدتُ أنا بعثتني في مراكبك. فقال: نعم.

فلمّا ذكرتُ ذلك لصاحب المركب قال لي: لاأسافرُ حتى تعودَ، ولو أقمتُ سنة بسببك، فأخبرتُ السلطان بذلك، فقال: يقيمُ في ضيافتي حتى تعود، فأعطاني دولة يحملها عبيده على أعناقهم، وبعثَ معي أربعة من الجوكية الذين عادتهم السفر كلّ عام إلى زيارة القدم، وثلاثة من البراهمة، وعشرة من سائر أصحابه، وخمسة عشر رجلاً يحملون الزاد، وأمّا الماء فهو بتلك الطريق كثيرٌ.

---

(١) لايزال السلانيون يسمون آدم (بابا) ولذلك من ولد يوم الجمعة يسميه المسلمون (آدم بابا). أما حواء فإنهم لايسمونها ماما وانما يقول: حواء.

ونزلنا ذلك اليوم على وادٍ جزناه في معدّية مصنوعة من قصب الخيزران، ثمّ رحلنا من هنالك إلى مَنَارْ مَنْدلي[1] مدينةٌ حسنة هي آخر عمالة السلطان، أضافنا أهلُها ضيافةً حسنة، وضيافتُهم عجولُ الجواميس يصطادونها بغابة هنالك. و يأتونَ بها أحياء، و يأتون بالأرزّ والسمن والحوت والدجاج واللبن.

ولم نرَ في هذه المدينة مسلماً غيرَ رجل خراساني انقطعَ بسبب مرضه، فسافرَ معنا ورحَلنا إلى بَنْدَرْسَلاوات[2] وهي بلدة صغيرة، وسافرنا منها في أوعار كثيرة المياه، وبهاالفيلة الكثيرة إلاّ أنّها لا تؤذي الزوّار والغرباء، وذلك ببركة الشيخ أبي عبد الله بن حنيف، رحمه الله، وهو أوّل من فتحَ هذا الطريق إلى زيارة القدم. وكان هؤلاء الكفّار يمنعون المسلمين من ذلك، و يؤذونهم ولايؤاكلونهم ولايبايعونهم، فلمّا اتّفقَ للشيخ أبي عبد الله ماذكرناه في السفر الأوّل من قتلِ الفيلة لأصحابه وسلامته من بينهم، وحمل الفيل له على ظهره، صارَ الكفّار من ذلك العهد يعظّمون المسلمين، و يدخلونهم

(١) تسمى الأن (مَنَّار مَنْدِل) وتقع على ساحل البحر الآ أنها بعيدة نوعا ما عن بوتالم (بطالة).

(٢) تسمى الآن (سلاون)وهي ميناء صغير على البحر.

دورهم ويطعَمون معهم، ويطمئنون لهم بأهلهم وأولادهم، وهم إلى الآن يعظّمون الشيخ المذكور أشدّ تعظيم، ويسمّونه الشيخ الكبير.

ثمّ وَصَلنا بعد ذلك إلى مدينة كُنَكّار[1] ، وهي حضرة السلطان الكبير بتلك البلاد، وبناؤها في خندق بينَ جبلَين على خور كبير يسمّى خور الياقوت، لأنّ الياقوت يوجدُ به، وبخارج هذه المدينة مسجد الشيخ عثمان الشيرازي المعروف بشَاوُش، وسلطان هذه المدينة وأهلُها يزورونَه ويعظّمونه، وهو كان الدليل إلى القدم. فلمّا قُطِعت يده ورجله صارَ الادلاءَ أولادهُ وغلمانُه. وسببُ قطعه أنّه ذبحَ بقرة، وحُكم كفّار الهنود أنّه من ذبحَ بقرة ذُبحَ كمثلها، أو جُعل في جلدها وحرق. وكان الشيخ عثمان معظَّماً عندهم، فقطعوا يده ورجله، وأعطوه مجبى بعض الأسواق.

ذكر سلطان كنكار

وهو يُعرَفُ با لكُنَار، وعنده الفيلُ الأبيض لم أرَ في الدنيا فيلاً أبيض سواه، يركبه في الأعياد ويجعل على جبهته أحجار الياقوت العظيمة، واتفقَ له أن قامَ عليه

(١) تعرف الآن بأسم (كورناقال).

أهلُ دولته وسملوا عينيه وولّوا ولده، وهو هنالك أعمى.

ذكر الياقوت

والياقوتُ العجيبُ البهرمان إنما يكون بهذه البلدة، فمنه مايخرج من الخور، وهو عزيزٌ عندهم، ومنه مايحفرُ عنه. وجزيرة سيلان يوجد الياقوت في جميع مواضعها، وهي متملَّكة، فيشتري الإنسانُ القطعة منها ويحفر عن الياقوت، فيجدُ أحجاراً بيضاء مشعَّبة، وهي التي يتكوّن الياقوتُ في أجوافها، فيعطيها الحكّاكين، فيحكّونها حتى تنفلق عن أحجار الياقوت، فمنهُ الأحمرُ، ومنه الأصفرُ، ومنه الأزرقُ، ويسمّونه النَّيْلَم.

وعادتهم أن مابلغَ ثمنه من أحجار الياقوت إلى مائة فَنَم فهو للسلطان يُعطي ثمنه ويأخذه، ومانقصَ عن تلك القيمة فهو لأصحابه. وصرف مائة فَنَم ستة دنانير من الذهب.

وجميع النساء بجزيرة سيلان لهنّ القلائد من الياقوت الملوّن، ويجعلنه في أيديهن وأرجلهن عوضاً من الاسورة والخلاخيل. وجواري السلطان يصنعن منه شبكة يجعلنها على رؤوسهن. ولقد رأيتُ على جبهة الفيل الأبيض سبعة

أحجار منه، كلّ حجر أعظمُ من بيضة الدجاجة، ورأيتُ عند السلطان أيْري شَكَرْوَتي سكرّجة على مقدار الكفّ من الياقوت، فيها دهن العود، فجعلت أعجبُ منها، فقال: إن عندنا ماهو أضخم من ذلك.

ثمّ سافرنا من كُنَكَار فنزلنا بمغارة تُعرف باسم أُسطا محمود اللُّوري وكان من الصالحين، واحتفرَ تلك المغارة في سفح جبل عند خور صغير هنالك، ثمّ رحلنا عنها ونزلنا بالخورالمعروف بخور بوزنه، و بوزنه[1] هي القرود.

ذكر القرود

والقرود بتلك الجبال كثيرة جدّاً، وهي سود الألوان، لها أذنابٌ طوال، ولذكورها لِحي كما هي للآدميّين[2]. وأخبرَني الشيخ عثمان وولده وسواهما أن هذه القرود لها مقدّم تتبعه كأنّه سلطان، يشدّ على رأسه عصابةً من أوراق الأشجار، و يتوكّأ على عصا، و يكونُ عن يمينه و يساره أربعةٌ من القرود لها عصىّ بأيديها، وأنّه إذا جلسَ القردُ المقدّم تقفُ القرود الأربعةُ على رأسه وتأتي أُنثاه وأولاده فتقعدُ بينَ يديه كلّ يوم، وتأتي القرُود

(١) في اللغة السنهالية (فيزنه).

(٢) هذه صفتها كما تعرف الآن وهي كثيرة في الوقت الحاضر.

فتقعد على بعد منه. ثمّ يكلّمها أحد القرُود الأربعة فتنصرفُ القرُود كلّها، ثمّ يأتي كل قردٍ منها بموزة أو بليمونة أو شبه ذلك فيأكل القرد المقدّم وأولاده، والقرُود الأربعة.

وأخبرني بعض الجوكية أنّه رأى القرود الأربعة بينَ يدي مقدّمها، وهي تضربُ بعضَ القرود بالعصي، ثمّ نتفت وبَرَه بعد ضربه. وذكرَ لي الثقات أنّه إذا ظفرَ فردٌ من هذه القرود بصبيّة لاتستطيعُ الدفاع عن نفسها جامعها. وأخبرني بعض أهل هذه الجزيرة أنّه كان بداره قردٌ منها، فدخلت بنتٌ له بعضَ البيوت، فدخلَ عليها، فصاحت به، فغلبها. قال: ودخلنا عليها، وهو بينَ رجليها، فقتلناه.

ثم كان رحيلنا إلى خور الخيزران، ومن هذا الخور أخرَجَ أبو عبد الله ابن حفيف الياقوتتين اللتين أعطاهما لسلطان هذه الجزيرة، حسبما ذكرناه في السفر الأوّل. ثمّ رحَلنا إلى موضع يُعرفُ ببيت العجوز، وهو آخر العمارة، ثمّ رحَلنا إلى مغارة بابا طاهر، وكان من الصالحين،ثمّ رحَلنا إلى مغارة السَّبيك، وكان السَّبيك من سلاطين الكفّار، وانقطعَ للعبادة هنالك.

ذكر العلق الطيار

وبهذا الموضع رأينا العلق الطيّار ويسمّونه الزُّلّو[1] ويكون بالأشجار والحشائش التي تقربُ من الماء. فإذا قربَ الإنسانُ منه وثبَ عليه فحيثما وقع من جسده خرَجَ منه الدم الكثير، والناس يَسْتَعْدُوْن له اللّيمون يعصرونه عليه، فيسقطُ عنهم، ويجردون الموضع الذي يقعُ عليه بسكين خشب مُعَدّ لذلك.

ويُذكر أنّ بعض الزوّار مرّ بذلك الموضع فتعلّقت به العلق، فأظهرَ الجلد، ولم يعصر عليها اللّيمون، فنزَفَ دمُه، ومات، وكان اسمه بابا خزوي، وهنالك مغارة تُنسبُ إليه.

ثمّ رحَلنا إلى السبع مغارات، ثمّ إلى عقبة اسكندر، ثمّ مغارة الأصفهاني وعين ماء وقلعة غير عامرة، تحتها خور يُعرف بغوطة كاه عارفان. وهنالك مغارة النارنج ومغارة السلطان وعندها دروازة الجبل أي بابه.

---

(١) هو باللغة التاميلية المعاصرة(أولانك كولي).

ذكر جبل سرنديب

وهو من أعلى جبال الدنيا، رأيناه من البحر، و بيننا وبينه مسيرة تسع، ولمّا صعدناه كنّا نرى السحاب أسفل منّا قد حالَ بيننا وبينَ رؤية أسفله. وفيه كثيرٌ من الأشجار التي لايسقطُ لها ورق، والأزاهير الملوّنة، والوردُ الأحمرُ على قدر الكفّ. و يزعمون أن في ذلك كتابة يُقرأ منها اسمُ الله تعالى واسمُ رسوله، عليه الصلاة والسلام.

وفي الجبل طريقان إلى القدم أحدهما يُعرَفُ بطريق «بابا» والآخر بطريق «ماما» يعنون آدم وحواء، عليهما السلام؛ فأمّا طريق ماما فطريقٌ سهلٌ، عليه يرجعُ الزوّار إذا رجعوا، ومن مضى عليه فهو عندهم كَمَنْ لم يزر، وأمّا طريق بابا فصعبٌ وعر المرتقى، وفي أسفل الجبل، حيثُ دروازته، مغارةٌ تُنسبُ أيضاً للاسكندر وعين ماء.

ونحت الأوّلون في الجبل شبه درج يُصعدُ عليها، وغرزَوا فيها أوتاد الحديد وعلقوا منها السلاسل ليتمسّك بها من يصعده، وهي عشر سلاسل، ثنتان في أسفل الجبل حيثُ الدروازة، وسبع متوالية بعدها، والعاشرةهي سلسلة الشهادة، لأنّ الإنسانَ إذا وَصَلَ إليها ونظرَ إلى أسفل

الجبل أدركه الوهم فيتشهد خوف السقوط، ثمّ إذا جاوزت هذه السلسلة وجدت طريقاً مهملاً. ومن السلسلة العاشرة إلى مغارة الخضر سبعةُ أميال وهي في موضع فسيح، عندها عينُ ماء تُنسبُ إليه أيضاً ملأى بالحوت، ولايصطادُه أحد، وبالقرب منها حوضان منحوتان في الحجارة عن جنبتي الطريق، وبمغارة الخضر يترك الزوّار ماعندهم، ويصعدون منها ميلين إلى أعلى الجبل حيثُ القدم.

ذكر القدم

وأثرُ القدم الكريمة، قدم أبينا آدم، صلّى الله عليه وسلّم، في صخرة سوداء مرتفعة بموضع فسيح. وقد غاصت القدم الكريمة في الصخرة حتى عاد موضعها منخفضاً، وطولها أحد عشر شبراً، وأتى إليها أهل الصين قديماً، فقطعوا من الصخرة موضع الإبهام ومايليه، وجعلوه في كنيسة بمدينة الزيتون يقصدونها من أقصى البلاد.

وفي الصخرة حيثُ القدم تسعُ حفر منحوتة يجعلُ الزوّار من الكفّار فيها الذهبَ واليواقيت والجواهر، فترى الفقراء إذا وصَلوا مغارة الخضر يتسابقون منها لأخذ مابالحفر، ولم نجد نحنُ بها إلاّ يسيرَ حُجيرات وذهب أعطيناها الدليل.

والعادة أن يقيم الزوّار بمغارة الخضر ثلاثة أيّام يأتون فيها إلى القدم غدوةً وعشيّاً، وكذلك فعلنا. ولمّا تمّت الأيامُ الثلاثة عدنا على طريق ماما فنزلنا بمغارة شيم، وهو شيت بن آدم، عليهما السلام، ثمّ إلى خور السمك، ثمّ إلى قرية كُرْمُلة[1] . ثمّ إلى قرية جَبَرْ كَاوَان، ثمّ إلى قرية دِلْ دينَوَة، ثمّ إلى قرية آتْ قَلَنْجَة، وهنالك كان يشتي الشيخ أبو عبد الله بن خفيف.

وكلّ هذه القرى والمنازل هي بالجبل، وعند أصل الجبل في هذا الطريق دَرَخْت رَوَان، ورَوَان هي شجرة عاديّة لايسقط لها ورَق، ولم أرَ من رأى ورقها، ويعرفونها أيضاً بالماشية لأنّ الناظر إليها من أعلى الجبل يراها بعيدة منه قريبةً من أسفل الجبل، والنّاظر إليها من أسفل الجبل يراها بعكس ذلك.

ورأيتُ هنالك جماعةً من الجوكيّين ملازمين أسفل الجبل ينتظرون سقوط ورقها، وهي بحيث لايمكن التوصّل إليها البتّة، ولهم أكاذيب في شأنها، من جملتها: أنّ من أكلَ من أوراقها عادَ له الشباب إن كان شيخاً وذلك باطل.

---

(١) تعرف الآن في اللغة السنهالية باسم(كُروِدا).

وتحت هذا الجبل الخور العظيم الذي يخرج منه الياقوت وماؤه يظهر في رأى العين شديد الزرقة.

ورَحلنا من هنالك يومين إلى مدينة دينَوَر، مدينة عظيمة على البحر يسكنها التجّار، وبها الصّنَمُ المعروف بدينَوَر في كنيسة عظيمة، فيها نحو ألف من البراهمة والجوكية، ونحو خمسمائة من النساء بنات الهنود، و يغنين كلّ ليلة عند الصنَم و يرقصن. والمدينة ومجابيها وقفٌ على الصنم. وكلّ من بالكنيسة ومن يرد عليها يأكلون من ذلك. والصنم من ذهب على قدر الآدمي، وفي موضع العينين منه ياقوتتان عظيمتان أُخبرتُ أنّهما تضيئان باللّيل كالقنديلين.

ثمّ رحّلنا إلى مدينة قالي[1] وهي صغيرة على ستّة فراسخ من دينَوَر[2] ، وبها رجلٌ من المسلمين يُعرف بالناخوذة إبراهيم، أضافنا بموضعه، ورَحّلنا إلى مدينة كَلَنْبو وهي من أحسن بلاد سَرَنْديب، وأكبرها، وبها يسكن الوزير حاكم البحر جالستي ومعه نحو خمسمائة من الحبشة.

---

(١) لا تزال تعرف بالاسم القديم (قالي).

(٢) دينور هذه اسمها الآن بالسنهالية (دونُوَرا).

ثـمّ رَحَلنا فوَصَلنا بعد ثلاثة أيّام إلى بَطّالة، وقد تقدّم ذكـرُهـا، ودخلنا إلى سلطانها الذي تقدّم ذكرهُ، ووجدتُ الـنـاخـوذة إبـرهيم في انتظاري، فسافرنا بقصد بلاد المعبر، وقويت الريح وكادَ الماء يدخل في المركب، ولم يكن لنا رئيسٌ عارفٌ.

ثـمّ وَصَلـنـا إلـى حـارة كـادَ المركبُ ينكسرُ فيها، ثمّ دخلـنـا بحـراً قـصيراً فتجلّسَ المركبُ، ورأينا الموت عياناً، ورمـى الـنـاس بمـا مـعـهـم وتوادعوا وقطعنا صاري المركب فرَميناه به، وصنَعَ البحرية معدّية من الخشب، وكان بيننا وبـيـنَ البر فـرسـخـان، فأردتُ أن أنزل في المعدية، وكان لـي جـاريـتـان وصـاحـبـان مـن أصـحـابـي فـقالا: أتنزلُ وتـتـركـنا؟ فآثرتهما على نفسي، وقلت: انزلا أنتما والجارية التي أحبّها، فقالت الجارية: إني أحسنُ السباحة، فأتعلّق بحبل من حبال المعدية وأعومُ معهم. فنزل رفيقاي وأحدهما محـمد بن فرحان التوزري، والآخر رجل مصري، والجارية معـهما، والأخرى تسبح، وربطَ البحرية في المعدّية حبالاً وسـبـحـوا بها، وجعلتُ معهم ماعزّ عليّ من المتاع والجواهر والـعـنبر، فـوَصَلـوا إلـى الـبـرّ سالمين لأنّ الـريـحَ كـانت تساعدهم.

وأقـمـتُ بـالـمـركـب ونـزلَ صـاحبُه إلى البرّ على الدفّة،

وشرَعَ البحرية في عمل أربع من المعادي، فجاء الليّلُ قبلَ تمامها، ودخلَ معنا الماء، فصعدتُ إلى المؤخر وأقمتُ به حتى الصباح، وحينئذ جاء الينانفر من الكفّار في قارب لهم، ونزلنا معهم إلى الساحل ببلاد المعبر، فأعلمناهم أنّا من أصحاب سلطانهم، وهم تحتَ ذمّته، فكتبوا إليه بذلك، وهو على مسيرة يومين في الغزو، وكتبتُ أنا إليه أعلمه بما اتّفقَ عليّ، وأدخلنا أولئك الكفّار إلى غيضة عظيمة فأتونا بفاكهة تشبه البطيخ تُثمرها شجرة المقل، وفي داخلها شبه قطن فيه عسلية يستخرجونها و يصنعون منها حلواء يسمّونها التلّ، وهي تشبه السكر، وأتوا بسمك طيّب.

وأقمنا ثلاثة أيام، ثمّ وصَل من جهة السلطان أميرٌ يُعرف بقمر الدين، معه جماعة فرسان ورجال، وجاؤوا بالدولة و بعشرة أفراس، فركبتُ وركبَ أصحابي، وصاحبُ المركب وإحدى الجاريتين، وحملت الأخرى في الدولة، وَوَصَلنا إلى حصن هَرْكَاتو و بتنا به، وتركتُ فيه الجواري و بعض الغلمان والأصحاب، وَوَصَلنا في اليوم الثاني إلى محلّة السلطان.

الفهـــرس

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
ت : ٤٨٢٤٩٨٣ الدرعية
ت : ٤٧٨٨٥١٠ الملز





تصـــدر عن

الجمعية العربية السعودية
للثقافة والفنون

إدارة الثقـافة

هـــاتف : ٤٧٧٩٠٥٩
ص.ب ٣٦٥٩ ـ الريــاض





